ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

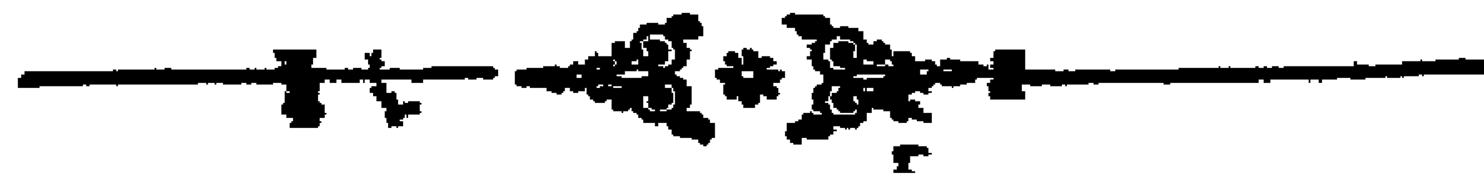
كتاب مشكل الحديث

وبيانه

تصنيف الامام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك

المتوفى سنة ست واربعمائة للهجرة

رحمة الله عليه



الطبعة الاولى

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية

حيدر آباد الدكن لازالت شموس افاداتها بازغة

وبدور افاضاتها طالعة الى آخر الزمن

سنة ١٣٦٢ من الهجرة

النبوية عليه الف

سلام وتحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل بنعمه(١) المتطول بأياديه ومننه(٢) الذى خص من شاء بهدايته من غير حاجة، ومنعها من شاء من غير نقص ولا آفة، اوجد المخلوقات بقدرته، واتقنها بعلمه، ودبرها على حسب ارادته ومشيئته، دلت بدائعه على حكمته وشهدت صنائعه بعزته وعظمته، فكل مفطور شاهد بوحدانيته، وكل مخلوق دال على إلاهيته وربوبيته، متوحد بصفات العلو والتوحيد والتعظيم فى ازله، منفرد باسمائه الحسنى فى قدسه، مقدس عن الحاجات، مبرأ عن العاهات، منزه عن وجوه النقص والآفات، متعال عن ان يوصف بالجوارح والآلات والادوات، والسكون والحركات، والدواعى والخطرات، بل هو الاعلى عن جميع من فى الارض(٣) والسموات، لايليق به الحدود والنهايات، ولا يجوز عليه الالوان والمماسات، ولايجرى عليه الازمان والاوقات(٤) ولا يلحقه النقائص والزيادات، موجود بلاحد، موصوف بلا كيف، مذكور بلا اين، معبود بلا شبه، لا تتصوره الاوهام، ولا تقدره الافهام، ولا يحيط بكنه عظمته الدلائل والاعلام، خالق ما خلق انواعا متفرقة، واجناسا متفقة، فدل بها اولى الالباب على انه خارج عن كل نوع وجنس، بعيد عن مشابهة كل شئ بشكل وشكل(٥) ونحمده على نعمه عودا وبدأ، ونشكره على فواضله اولا وآخرا،

---

(١) س - بنعمته (٢) س - منته (٣) فى س وبهامش الاصل - بل هو رب جميع من فى الارض (٤) س - والآفات - كذا (٥) بهامش الاصل وبهامش س=

ونستعصمه من الخطاء والزلل، ونستوفقه لأرشد القول والعمل، ونستعينه على اتمام ما ابتدأ به من فضله ورحمته، ونشهد له بالتوحيد والتفرد بانشاء المخترعات على اختلافها نفعا وضرا وعطاء ومنعا وخيرا وشرا وان جميع ذلك العدل من فضله، والقسط من تقديره وتدبيره، ونشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وصفوته وخيرته، ارسله بالحق الى الخلق بشيرا ونذيرا صادقا امينا، فقطع به العذر واكمل الحجة وختم الرسالة، صلى الله عليه وسلم خاصة وعلى الانبيين والمرسلين والملائكة المقربين وعلى جميع المطيعين له عامة وسلم تسليما .

فصل

اما بعد فقد وفقت اسعدكم الله بمطلوبكم ووفقنا الاتمام بما ابتدأنا به على تحرى الصحح والصواب الى املاء كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوهم ظاهره التشبيه مما يتسلق به الملحدون على الطعن فى الدين وخصوا بتقبيح ذلك الطائفة التى هى الظاهرة بالحق لسانا وبيانا، وقهرا وعلوا وامكانا، الطاهرة عقائدها من شوائب الاباطيل وشوائن البدع والاهواء الفاسدة، وهى المعروفة بانها اصحاب الحديث وهم فرقتان .

فرقة منها هى اهل النقل والرواية الذين تشتد عنايتهم بنقل السنن وتتوفر دواعيهم على تحصيل طرقها وحصر اسانيدها والتمييز بين صحيحها وسقيمها ايغلب عليهم ذلك ويعرفون به وينسبون اليه .

وفرقة منهم يغلب عليهم تحقيق طرق النظر والمقايس والابانة عن ترتيب الفروع على الاصول ونفى شبه الملبسين عنها وايضاح وجوه الحجج والبراهين على حقائقها . فالفرقة الاولى للدين كالخزنة للملك، والفرقة الأخرى

= الشكل بالنصب- المثل وبالكسر- الهيئة - والزى .

كالبطارقة التي تذب عن خزائن الملك المعترض عليها والمتعرضين لها، وذكرتم ان اهل البدع من اصحاب الاهواء الفاسدة العادلة له عن مناهج الكتاب والسنة نحو الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والجسمية ومن ناصب هذه الفرقة بالعداوة من سائر اهل الاهواء الباطلة تقصد دائما تهجين هذه العصابة بنقل امثال هذه الاخبار وتروم بذلك التلبيس على الضعفاء لتوهمهم انها تنقل مالا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين وتظن ان هذه الفرقة احتملت ذلك لاعتقادها حقائق معاني هذه الالفاظ على حسب المعهود من احوال الخلق المعروف من صفاتهم وجوارحهم وادواتهم واشتغلت بذلك وهي ذاهبة عن معانيها غافلة عن المقاصد فيها فرمتها بكفر التشبية وبفعله اهل الالحاد والتعطيل، جاهلة بانها انما نقلت ما وعت عن رسولها وروت ما سمعت عن العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اعتقدت اصول الدين وحقائق التوحيد بدلائل العقول والسمع فروت ذلك على موافقة اصولها ومعاضدة ما شهدت البراهين بصحتها، وانما حمل هؤلاء المبتدعة على هذا التهجين والانكار على هذه الطائفة بنقل ما نقل من ذلك (ما حمل - ١) الملحدة والمعطلة على انكار كتاب الله تعالى اعتراضا منهم عليه بذكر بعض ما ذهبت عن معرفة معانيها وخفائها من آياته المتشابهة .

وذلك ان آي الكتاب قسمان، قسم هو محكم تاويله بتنزيله يفهم المراد منه بظاهره وذاته ، وقسم لا يوقف على معناه الا بالرد الى المحكم وانتزاع وجه تأويله منه، وكذلك اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم جارية هذا المجرى ومنزلة على هذا التنزيل ، فمنها الكلام البين المستقل في بيانه بذاته ومنها المفتقر في بيانه الى غيره وذلك على حسب عادة العرب في خطابها وعرف اهل اللغة في بيانها اذ لم يكن كل خطابهم جليا بينا مستغنيا عن بيان وتفسير (ولا كله خفيا مستحيلا يحتاج الى بيان وتفسير - ٢) من

غيره، فاذا كانت دلائل الله تعالى على مافطر عليها العقول منقسمة فكذلك دلائل السمع منقسمة وكما لم يعترض ما خفى من دلائل العقل على ما تجلى منها حتى يسقط دلائل العقول رأسا فكذلك ما خفى من دلائل السمع لا يعترض على ما تجلى منها وانما اراد الله عزوجل ان يرفع الذين اوتوا العلم بخصائص رفعة ودرجات فيها يبين حالهم بها عمن لم ينعم عليه بمثلها فاذا كانت دلائل العقول صحيحة مع تفاوتها فى الجلى والخفى عندا كثر الملحدة فكذلك دلائل الله عزوجل فيما دلت عليه من الاحكام والاوصاف ونعوت الخالق والخلق وكذلك كون تنويع دلائل السمع الذى هو السنن متنوعة لا يبطلها جهل الجاهل بمعانيها، وهذه المقدمة تكشف لك عن جهالة المبتدعة فى اعتراضهم اهل النقل من اصحابنا فى نقل هذه الاخبار فتوضح لك ان تود هذه المقالة يجر القائل به والقائل له الى ابطال الكتاب بمثل ما ابطل به السنة.

وانه متى زعم ان للآى المتشابهة التى وردت فى الكتاب معنى وطرقا من جهة اللغة تنزل عليها وتصحح بها من حيث لا يؤدى الى شبهة ولا الى تعطيل فكذلك سبيل هذه الاخبار والتطرق الى تنزيل معانيها وتصحيح وجوهها على الوجه الذى يخرج عن التشبيه والتعطيل كذلك لم يبق الا ان هؤلاء المبتدعة انما تقصد بهذا التهجين الكشف مما تستره من العقايد الرديـة فى هذه الطائفة الطاهرة التى هى بالحق ظاهرة سبيل اعتراض الملحدة (١) اجاوبنى(٢) واما ما كان من نوع الآحاد مما صحت الحجة به من طريق وثاقة النقلة وعدالة الرواة واتصال نقلهم فان ذلك وان لم يوجب العلم والقطع فانه يقتضى غالب ظن وتجويز حكم حتى يصح ان يحكم انه من باب الجائز الممكن دون المستحيل الممتنع واذا كانت ثمرة ما جرى هذا المجرى من الأخبار ما ذكرناه فقد حصلت به فائدة عظيمة لا يمكن التوصل اليها الا به وهذا يقتضى ان يكون الاشتغال بتأويله وايضاح وجهه مرتبا على مايصح ويجوز فى اوصافه جل ذكره محمولا على الوجه

---

(١) بهامش س ـ سقط من لاصل ستة ورقات. (٢) كذا.

الذى نبينه ونرتبه من غير اقتضاء تشبيه او اضافة الى ما لا يليق بالله جل ذكره اليه، فعلى ذلك تجرى مراتب هذه الاخبار وطرق تأويلها فاعلمه ان شاء الله تعالى .

ذكر خبر

مما يقتضى التأويل ويوهم ظاهره التشبيه

وهو حديث الصورة وبيان تأويله، فمن اقسام الرتبة الاولى من هذه الاخبار مما يدخل فى باب المستفيض الذى تلقاه اهل العلم بالقبول ولم ينكره منهم منكر وهو حديث الصورة وقد روى ذلك على وجهين فى بعض الاخبار وهو قوله عليه السلام «ان الله خلق آدم على صورته» ولا خلاف بين اهل العلم والنقل فى صحة ذلك وقد روى ايضا ان الله خلق آدم على صورة الرحمن واهل النقل اكثرهم على انكار ذلك وعلى انه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة فتوهم ان الهاء يرجع الى الله تعالى فنقل على المعنى على ما كان عنده فى ان الكناية ترجع الى الله تعالى وقد روى فى بعض احاديث عكرمة عن ابن عباس وفى حديث ام الطفيل وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم اطلاق لفظ الصورة على وجه آخر وهو قوله عليه السلام «رأيت ربى فى احسن صورة».

بيان تأويل ذلك

فاما قوله عليه السلام خلق آدم على صورته فقد تأوله المتأولون من اهل العلم على وجوه كثيرة سنذكرها ثم نزيد فيها ما وقع لنا فى تأويله، مما يوافق تأويلهم ونبين خطأ من ذهب عن وجه الصواب فى تأويله، واظهر وجوه التأويل فى ذلك ومما قيل ان هذا الخبر خرج على سبب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يضرب ابنه او عبده فى وجهه لطما ويقول قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك، فقال صلى الله عليه وسلم «اذا ضرب احدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته»، وقد نقل الناقلون هذه القصة مع هذه اللفظة من الطرق الصحيحة وانما ترك بعض الرواة بعض الخبر اختصارا

اختصارا على ما يذكر منه للدلالة على مايحذف اذا كانت القصة عنده مشهورة مضبوطة بنقل الاثبات لأن اكثر الغرض عندهم الاسانيد دون المتون فلذلك ترك بعضهم ذكر السبب فيه، فالأولى ان يحمل المختصر من ذلك على المفسر حتى يزول الاشكال وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم له ذلك لأنه سمعه يقول. «قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك» وذلك سب للانبياء والمؤمنين فزجره عن ذلك وخص آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقة وجهه على الحد الذي يحتذى عليها من بعده كأنه ينبهه على انك قد سببت آدم ومن ولد، مبالغة في الردع له عن مثله واذا كان كذلك فهذا وجه ظاهر والهاء كناية عن الضرب(١) في وجهه ولا شبهة فيه، والوجه الآخر مما تأوله عليه الناس ان الكناية في قوله صورته ترجع الى آدم وذلك ينقسم الى وجوه.

احدها ان يكون معناه وفائدة تعريفنا نعمة الله تعالى على ابينا آدم عليه السلام ان فضله بان خلقه بيده واسكنه جنته واسجد له ملائكته وعلمه ما لم يعلمه احدا قبله من الاسماء والاوصاف ثم عصاه وخالفه فلم يعاقبه على ذلك بسائر ما عاقب به المخالفين له في نحوه وذلك انه روى في الخبر انه اخرج آدم من الجنة واخرج معه الحية والطاوس فعاقب الحيـة بأن شوه خلقها وسلبها قوائمها وجعل أكلها من التراب وشوه رجلي الطاؤس ولم يشوه خلقة آدم بل ابقى له حسن الصورة ولم يجعل عقوبته في ذلك. فعرفنا صلى الله عليه وسلم بذلك ان اباكم آدم عليه السلام كان في الجنة على الصورة التي كان عليها في الدنيا لم يغير الله خلقته وتكون فائدة ذلك تعريفنا الفرق بينه وبين سائر من اخرجه من الجنة معه وآبانته منهم في الرتبة والدرجة وهذه فائدة لايمكن الوقوف عليها الابخبر الصادق.

والوجه الثاني من ذلك اذا قلنا ان الهاء يرجع الى آدم فسبيله ان النبي عليه السلام افادنا ابطال قول اهل الذمة(٢) انه لم يكن انسان الامن نطفة ولا نطفة الامن انسان فيمامضى ويأتي، ليس لذلك اول ولا آخر وان الناس انما ينتقلون

---

(١) كذا ولعله «عن الذي ضرب» (٢) كذا

من نشوء الى نشوء على ترتيب معتاد وان كان ذلك ابدا كان كذلك ، فعرفنا صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان اول البشر آدم عليه السلام خلق على صورته التى كان عليها وعلى الهيئة التى شوهد عليها من غير ان كان من نطفة قبله اوعن تناسل اوتنقل من صغر الى كبر كالمعهود من احوال اولاده، فاما(1) مادلت عليه دلائل العقول من كون هذا العالم ذا ابتداء وانتهاء وافادبه مالا يوصل اليه الا بالسمع ان الاصل الذى هو منه توالدنا لم يكن عن توالد قبله بل خلق كما كان عليه وهو آدم عليه السلام خلقه الله عزوجل من صلصال كالفخار ثم خلق فيه الروح ولم يكن قط فى صلب ولا رحم ولا كان علقة ولا مضغة ولا مراهقا ولا طفلا بل خلق ابتداء بشرا سويا كما شوهد وعهد .

والوجه الثالث من وجوه هذا التأويل فى الرجوع بالهاء الى آدم عليه السلام على ماذهب اليه بعضهم فى تأويله وهو أنه افادنا صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل خلق آدم على الصورة التى كان عليها من غير أن كان ذلك حادثا اوشيئا منه عن توليد عنصر اوتأثير طبع اوفلك اوليل اونهار ابطالا لقول الطبائعيين ان بعض ما كان عليه آدم عليه السلام من هيئة وصورة لم يخلقه الله عزوجل وانما كان ذلك من فعل الطبع اوتاثير الفلك فنبه بذلك على ان الله تعالى هو الخالق لآدم عليه السلام على ما كان فيه من الصورة والتراكيب والهيئات لم يشاركه فى خلق صورة من صوره اوهيئة من هيئاته احد سواه فاستفدنا بذلك بطلان قول من قال بتوليد الطبع وايجابه وتأثير الفلك وتغييره وخص آدم عليه السلام بالذكر تنبيها على ان من شاركه من المخلوقات فى معناه وهذه طريقة للعرب فى التفهيم تذكر اعلى ما فى هذا الباب للدلالة على الادنى فاذا عرف ن صورة آدم وتركيبه وهيئته لم يخلقها احد الا الله عزوجل علم ان سائر المصورات من اولاده وغيرهم فحكمهم كذلك ، وقال بعضهم الهاء يرجع الى

(1) لعله « فأبان » — ح .

بعض المشاهير من الناس والفائدة فى الخبر يعرفنا ان صورة آدم عليه السلام كانت كهذه الصور ابطالا لقول من زعم انها كانت على هيئة اخرى كما روى فى بعض الروايات من ذكر طوله وقامته وذلك مما لا يوثق به اذ ليس فى ذلك خبر صحيح وانما المعول فى مثله على كعب او وهب من احاديث التوراة ولا ثقة بشيء من ذلك ولم يثبت من جهة اخرى انه قد كانت خلقة آدم عليه السلام على خلاف هذه الخلقة على الحد الزائد الذى يخرج عن المعهود من متفاوت خلق البشر .

والطريقة الثانية فى تأويل ذلك ان يكون الهاء كناية عن الله وهذا اضعف الوجهين من قبل ان الظاهر ان الهاء ترجع الى اقرب المذكور اليه الا ان تدل دلالة على خلاف ذلك .

واذا قلنا هذا احتمل وجوها ، احدها ان يكون معنى الصورة على هذا معنى الصفة كما يقال عرفني صورة هذا الامر اى صفته ولا صورة للأمر على الحقيقة الاعلى معنى الصفة ويكون تقدير التأويل فيه ان الله عزوجل خلق آدم على صفته وذلك ان المخلوقات قسمان جماد ونام والنامي نوعان حيوان وما ليس بحيوان والحيوان على نوعين ناس وبهائم ثم سوى الجن والملك ثم لم يشرف من الحيوان والجماد شيء سوى الانسان للاضافة الى النامي والبهائم ولم يشرف فى نوع الحيوان الناطق احد سوى الانبياء وذلك ان نوعا من العقلاء من الحيوان كالجن والملك والانس خص بالعقل والنطق وشرف به وذلك من خصال كمال التعالى ثم لما كان اكمل الاشياء نعتا واتمها رفعة وتعظيما هو الله عزوجل وكان الحي العالم القادر السميع البصير المتكلم المريد وذلك نعوت عظمة وعزة وجلالة خلق آدم على صفته مما هى صفة التعالى حيا عالما قدير سميعا بصيرا متكلما مختارا مريدا فميزه من الجماد والنامي بما نفخ فيه من الروح وميزه من البهائم بما ركب فيه من العقل والنطق وميزه من جنسه فى وقته بان نبأه وارسله

وميزه من الملائكة بان قدمه عليهم واسجدهم له وجعلهم تلاميذه وامرهم ان يتعلموا منه فحصلت له رتبة الجلال والعظمة مما نوعه الله عز وجل بان حصل مسجودا له مختصا بالعلم بما لا يشاركه فيه فى حالة غيره فتميز بهذه الصفات وهى صفات التعالى من سائر العالمين والمخلوقين فى وقته فعرفنا عليه السلام بذلك اسباغ نعم الله عز وجل عليه وتشريفه اياه بخصال التعالى وهى صفات مما فى صفات الله على الاختصاص .

والوجه الثانى من قولنا ان الهاء راجعة الى الله وهو ان يعلم من طرق الاضافات الى الله عز وجل وطرق التخصيص فيها وذلك ان من الاشياء ما يضاف الى الله عز وجل من طريق انه فعله كما يقال خلق الله وارض الله وسماء الله، وقد يضاف مثل هذه الاضافة على معنى الملك فيقال رزق الله وعبد الله وقد يقال على معنى الاختصاص من طريق التنويه بذكر المضاف اذا خص بالاضافة اليه وذلك نحو قوله « ناقة الله » فانها اضافة تخصيص وتشريف يفيد التحذير والردع عن التعرض لها .

ومن ذلك قوله تعالى « ونفخت فيه من روحى » وقول المسلمين للكعبة بيت الله تخصيصا بالذكر فى الاضافة اليه وتشريفا وهو كقوله ايضا فى اضافة المؤمنين الى نفسه بلفظ العبودية فى قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) الى آخر صفاتهم وقوله (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) .

والوجه الآخر من الاضافة نحو قولك كلام الله وعلم الله وقدرة الله وفى اضافة اختصاص من طريق القيام به كما يقال فى اضافة الارض الى اصل و. لا يقوم بنفسه الى ما يقوم بنفسه وليس ذلك من جهة الملك والفعل والتشريف بل ذلك على معنى ان ذاته غير منعوتة منه قياما بها وتعودا ووجودا .

ثم نظرنا فى اضافة الصورة الى الله عز وجل فلم يصح ان يكون

وجه اضافتها اليه على نحو اضافة الصفة الى الموصوف بها من حيث تقوم به لاستحالة ان يقوم بذاته عز وجل حادث بوجه ولا صورة ولا تاليف ولا غيره لأن ما قام بذات من تأليف وصورة لم يألف غير مالم يقم به وبذلك يمنع ان يكون غيره قد تصور بها وذلك محال فبقى من وجوه الاضافات كذا الملك والفعل والتشريف، فاما الملك والفعل فوجهه عام ويبطل فائدة التخصيص فبقى انها اضافة تشريف وطريق ذلك ان الله عز وجل هو الذى ابتدأ تصوير آدم لاعلى مثال بل اخترعه اختراعا ثم اخترع من بعده على مثاله فتشرفت صورته بالاضافة اليه من حيث كانت مخصوصة بها على هذا الوجه ثم سائر وجوه التشريف مما خص بها آدم عليه السلام من فضائله مماذكرنا بعضه .

واعلم انا اذا قلنا ان الهاء يرجع الى الله عز وجل فى قولهم على صورته على بعض المعانى التى ذكرنا فان تأويل ما يروى من هذا الخبر على اظهار الرحمن بعد ذكر الصورة على ما فيه من الضعف والعلة عند اهل النقل وانه يكون محمولا على ما ذكرناه اذا قلنا ان الهاء ترجع الى الله عز وجل وقد انكر بعض اصحابنا صحة هذه اللفظة من طريق العربية وقال لايجوز فى اللغة ان يقال مثله ولو كان المراد ذلك لكان يقول ان آدم خلق على صورة الرحمن دون ان يقال ان الله خلق آدم على صورته لأن تقدم ذكره باسم الظاهر فانه اذا اعيد ذكره يكنى عنه بالهاء من غير اعادة اسمه بالظاهر كقولك ان زيدا ضرب عبده، ولا يقال ان زيدا ضرب عبد زيد. والمراد بزيد الثانى هو المراد بالاول. قالوا واذا لم يكن ذلك سائغا من جهة العربية ولا ثابتا من جهة النقل لم يكن للاشتغال به وجه . ومن اصحابنا من قال ان هذا ليس مما يمكن ان يدفع به هذا الخبر على هذا الوجه وانما طريق دفع ذلك من جهة النقل وتعليل من رواته لأن مثله قد يصح فى العربية وقد وردت بذلك اشعار العرب فمن ذلك قول عدى بن زيد .

لاأرى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فاعاد ذكر الموت بلفظه ولم يكن عنه بالهاء ولم يقل لأ ارى الموت يسبقه شيء ومثله فى القرآن (يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ولم يقل الينا واليه فاذا كان مثله سائغا لم يكن لا نكاره من هذا الوجه معنى دون ان يقال ان الاثبات من اهل النقل لم يرووه على هذا الوجه بل كلهم اجمعوا على نقل قوله على صورته بالهاء كناية لا اظهارا وذلك محتمل للوجوه التى ذكرناها ان رجع به الى آدم فيحتمل وهو الأقرب وان رجع به الى المضروب على ما روى فى السبب فيه معه فظاهر ايضا وان رجع به الى الله عزوجل وهو الأبعد كان طريق تأويله ما بيناه لا انه اريد به اثبات صورة لله تعالى على التحقيق وهو بها مصورا ومتصور لأن صورته هى التاليف والهيئة وذلك لا يصح الا على الأجزاء المتألفة والاجسام المركبة وقد تعالى الله عز ذكره عن ان يكون جسما اوجوهرا او مؤلفا مركبا، ومن اصحابنا من قال ان الهاء ترجع الى آدم ويكون معناه وفائدته تكذيب القدرية لما زعمت ان من صورة آدم وصفاته مالم يخلقه الله عزوجل .

وذلك ان القدرية على ان صفات آدم على نوعين منها ما خلقه الله ومنها ما خلقه آدم لنفسه، فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله تعالى خلق آدم على جميع صوره وصفاته ومعانيه واعراضه ومثله فى الكلام ان يقال عرفنى هذه الامر على صورته اذا اردت ان يعرفك على الاستيفاء والاستقصاء دون الاستبقاء وكما افادنا صلى الله عليه وسلم بذلك تكذيب الطب تعيين فى كون بعض هيئات البشر من توليد الطبع وايجابه كذلك افادنا تكذيب القدرية حيث زعمت ان من معانى آدم عليه السلام واعراضه وكثير من هيئاته لم يخلقه الله عزوجل وانما خلقه آدم وابدعه هو من دون الله عزوجل

ووجه آخر يحمل عليه تأويل هذا الخبر اذا قلنا ان الهاء ترجع الى آدم وهو أن يكون معناه اشارة الى ما نقول على اصولنا ان الله عزوجل خلق السعيد سعيدا والشقى شقيا، فلما خلق آدم وقد علم انه يعصى ويخالف امره وكتب

وكتب ذلك عليه قبل ان خلقه عرفنا صلى الله عليه وسلم ما سبق من قضاء الله عز وجل عليه وانه عز ذكره هكذا خلقه على ما علم واراد أن يكون عليه وشهد لذلك حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام لما قال موسى لآدم لما التقيا فى السماء ألست الذى خلقك الله بيده واسجدلك ملائكته واسكنك جنته ثم عصيته وخالفت امره؟ فقال آدم عليه السلام: أكان ذلك شيئا منى اوامرا كتبه الله عز وجل علىّ قبل ان يخلقنى؟ فقال موسى بل ذلك مما كتبه عليك قبل خلقك، قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ثلاثا فدلنا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله خلق آدم على صورته على مثل هذا المعنى وانه خلق ممن سبق العلم بحاله انه يعصى ثم يتوب فيتوب الله عليه تنبيها على وجوب جريان قضاء الله على خلقه وانه انما يحدث الامور ويتغير الاحوال على حسب ما يخلق عليه المرء ويتيسر له وهذا ايضا تأييد لمذهبنا فى اضافة تقدير الامور كلها الى الله عز وجل .

فصل

واعلم ان بعض اصحابنا المتكلمين فى تأويل هذا الخبر حاد عن وجه الصواب وسلك طريق الخطاء والمحال فيه وهو ابن قتيبة توهما انه مستمسك بظاهره غير تارك له فقال ان لله عز وجل صورة لا كالصور كما انه شيء لا كالأشياء فأثبت لله تعالى صورة قديمة زعم انها لا كالصور وأن الله خلق آدم على تلك الصورة وهذا جهل من قائله وتوغل فى تشبيه الله تعالى بخلقه والعجب منه انه تأول الخبر ثم زعم ان لله صورة لا كالصور ثم قال ان آدم مخلوق على تلك الصورة وهذا كلام متناقض متهافت يدفع اوله آخره وذلك ان قوله لا كالصور ينقض قوله ان الله خلق آدم عليها لأن المفهوم من قول القائل فعلت هذا على صورة هذا اى ماثلته به واحتذيت فى فعله به وهذا يوجب ان صورة آدم عليه السلام كصورته جل ثناؤه

ويمنع تأويله ان له صورة لا كالصور وليت شعرى الى اى وجه ذهب فى اضافة الصورة الى الله عز وجل أاراد به اثبات الرب تعالى مصورا بصورة لا تشبه الصور أم اثباته مصورا بأمثال هذه الصور ام اراد به ان له هيئة مخصوصة وصورة معينة معلومة ام رجع بذلك الى اثبات صفة له سماها صورة لا على معنى وجه الهيئة والتأليف وليس يخلو ما ذهب اليه من هذه الاقسام وكل ذلك فاسد لا يليق بالله عز وجل لاقتضائه ان يكون مؤلفا مركبا ذا حد ونهاية وبعض وغاية وكل ذلك يؤدى الى القول بنفيه تعالى وقد بينا وجه ذلك قبل ولا معنى لحمل ذلك على صفة طريقها السمع على نحو ما قلنا فى اليد والعين لخلو الكلام من فائدة لو حمل على ذلك فاذا لم يخرجوه من الوجوه التى ينقسم اليها مذهب هذا القائل فقد بان خطاؤه وعدوله عن وجه الصواب فى تأويله .

فصل

فأما ما روى فى غير هذا الخبر من ذكر الصورة كنحو حديث ابن عباس وام الطفيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ربى فى احسن صورة » فان طريق مخرج ذلك على الوجه الذى يصح لا يخلو من احد وجهين .

احدهما ان يكون قوله فى احسن صورة يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى رأيت ربى وانا فى احسن صورة كما يقول القائل رأيت الامير فى احسن زى ومراده وانا فى احسن زى ويكون فائدة ذلك تعريفنا ان الله عز وجل زين خلقته وجمل صورته عند رؤيته زيادة اكرام وتعظيم ويحتمل ان يكون معنى الصورة معنى الصفة كقول القائل صورة الامر كذا وكذا اى صفته كذا فتكون الفائدة على هذا الوجه فيه الاخبار عن حسن حاله عند الله عز وجل وتوفير الرب انعامه عليه واعظامه وذلك ان الرائى قد يرى المرئى ويكون حال الرائى عند المرئى محمودة مقبولة فيتلقاه المرئى

بالاكرام

بالاكرام والاجلال وقد يكون بخالف ذلك فيتلقاه بخلافه فعرفنا صلى الله عليه وسلم وجود زوائده وحصول فوائده عند لقاء الله عزوجل وانه كان عنده في احسن صورة واجمل حال.

والوجه الثاني ان تكون الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله وذلك ان قولك ورأيت الامير راكبا يحتمل معنيين .

احدهما ان يكون الركوب حال الرائي والثاني ان يكون الركوب حال المرئي وكلا الوجهين سائغ محتمل فاذن قلنا أن قوله في احسن صورة يرجع الى الله تعالى فان فائدته على نحو ماذكرنا ايضا قبل وهو أن يفيدنا انه رأى الله عزوجل وهو على احسن صفاته معه في انعامه عليه والاقبال والافضال اليه والاجلال ويكون حسن الصفة يرجع الى حسن الاحسان والاكرام وما تلقاه به من الرحمة والرضوان والجود والامتنان وقد يقال في صفة الله تعالى انه جميل وان له جمالا وجلالا والمراد بوصفنا انه جميل انه مجمل في افعاله والاجمال في الفعل هو فعل الجمال لمن يجملهم به وذلك نوع الاحسان والاكرام فكذلك حسن صفة الله تعالى يرجع الى ما يظهر منه من فعل النعم والابتداء بالمنن وقد يكون حسن الصورة وجمالها مما يرجع الى الرب عز ذكره من نفي التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الخبر على ذلك تعريفنا ما تزايدت من معارفه عليه السلام وعند رؤيته لربه عز ذكره لعظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده من شبه خلقه وتنزيهه من صفات النقص وتعريه من كل عيب . فاذا كان كذلك فحمل الخبر على احد هذه الوجوه هو الأليق بتوحيد الله والاولى بصفاته وبقوله عزوجل « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

فصل آخر

وقد ذكر بعض المتأولين لهذه الاخبار في تأويل ما روى عنه عليه

---

(١) هامش س ـ حسن الصفحة .

السلام فى قوله رأيت ربى فى احسن صورة، ان ذلك كان رؤيا منام وقد ذكر فى حديث ام الطفيل حديث المنام نصا وفى بعض احاديث ابن عباس رضى الله عنه قال واذا كان كذلك منصوصا فقد زال الشك فيه وان لم يكن منصوصا فان الأمر فيه محمول على ذلك وهو أن الجميع من مثبتى الرؤية ونفاتها قد قالوا بجواز رؤية الله عز وجل فى المنام وقالوا ان رؤيا النوم وهم قد جعله الله تعالى دلالة للرائى على امر يكون اوكان من طريق التعبير والأوهام قد يتعلق بالموهوم على خلاف ما عليه الموهوم فلا ينكر أن يقال مثله فيه من طريق الرؤيا لانه سبحانه يبعض تلك الاوصاف التى تعلقت بها الرؤيا متحقق وذلك معهود مثله فى احوال الرؤيا ان الرائى قد يرى فى المنام مالا يكون على ما يراه كمن يرى فى المنام كأنه يطير اوكأنه قد انقلب حمارا وهو فى موضع آخر غير الموضع الذى هو فيه فيكون ذلك توهما منه لا رؤية حقيقة وقد يصح مثله على الانبياء والاولياء إذ قد وردت الاخبار برؤيا الانبياء والصالحين انهم رأوا فى منامهم اشياء كانت احكامها بخلاف ما رأوها وصح ذلك لأنها اوهام تجرى مجرى الدلالات باختلاف طريق التاويلات .

وقد ذكر بعض اصحاب التعبير ذلك فى كتبهم الموضوعة لذلك وعبروا ذلك بتأويله كما عبروا ايضا من يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام اويرى القيامة او الجنة والنار فى سائر ما يرى فى المنام مما له تعبير قال واذا كان ذلك سائغا وقد ذكره نصا بعض الرواة وجب ان يكون التأويل محمولا عليه لاستحالة كون البارئ مصورا بالصورة والهيئة والتركيب والحد والنهاية.

وقد تهور بعض المتكلمين فى ذلك ايضا فغير اللفظ المسموع الى مالم يضبط ولم ينقل تعسف فى التأويل فقال انما هو ربى بكسر الراء وهو اسم عبد كان لعثمان رضى الله عنه رآه صلى الله عليه وسلم فى النوم على تلك الصفات وهذا غلط لأن التأويل والتخريج انما يكون لمسموع مضبوط منقول ولم يثبت سماع ذلك على هذا الوجه ولا حاجة الى مثل هذا التعسف مع اتساع طرق التأويل فى بعض

الوجوه التي ذكرنا ،وذكر بعضهم ايضا انه اراد بذلك رئي فنقل ربي على التصحيف والرئي هوالتابع من الجن قال فلا ينكر أن يكون الجن متصورا ببعض هذه الصور ،وهذا ايضا تعسف لأجل ان القول بالتصحيف انما يكون المعتمد عليه اذا روى بعض الاثبات ذلك على هذا الحد مسموعا مضبوطا ولم يمكن ان يحمل على ضربين وعلى حالين مختلفين كيف ولم ينقل على هذا الوجه ولم يثبت انه كان الاصل على هذا الحد وانما وقع التصحيف من جهة التأويل ولا حاجة تدعوا الى دعوى تصحيف على من ضبط ماسمع فنقل لأجل توهم او تعذر في تخريج معناه على الوجه الصحيح فبطل ذلك ايضا،وجميع ما ذكرنا من تلك الوجوه اقرب الى الصواب واليق لحكم الباب مما ذكرها هؤلاء المتعسفون .

ذكر خبر آخر في هذا المعنى

مما فيه ذكر الصورة — وهو ماروى بعض الرواة واظنه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتاني ربي في احسن صورة» قال محمد بن شجاع البلخي في تخريج هذا الحديث ان هذا الحديث اولا معلول من طريق الرواية وذلك انه رواه ابويحيى عن ابي يزيد عن ابي سلام وابو يحيى ضعيف ،قال وان صح معناه احتمل ان يكون اريد به اتاني ربي باحسن صورة ويكون الفاء(١) بمعنى الباء وعلى هذا قد روى ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله (هل ينظرون الاان ياتيهم الله في ظلل من الغمام)معناه بظلل من الغمام يعني تعجيل العقوبة لهم واذا كان ذلك سائغا في اللغة فيمكن ان يكون المعنى فيه ان الله عزوجل أراه ملكا من الملائكة في احسن صورة ويكون قوله أتاني ربي في احسن صورة محمولا على ان المعنى أتاني ربي باحسن صورة ويكون تاويل الاتيان به فعله به واظهاره له حتى رآه — ونظير ذلك قوله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) ذلك باظهار فعل واتخاذ تدبير لا على معنى نقلة وتحول ؛ قال محمد بن شجاع ويحتمل تأويلا آخر وهو يعني أتاني ربي في الصورة مدبرا لها

(١) يعني بالفاء « في »-ح

والصورة ملك والله عز وجل فيها بمعنى التدبير لها .

واعلم ان هذا ايضا غلط من محمد بن شجاع وانما تأول ذلك على مذهبه في قوله ان الله عز وجل في كل مكان على معنى انه مدبر لكل مكان، ونحن نأبى هذا القول ونحيد أن يقال ان الله عز وجل ثناؤه في مكان او في كل مكان على معنى انه مدبر له فلا يسوغ على اصلنا هذا التأويل من الوجه الذي ذكرنا .

فاما احاديث ابن عباس ففي بعضها زيادات الفاظ تقتضي تأويلا وتخريجا وذلك ان في بعض اخبار ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قال رأيت ربي في احسن صورة ،فقال يا محمد! فقلت لبيك وسعديك،قال فيم يختصم الملأ الاعلى؟ قلت ربي لا ادرى، قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق والمغرب ثم قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى؟ قلت رب لا ادرى قال في الكفارات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في الشتوات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فمن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه .

واعلم ان الذي يقتضي التأويل من هذا الخبر قوله صلى الله عليه وسلم فوضع كفه بين كتفي وقد روى كتفي فاما تأويل الكف فقد تأوله الناس على وجهين.

احدهما ان يكون بمعنى القدرة كما قال القائل.

هون عليك فان الامور   بكف الاله مقاديرها

يعني في قدرته تقديرها ، تدبيرها

والوجه الثاني ان يكون المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة وقد استعملت العرب لفظ اليد والاصبع والكف في معنى النعمة وذلك سائغ كثير في اللغة وذلك انهم يقولون لفلان عندي اصبع حسن ولي عند فلان يد بيضاء اي منة كاملة فيكون استعمال الكف على معنى اليد اذ كان بمعنى النعمة فعلى هذا يكون تأويل الخبر الاخبار عن نعمة الله عز وجل وفضله ولطفه واقباله عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه مالم يعرف وعلم مالم يعلم .

وإذا قلنا ان المراد به القدرة احتمل ان يكون المعنى اعترافه بالعجز واقراره بقدرة الله على ما فعل به من اللطف والعطف حتى عرف كثيرا مما لم يعرفه واما قوله « بين كتفي » فان كان صحيحا فالمراد به ما اوصل الى قلبه من لطفه وبره وزوائده وفوائده لأن القلب بين الكتفين وهو محل الانوار والعلوم والمعارف . وقد روى بين كتفي والمراد بذلك ما يقال فى قول القائل أنا فى كنف فلان وفى جانبه وفنائه اذا اراد بذلك انه فى ظل نعمته ورحمته فكأنه قال انا دنى الرب تعالى من رحمته وانعامه بملكه وقدرته حتى علمت مالم اعلمه — واما قوله فوجدت بردها فانه يحتمل ان يكون المراد بذلك برد النعمة بمعنى روحها واثرها من قولهم عيش بارد اذا كان رغدا فى رفاهية وسعة والذى يدل على ان تلك الفوائد زوائد معارف قوله على اثر ذلك فعلمت ما بين المشرق والمغرب لما نور قلبه وشرح صدره فكان ذلك باظهار آثاره وتدبيره عن رحمته فيه، وانما حملناه على ذلك لاستحالة وصف الله تعالى بالجوارح والآلة وذلك لاستحالة ان يكون ذا بعض وعضو وهذا هو ثمرة توحيد ذاته شيئا واحدا .

واما ما روى ثوبان رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر بعد قوله — فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله فى صدرى، فان تأويل الانامل على معنى تأويل الاصابع وقد انتشر فى كلام اهل اللغة لفلان على فلان اصبع حسن وقال بعض اهل اللغة ان العرب تقول لفلان على سابقة انملة اى اصبع حسن — فى نسخة تقول العرب لفلان على ابله اصبع حسن اذا احسنها واحسن اليها قال الشاعر .

ضعيف العصا بادى العروق ترى له   عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

اى اثرا حسنا واذا كان كذلك احتمل ان يكون تأويل الخبر حتى وجدت آثار احسانه وامتنانه ورحمته فى صدرى فتجلى له عند ذلك علم ما بين السماء والارض برحمة الله وفضل نعمته وسوقه الخير اليه فى ذلك .

وإذا كان ذلك سائغا فى اللغة ولا يجوز وصف الله تعالى بالجوارح والأبعاض كان طريق التأويل فيه ما ذكرنا .

فاما ما ذكر فى هذا الخبر من قوله عليه السلام مجيبا لربه عز وجل لما قال له فيم يختصم الملاء الاعلى فقال لا ادرى فوضع كفه بين كتفى الى ان ذكر فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال عليه السلام فقال لى فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت لا ادرى بعد قوله فعلمت ما بين السماء والارض ، فوجه ذلك على ما ورد فى القرآن من قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت علام الغيوب) فيكون ذلك منه اومنهم على ترك التعالم عليه وان يكون مستعملا للادب بحضرة من هو اعلم منه لأن الواجب من عادة ذلك حين لا يدعى العلم عند من هو اعلم منه به وعند من علمه ذلك العلم، ويحتمل ان يكون قد علم ما بين المشرق والمغرب بأن ارى ذلك كما روى فى الخبر انه قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها، وليس ذلك مما يتعلق بالعلم باحكام العبادات وما عليها من وجوه الثواب والكرامات جزاء على الطاعات وهو الذى كشف عنه عز ذكره له عليه السلام بعد ما قال لا ادرى .

وان حمل على ذلك لم يتناقض الكلام وصح الجمع بينهما على الترتيب الذى رتبناه .

ذكر خبر آخر مما ذكر فيه الصورة

وهو من الاخبار التى ذكرت فى الصحاح رفع الحديث الى ان قال فيأتيهم فى صورة غير الصورة التى يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه قال فياتيهم فى الصورة التى يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فياتونه .

وفى بعض الفاظ هذا الخبر انه يقول لهم أو تعرفونه اذا رايتموه؟

فيقولون نعم فيقول وبماذا تعرفونه؟ فيقولون بيننا وبينه علامة اذا رأيناه عرفناه هذا الخبر مشهور وفيه طول وقصة ذكرنا منه ما يحتاج الى تأويل وتأويل ذلك وتخريجه يحتمل وجوها .

احدها ان تكون فى ها هنا بمعنى الباء كما روينا عن ابن عباس فى قوله عز وجل (فى ظلل من الغمام) قال انه معناه بظلل من الغمام واذا كان سائغا فى اللغة ابدال الباء بفى وفى بالباء لم ينكر أن يكون معنى فى ها هنا معنى الباء وقد يسوغ ايضا فى الكلام ولا فرق فيه بين ان يقول الحركة فى المتحرك والحركة بالمتحرك واذا كان معنى الباء اعم فتقديره على هذا التخريج والتاويل ان الله عز وجل يأتيهم يوم القيامة بصورة غير صورته التى يعرفونها فى الدنيا وتكون الاضافة فى الصورة اليه من طريق الملك والتدبير كما يقال سماء الله وارضه وبيت الله وناقته على وجهة الملك والفعل لا على الوجه الذى لا يليق به فيكون المعنى فى ذلك ان الخلق عرفوا الله تعالى فى الدنيا بدلالاته المنصوبة وآياته التى ركبها فى الصور وهى الاعراض الدالة على حدوث الاجسام واقتضائها محدثا لها من حيث كانا محدثين .

واما الاتيان به فعلى معنى ظهور فعله لهم منه وهو معنى قوله تعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) وقوله تعالى (وجاء ربك) وقوله (الرحمن على العرش استوى) على احد التاويل اما قوله غير الصورة التى يعرفونها فيحتمل ان يكون المعنى فى ذلك انه يأتيهم يوم القيامة بصورة على خلاف ذلك الشكل وتلك الهيئة التى كانت الصورة عليها فى الدنيا مالم يعرفوه ولم يعهدوه ليس ذلك منكرا لأن عادات اهل القيامة وما يظهر لهم من الاهوال وعجائب الخلق من صورة الملائكة وزبانية العذاب وخزنة الجنان مما لم يعهدوا على شكلها وهيئتها فى الدنيا ، واما قوله فيقول انا ربكم فقد قال بعض اهل العلم ان هذا آخر محنة المؤمن وانه يظهر هذا القول فعلا من الله عز وجل فى بعض هذه الصور محنة للمكلفين فى الدنيا من اهل الايمان فيظهر منهم عن صدق توحيدهم

وصحة ايمانهم ما يكون انكار الذلك وتكون الفائدة فيه يعرفنا تأييد الله تعالى لاهل الايمان به فى الدنيا والآخرة وتثبيته لهم كما قال عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) اى يثبتهم فى الدنيا على الحق عند ظهور القول والمحن ويثبتهم فى العقبى ايضا فى مواضع المحن وانما قيل للدنيا دار محنة وتكليف مطلقا وان كان من نوعها قد يقع منها فى العقبى فلا يطلق عليها انها دار تكليف ومحنة بل يقال انها دار جزاء لان الغالب ذلك عليها وهذا كما يقع فى الدنيا جزاء ولا يضاف اليها لأنه لا يغلب عليها اذ لم يكن به .

واما قوله انهم يقولون اذا جاء ربنا عرفناه فيحتمل ان يكون معناه مجيئا باظهار فعل بيديه فى قلوبهم من زوائد يقين وعلم وبصر عندما يحدث لهم من ادراكه ومعانيه لأن سائر ما اضيف الى الله تعالى من اتيان ومجيء فهو لظهور نوع من تدبيره فى فضل اوعدل .

واما قوله فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونها فان معنى الاتيان متاول على الوجه الذى مضى بيانه ويكون تقدير تأويله انه اذا اظهر لهم نوع الصور المعهودة لهم شكلا وهيئة وخلق ادراكهم له وخاطبهم بان اسمعهم كلامه وافهمهم مراده تثبتوا وايقنوا ان المكلم لهم هو ربهم عز ذكره وتكون الفائدة فى ذلك تعريفنا ما يفعله الله عز وجل فى العقبى من الطافه باوليائه فى عصمتهم وحراستهم وتثبيتهم وتأييدهم حتى لا يستفزهم مشاهدة تلك الاهوال العظيمة ولا يستخفهم امر تلك الصور المنكرة التى لم يعهد وامثالها .

واما قوله انه يقول لهم اذا رأيتموه عرفتموه فيقولون نعم بيننا وبينه علامة الخبر، فان معنى ذلك انباؤنا بحسن ثباتهم اولا وآخرا وذلك بما وجدوه من فضله عز وجل فى ادامة معرفتهم وبصيرتهم وازالة قبول الخطأ والزيغ عنهم .

واما تفسير العلامة وذكر ما بينها فمن اهل العلم من قال ان تلك العلامة

العلامة التى اشاروا اليها انا نعرفه بها هو مابينه وبين خلقه فى الصور والاجسام من المخالفة والمباينة وانه لا يشبه شيئامنها ولا يشبهه شيء منها ومنهم من قال ان تلك العلامة مامعهم من المعرفة به وانهم عبدوه فى الدنيا عن معرفة بمعبود لايشبه شيئا مما عرفوه ولا يجوز أن يشبه شيئا ولا ان يشبهه شيء فاذا رأوا ماعرفوه بمثل هذه المعرفة علموا ان الذى رأوه هو الذى عرفوه فتكون علامتهم عند الرؤية معرفتهم فاذا كان مرئيهم فى العقبى معروفهم فى الدنيا أيقنوا انه هو معبودهم .

وحكى عن ابن ابى عاصم النبيل انه كان يقول فى تأويل هذا الحديث ان ذلك تغيير يقع فى عيون الرائين كنحو ما يتخيل للانسان الشيء بخلاف ما هو به فيتوهمه الشيءَ على الحقيقة .

واعلم انه لابد أن يحمل هذا الحديث على نوع مما قلنا لاستحالة ان يكون الله تعالى ذكره على صور كثيرة يجهلونه مرة ويعرفونه مرة اويكون ممن يحل الصور فينتقل الصورة لاستحالة ان يكون الله عزوجل حالا ومحلاصورة اومصورا وانما اتيانه بالصورة بعد الصورة من طريق الفعل كما يحدث الشيءَ بعد الشيءِ ويغير الجسم من حال الى حال باحداث تغيير واضافة الصورة اليه فى هذه الاحاديث فهى بمعنى الملك والفعل لابمعنى التصور بالشيءِ من الصور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لان الهيئة والصورة والتركيب والتاليف كل ذلك انما يصح على الاجسام المحدودة والجواهر المخلوقة وتعاقب الحوادث وتغير ما تقوم به فيها علامة حدث ما تقوم به .

ويحتمل ايضا وجها آخروهو ان الصورة ها هنا بمعنى الصفة فيكون تقدير المعنى فيه مايظهر لهم من بطشه وشدة بأسه يوم القيامة واظهار معايب الخلق ومساويهم وفضائحهم وانما عرفوه ساترا حليما غفارا كريما فيظهر لهم منها انذلك منه وهو معنى قوله فيقول اناربكم على معنى قول القائل قالت رجلى نخذك واذنى فطنت (١) على معنى ظهور ذلك نيهما فيقولون عند ظهور ذلك

(١) كذا

منه مستعيذين بالله هذا مكاننا اى نلبث ونصبر حتى تظهر رحمته وكرمه وهو إتيان الرب لهم باظها رجوده لهم وعطفه عليهم فيأتيهم بعد ذلك عند ثباتهم فى الصورة التى يعرفون على معنى ابداء عفوه ومغفرته وحلمه على الصفة التى يعرفونه فى الدنيا من ستره ومغفرته وحلمه .

واذا كان لفظ الصورة مستعملا فى معنى الصفة كما ذكرنا فى قول القائل عرفنى صورة هذا الامر اى صفته لم ينكر أن تكون الفائدة فى هذا الخبر ما قلنا وان يكون هذه الالفاظ من متشابه الفاظ الاحاديث جارية مجرى متشابه الفاظ آى الكتاب امتحانا بها اهل العلم لاستنباط الصحيح من معانيها والوقوف على الحد الواجب فيها وافتتان اهل الباطل بها وخروجهم عن الهدى والرشد والحق فيها على النحو الذى جرى عليه حكم متشابه آى الكتاب ومحكمها .

ذكر خبر آخر فى معنى ما تقدم ذكره

ومن هذا النمط فى هذه الاحاديث ما روى عنه عليه السلام ايضا من قوله لا شخص احب للغيرة من الله سبحانه، وقد روى هذا الحديث على وجوه اثبتها عند اهل النقل ما روى فيه انه قال لا احد اغير من الله تعالى، وروى أيضا لا شيء اغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش، وفى هذا الخبر مما يتأول لفظان احدهما لفظ الغيرة والثانى معنى الشخص فأما معنى الغيرة فهو الزجر والتحريم لأن الغيور هو الذى يزجر عما يغار عليه ويحظر الدنو منه وقد بين ذلك عقيبه بقوله ومن غيرته حرم الفواحش اى زجر عنها وحظرها .

وقد روى فى الخبر أن بعض ازواجه اهدت اليه شيئا فى غير يومها فأخبرت عائشة رضى الله عنها بذلك فبددته فقال صلى الله عليه وسلم غارت امكم اى زجرت عن اهداء ما انفذ .

ومنه ايضا ما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سعد بن عبادة سيدكم غيور وانا اغير منه والله اغير منى ومعنى ذلك انه زجور عن المحارم وانا ازجر منه والله ازجر من الجميع عما لا يجب من

الافعال .

واما لفظ الشخص فغير ثابت من طريق السند وان صح فالمعنى ما بينه فى الحديث الآخر وهو قوله لا احد واستعمل لفظ الشخص موضع احد على انه يحتمل ان يكون هذا من باب المستثنى من غير جنسه ونوعه وما كان من صفته كما قال الله تعالى (اما لهم به من علم الا اتباع الظن) وليس الظن من معنى العلم بوجه كذلك يكون تقديره ان الاشخاص الموصوفة بالغيرة لا تبلغ غيرتها وان تناهت غيرة الله عز وجل وان لم يكن شخصا بوجه وانما منعنا من اطلاق الشخص عليه تعالى لامور، احدها ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع ، والثانى ان الامة قد اجتمعت على المنع منه والثالث ان معناه ان يكون اجسا ما موافقة على نوع من التركيب وقد منعت الجسمية من اطلاق الشخص مع قولهم بالجسم فدل ذلك على تأكيد ما قلنا من الاجماع على منعه فى صفته .

ذكر خبر آخر فى معنى ما تقدم ذكره

من حديث الصورة فى خلق آدم عليه اسلام

روى ابو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والخبيث والطيب .

و روى فى بعض الاخبار ان الملك الذى حمل الى الله عز وجل الطين هو المسمى ملك الموت ولذلك سلط على قبض الارواح .

واعلم ان تأويل القبضة على معنى الجارحة والعضو والبعض مستحيل فى صفة الله تعالى لاستحالة كونه مجزا مبعضا متغايرا وذلك لاستحالة كونه جسما او اجساما على ما تقدم ذكره وبيانه من قبل، فاما ان يحمل القبضة على معنى القدرة كقول القائل ما فلان الا فى قبضتى على معنى انى قادر عليه وعلى

هذا تأولوا قوله عزوجل (والارض جميعا قبضتـه) اى تحت قدرته وملكه وقدقيل ايضا ان معنى الآية من قوله قبضته ان ذلك فى حكم الفناء تحقيقا للعاد واستشهدوا بقول القائل قبض الله نفس فلان اليه اى افناه .

فاما المراد بالقبضة فى هذا الخبر فهواجتماع جملة من اجزاء المذكور فيه من الطين شبهت فى اجتماعها بالجملة المجتمعة فى قبضة الجارحة .

واما تأويل قوله صلى الله عليه وسلم قبضها الرحمن، فيحتمل وجوها احدها ان يكون طريق ذلك وتأويله عـلى معنى اظهار فعل كما قال الله تعالى (فطمسنا اعينهم) وكما قال تعالى (اليوم نختم على افواههم) وليس ذلك طمسا وختما عـلى تأويل معناه ومباشرة ومعالجة وممارسة لما يحدث فيه الفعل بل ذلك على سائر ما يظهر من افعاله عز ذكره لأنه يفعل افعاله ابتداءاختيارا بقدرته وارادته وامره له (كن فيكون) .

ويحتمل ذلك وجها آخر وهوان يكون ذلك قبض جارحة ولكنها لبعض الملائكة ولا يمتنع وصف الملائكة بالجارحة فقيل قبضها الرحمن عـلى معنى ان الملك قبض عـلى ذلك بامر الرحمن ومثاله فى الكلام الجارى وبين الناس ضرب الامير اللص وانما امر لضربه والاصل فى ذلك اضافة الحوادث الى الملك لها باللفظ الاعم قد يضاف اليه باللفظ الاخص فان كان متضمنة عـلى التخصيص لا يصلح له على الوجه الذى يجرى على غيره فيحمل ذلك حينئذ على المتعالم المشهور بين الناس واهل الخطاب فى نسبة الفعل باللفظ الاخص الى من امربه والمراد بذلك انه حصل بما امره وحدث بقدرته وليس بمنكر فى العقول ان يكون الله عزوجل خلق طينة آدم عليـه السلام من اجزاء انواع الطين وان الاخلاق والخلق اختلفت وتفاوتت كما تفـاوتت اجزاء الطين لا لاجل تفاوتها اوجب ذلك بل خدوثها على تلك الوجوه لكنه جعلها عبرا وعلامات ربوبيته ووحدانيته التى حدثت عليه بقدرة الله واختياره .

ذكر خبر آخر فى مثل هذا المعنى

مما ذكر فى خلق آدم عليه السلام

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خمر طينة آدم اربعين صباحا ثم خلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه وخرج كل خبيث بشماله ومسح احدى يديه بالاخرى، تأويل ذلك اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة آدم عليه السلام فمعناه ماذكرنا من اضافة بعض افعاله على اللفظ الخاص كما يقال عذب وانعم وحرك وسكن والرجوع فى ذلك الى حدوث هذه المعانى منه بقدرته وتكون ذلك محمولا على حكم سائر افعاله فانها تحدث منه لاعلى معاناة ومباشرة وتخمير الطينة انماهو تغيرها من هيئة الى هيئة وتجديد ذلك عليها حالا فحالا فى هذه المدة المذكورة ليجعل هيئة آدم عليه السلام واما اخلق عليهاعبرة للعتبرين وان آدم عليه السلام كان اصله طيناعلى هذا الوجه هذه المدة المذكورة ويشبه ان يكون ما روى فى هذا الخبر ان النطفة تكون علقة اربعين ثم تكون مضغة مثلها الى ان ينفخ فيها الروح فكانت مدة تغير آدم عليه السلام من هيئة الى هيئة كنحو مدة تغير النطفة وان كان امر النطفة مفارقا لعظمة آدم عليه السلام من وجوه اخر .

واما قوله عليه السلام خلطه بيده فان تأويل قوله خلطها على معنى ماذكرنا من قوله خمر طينة آدم وقوله من قبضها الرحمن ولا الوجهين من التأويل سائغ فيه ان قلنا ان ذلك اظهار فعل واضافة اليه باللفظ الخاص من جهة الملك والتقدير سائغ وان قلنا ان ذلك على تأويل قول القائل قتل الامير اللص على انه امر به وان القتل حدث عن ملكه وحكمه كان غير منكر ايضا

واعلم انه ليس المراد باليد ههنا هو المراد بقوله خلقت بيدى لأن الخلق هو الاحداث عن العدم وخلط الشئ بالشئ باحداث له فاذا قلنا ان اضافة ذا الفعل لله عزوجل من طريق الامر وان ذلك حدث عن ايدى

بعض المخلوقين من ملائكته وخلقه فانه لا ينكر ان يكون خالط مباشرة بيد جارحة كما روى فى الخبر الآخر ان ذلك كان ملكا من الملائكة امر الله عز وجل بجميع اجزاء الطين من جملة الارض وامره ان يخلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله فيكون اليمين والشمال للملك والخلط والتخمير مضافين الى الله تعالى من حيث كان عن امره وحكمه وجعل كون بعضهم فى يمين الملك علامة لاهل الخير منهم وكون بعضهم فى شماله علامة لاهل الشر منهم وكذلك يقال فى الخبر الآخر ان الله خلق الطيب من ذريته فى الجانب اليمين من آدم والخبيث فى الجانب الشمال (وكذلك ينادون يوم القيامة باصحاب اليمين واصحاب الشمال على بعض ما يذكر من وجوه تأويل قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال ـ ١) فان رجع باليمين والشمال الى يمين الملك وشماله وكان ذلك ابتداء ما اراد ان يضع العلامة على اهل الخير والشر ثم جعلها فى صلب آدم على هذا التقدير لم يكن منكرا ويكون تأويل قوله ومسح احدى يديه بالاخرى على ما ذكرنا ان ذلك حادث جرى على ايدى بعض الملائكه لم يكن ذلك منكرا ويكون اضافة اليدين اليمين والشمال الى الملك على طريق انه جارحة له وبعض ويكون اضافة المسح الى الله عز وجل من طريق الامر والحكم والفعل له والتقدير ، ويكون اضافة الوجه الى الله عز وجل على التاويل الآخر بمعنى الملك والقدرة .

ويحتمل ان يقال فى قوله ثم خلطها بيده اى بملكه وقدرته ولا يجب على ذلك ان يحمل قوله تعالى خلقت بيدى على مثل هذا التاويل لوجوه تأكد بها دلالات وفرق بها المذكور من اليد ها هنا واحدها انه ان حمل ذلك على معنى القدرة كان فيه ابطال تفضيل آدم على ابليس وانما ذلك كلام جرى على طريق الاحتجاج على ابليس فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام وفى حمله على القدرة ما يوجب المساواة واسقاط موضع الاحتجاج به على ابليس

(١) من س .

فى تفضيله عليه فاذا قلنا ان تاويل قوله ثم خلطها بيده اى بملكه وقدرته فانه يحتمل قوله فخرج كل طيب بيمينه اى بما انعم عليه من توفيقه وتسديده وكل خبيث بشماله بما حرمه من معونته ونصرته والعرب قد تستعمل لفظ اليمين على معنى الجد والحظ من الخير قال القائل .

اذا ما راية رفعت لمجد ـ تلقاها عرابة باليمين

اى بجد وبخت وحظ فى الوصول الى المراد .

ويحتمل قوله مسح احدى يديه بالاخرى ان يكون معناه ان الله عز وجل لما خلق الذرية خلقها نوعين طيبا وخبيثا وميزها وجعل محل الطيب جانب اليمين عند يمين السعادة والتوفيق وجعل محل الخبيث جانب اليسار من آدم او من الملك الذى امره بخلط الطينة كان ذلك متميز العين والحكم ثم خلطها خلطا آخر وهو أن يجعل الطيب فى المحل الخبيث والخبيث فى المحل الطيب على تأول من تأويل قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ان معناه تولد الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر لأن مايحصل عن مسح احدى اليدين بالآخرى مختلط غير مميز فيحتمل ان يكون ذلك مثل ضربه الله تعالى لتعريف حكم السعادة والشقاوة بالفريقين من ذرية آدم فأفادنا بتعريف ذلك انه خلق طينة آدم عليه السلام من انواع طين مختلف ثم خلق ذريته نوعين فى محلين مختلفين من خليقته كما روى فى الخبر على مثال الذر وكانا مميزين فى المحل فلما حصلت فى الترائب والاصلاب حصلت مختلطة غير مميزة فكذلك يختلف الاحوال فى حكم الايمان والكفر والطاعة والمعصية على التناسل والتوالد واذا احتمل بعض ماذكرنا وكان ذلك سائغا فى العربية وحصل منه الفوائد على التأويل الذى ذكرنا كان اولى من ان يعتقد فيه ماينا فى التوحيد ويؤدى الى الكفر والتشبيه .

ذكر خبر آخر فى هذا المعنى

وقد روى فى هذه القصة ايضا فى خبر آخر ان الله عز وجل لما قبض

الذرية من ظهر آدم بكفه قال خذ أيهما شئت قال «اخذت يمين ربي وكلتا يديه يمين» ففتحها فاذا فيها صورة آدم وذريته، قال محمد بن شجاع انفرد برواية هذا الحديث حاتم بن اسمعيل وكان ضعيفا والمقبري وكان مدلسا وانتشر عنه انه كان يدلس فيما يروي عن ابي هريرة رضي الله عنه فلعل هذا الحديث من هذين الوجهين فأما اذا قيل على ما فيه امكن ان يكون تأويله على بعض هذه الوجوه التي ذكرنا اما قوله قبض الذرية من ظهر آدم فعلى الوجه الذي بينا تأويله ان القبضة اضيفت اليه ملكا وفعلا وتقديرا وحكما وأمرا واما الكف فقد ذكرنا فيما قبل انه يحتمل وجوها وذكرنا شواهد ذلك .

فان حمل على معنى القدرة والملك صح وان حمل على معنى النعمة والاثر الحسن صح لان ذلك مما حدث في ملكه بقدرته وعن ظهور نعمته على بعضهم وآثاره الحسنة فيهم .

واما قوله عليه السلام اخذت يمين ربي، فيحتمل وجوها، احدها ان اليمين لما كان محلا للطيب من ذريته اختار ما كان اختاره الله عز وجل واضيف اليمين من الله تعالى الى الله تعالى من طريق الملك والقدرة والفعل الذي جعله في اليمين من اهل السعادة وهم اولياؤه فقد اخذته على معنى اخترتهم وواليتهم واجبتهم ويحتمل ان يكون ذلك على معنى ما ذكرنا من قولهم، تلقاها عرابة باليمين، ويكون اليمين من اليمن فآثر الله من ظهرت فيهم وجوه البركة واليمن والسعادة من الله عز وجل واضيف اليمين الى الله على معنى انه هو الذي اسعده به وقوله(١) وقال محمد بن شجاع معناه اني رددت امري في ذلك الى ربي تعالى واخترت ما اختار وفوضت اليه لأنه قال له خذ أيهما شئت فترك ان يختار ورد الامر اليه كأنه اراد اخترت ما يختار وآثرت ما يؤثره واما قوله صلى الله عليه وسلم وكلتا يديه يمين فقد ذكر بعض مشايخنا في تأويل ذلك انه كان يقول ان الله عز ذكره الموصوف بيد الصفة لا يد الجارحة

(١) كذا

وانما تكون يد الجارحة يمينا وشمالا لأنهما يكونان لتبعيض وتجزى ذى اعضاء واغيار ولما لم يكن ماوصف الرب به يد جارحة وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله «وكلتا يديه يمين» اى ليست هي يد جارحة وقيل ايضا فى ذلك ان المراد ان الله عزذكره لما وصف باليدين ويد الجارحة تكون احداهما يمينا والاخرى شمالا واليسرى تنقص ابدا فى الغالب عن اليمين فى القوة والبطش عرفنا صلى الله عليه وسلم كمال صفة الله عز وجل وانه لا نقص فيهما وان ما وصف به من اليدين ليس كما وصف به ذوا الجوارح الذى تنقص مياسره عن ميامنه. ويحتمل ايضا ان يكون معنى ذلك ان آدم عليه السلام لما قيل له خذ ايهما شئت فقال اخذت يمين ربي وكلتا يديه يمين انما اراد به بيان الشكر والنعمة لا بيان الحكم والاعتراف بالملك فذكر الفضل والنعمة لأن جميع ما بيديه جل وعز من منه فضل و طول مبتدا فمن منفوع ينفعه ومن مدفوع عنه يحرسه فقصد قصد الشكر والتعظيم للنة وان ما اختاره هو الكل والجميع خطا مما وراءه تضعيرا لهم و تهجينا وقال بعضهم معنى «كلتا يديه يمين» اراد وصف الرب تعالى بغاية الجود والكرم والاحسان والفضل وذلك لان العرب تقول لمن هوكذلك كلتا يديه يمين واذا نقص حظ الرجل وبخس نصيبه قيل جعل سهمه فى الشمال واذا لم يكن عنده اجتلاب منفعة ولادفع مضرة قيل ليس فلان باليمين ولا بالشمال ولذلك قال الفرزدق يمدح «كلتايديه يمين غير مختلفة».

ذكر خبر آخر فى هذا المعنى

وروى فى خبر آخر ان يمين الله سبحانه سحاء لا يغيضها شيء معناه عطايا الله كثيرة لا ينقصها شيء والى هـذا المعنى ذهب المرار الشاعر حيث يقول .

وان على الاوايد من عقيل فهى كلتا يديه له يمين

والعرب تعبر عن النعم والافضال باليد واليمين كلتيهما . وروى فى

الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لنسائه « اطولكن يدا اسرعكن موتا » فكن يتذارعن فكانت سودة اطولهن يدا فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت زينب اولهن موتا بعده فقلن كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم ذكرن انها كانت اطولهن يدا فى الخير فبان ان العرب تعبر عن النعم والافضال باليد واليمين .

خبر آخر فى هذا المعنى

ومثل هذا الخبر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وقد تأول الناس ذلك على تأويلين فمنهم من قال معناه عن يمين عرش الرحمن على طريقة العرب فى الحذف والاضمار كما قال القائل .

واستب بعدك يا كليب المجلس .

يعنى اهل المجلس وكما قال عزوجل (واشربوا فى قلوبهم العجل) اى حبه وقال بعضهم معنى قوله عن يمين الرحمن اراد به المنزلة الرفيعة والمحل العظيم وهذا سائغ فى لغة العرب وذلك انهم يقولون كان فلان عندنا باليمين اى كان له عندنا المحل الجليل والرتبة العظيمة ولذلك قال الشاعر .

اقول لنا فتى اذ بلغتني لقدا صبحت عندى باليمين

اى المحل الجليل واذا كان هذا معروفا فى اللغة فيما بينهم واستحال وصف الله تعالى بالحد والجهة والبعض والغاية والتأليف والمماسة وجب ان يكون محمولا على ما قلنا .

ذكر خبر آخر فى هذا المعنى

ومثله ايضا ما روى فى خبر آخر عن ابن عباس قال « الحجر الاسود يمين الله فى ارضه يصافح بها من شاء من خلقه » وقد تأول اهل العلم ذلك

على وجهين من التأويل احدهما ان المراد بذلك الحجر انه من نعمة الله على عباده بان جعله سببا يثابون على التقرب الى الله تعالى بمصافحته فيؤجرون على ذلك وقد بينا ان العرب تعبر عن النعم باليمين واليد كما ذكرنا قبل وزعم بعضهم ان هذا تمثيل واصله ان الملك اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكأن الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك يستلم ويلثم وقد روى فى الخبر أن الله عز وجل اخذ الميثاق من بنى آدم واشهدهم على انفسهم (ألست بربكم ؟ قالوا بلى) جعل ذلك فى الحجر الاسود فلذلك يقال عنده ايمانا بك ووفاء بعهدك ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون قوله الحجر يمين الله فى ارضه انما اضافه اليه على طريق التعظيم للحجر وهو فعل من افعال الله عز وجل سماه يمينا ونسبه الى نفسه وامر الناس باستلامه ومصافحته ليظهر طاعتهم بالائتمار وتقربهم الى الله عز وجل فحصل لهم بذلك البركة والسعادة .

خبر آخر مما يقتضى التأويل

ويوهم ظاهره التشبيه وهو ما روى ان الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ووضع احدى رجليه على الاخرى ثم قال لا ينبغى لاحد ان يفعل مثل هذا واكدوا ذلك بما روى عن كعب انه نهى الاشعث بن قيس ان يضع احدى رجليه على الاخرى وقال انها جلسة الرب تعالى .

تأويل ذلك اعلم ان قوله لما قضى خلقه اى لما تمم خلقه ما اراد ان يخلق من السموات والارضين وما بينهما ومثاله فى اللغة قضى فلان دينه وصلاته اى اداه ومثاله قوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) اى خلقهن وقوله (فاذا قضيت الصلوة) اى فرغ منها واديت واما قوله استلقى فقد تأول اهل العلم ذلك على وجهين احدهما ان يكون المراد به ان الله عز وجل لما خلق ما اراد ان يخلق من السموات والارضين وما بينهما ترك ان يخلق مثلهم دائما ابدا ولو شاء لأدام ذلك لان هذه كلمة تستعمل فى اللغة والعادة على هذا المعنى كثيرا ويقال مثله لمن عمل اعمالا ثم ترك ان يفعل مثلها ويديم ذلك وقد قيل

للانسان فعل ووضع فانه يكون بمعاناة وحركة وتعالى الله عن ذلك وانما هذا كالمثل المضروب بين الناس فيقال بنى فلان داره وعمرها واستلقى على ظهره وان لم يكن قد اضطجع على التمثيل بمن كان على هيئة من يفرغ من عمله ولم يرد ان يفعل مثل ما فعل.

والتأويل الثانى ان يكون معناه لما خلق الله ما اراد ان يخلقه من هذه الجمل التى خلقها استلقى على معنى القى بعضها على بعض فجعل السماء فوق الارض والقى فى الارض رواسي ان تميد بهم وجعل سماء فوق سماء الى العرش اطباقا بعضها فوق بعض ويكون دخول السين والتاء فى القى هاهنا على معنى قول القائل استدعى واستبرأ ونحوه اذا اراد الدعاء والبراءة فلما خلق الله عز وجل ما خلق واراد ان يلقى بعضه على بعض قيل له استلقى على معنى القى شيئا منه على شيء وهو على الهيئة المعروفة المعتادة، واما قوله ثم وضع احدى رجليه على الاخرى، ففيه ايضا وجهان من التأويل احدهما ان يكون المراد به ان الله عز وجل خلقهم فريقين وزوجين شقيا وسعيدا وغنيا وفقيرا وصحيحا وسقيما فسمى كل صنف منها رجلا ثم وضع احداهما على الاخرى معناه انه رفع قوما على قوم فجعل بعضهم ملوكا وبعضهم عبيدا وبعضهم سادة للخيرة والمحنة.

والوجه الثانى ان يكون الله تعالى سمى الجماعتين رجلين لان العرب تسمى الجماعة الكثيرة رجلا وكذلك يقولون مربنا رجل من جراد اى جماعة كثيرة واما معنى النسبة اليه فمن طريق الفعل والملك كما نسب روح آدم اليه واما روى عن كعب فى نهيه الاشعث عن وضع احدى رجليه على الاخرى فقد قيل ان كعبا كان يأخذ العلم من الكتب وفى الكتب تحريف لما اخبرنا الصادق بأنهم حرفوه وبدلوه على ان كعبا لم يقل ايضا اى رب هو وذلك لفظ مشترك ويحتمل ان يخرج ذلك ايضا على ان معناه ان هذا جلسة الجبابرة فزجره عن التشبيه بهم لأن العرب تقول للعظيم الشان الرب، وتحقيق ذلك ما قال الحكم بن عتبة عن ابى مجلز قال سألته عن الرجل يجلس و يضع احدى رجليه

على

على الاخرى قال لا بأس انما كره ذلك اهل الكتاب زعموا ان الله سبحانه خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يوم السبت فجلس تلك الجلسة وانزل الله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) وبلغ الحسن ذلك فقال انما ذلك شئ كانت اليهود تقوله فلما جاء المسلمون انكروا ذلك وروى الزهرى عن عباد بن تميم المازنى عن عمه عبدالله بن زيد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا فى المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وكان ابوبكر وعمر يفعلان ذلك رضى الله عنهما .

ذكر خبر آخر مما يوهم التشبيه ويقتضى التأويل

وهو من الاحاديث الصحيحة عند اهل النقل روى قتادة عن انس وابن سيرين عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان جهنم لن تمتلىء حتى يضع الجبار قدمه فيها فتقول قط قط – وقد روى من وجه غير ثابت عن اهل النقل حتى يضع الجبار رجله فيها فتنزوى فيقول قط قط . اعلم ان هذا الخبر مما طلب اهل العلم قديما وحديثا تأويله وتخريجه بحسن طريقه وصحة سنده وقد حمل كل فريق منهم ذلك على تأويل رأوه صوابا فمن ذلك ما يحكى عن النضر بن شميل انه كان يقول ان معنى القدم ههنا هم الكفار الذى سبق فى علم الله تعالى انهم من اهل النار وحمل معنى القدم على انه هو المتقدم لأن العرب تقول للشيء المتقدم قدم وقدم وعلى ذلك تأول المتأولون قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى سابقة صدق – وقال ابن الاعرابى القدم هو المتقدم فى الشرف والفضل خصوصا والقدم هو المتقدم وان لم يكن فيه شرف وقال وضاح اليمن .

صل لربك واتخذ قدما ينجيك يوم العثر والزلل

الصواب صل لمولاك اراد بذلك معنى من الفضل يتقدم ربه وقال آخر .

قعد لفخار فاصبحت ـا نسابه منقضة من حالق

د ئ ما ر ف وما يفتخر به انه عدم ذلك ونقده وقال العجاج

ل ، آل الحكم ونشأ الملك بملك ذى قدم

ـر ف والملك وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله

قد ما ويضيفه اليه من طريق الفعل والملك يضعه فى

ـهم ان المراد ها هنا قدم بعض خلقه فاضيف اليه كما

ـ فيضاف الضرب اليه على معنى انه من امره وحكمه

ر ههنا يحتمل ان يكون اريد به الموصوف بالتجبر

الا وصاف المشتركة وليست هى من الاوصاف

ـ وصف الكفار ألا تسمع قوله عز وجل (كل جبار عنيد)

ن كذلك احتمل ان يريد بقـ له الجبار جنسا من الجبارين

را ديعر فنا امتلاء النار بهم وان جهنم لن تمتلى الا بهم .

الجبار ههنا ابليس وشيعته وذلك انه اول من استكبر

صفه (الا ابليس استكبر وكان من الكافرين) والتجبر

. احد وجهنم تمتلئ به وبشيعته واتباعه ولا ينكر وصفهم

ماء واذا احتمل لفظ القدم هذه المعانى فكذلك يحتمل لفظ

الله عز وجل من المتجبرين لم يكن لحمله عـلى مالا يليق بالله

لجوارح والابعاض اليه وجه ، فاما من روى هذا الحديث

قلنا ان هذا غير ثابت عند اهل النقل وان ثبت فمعناه لايخلو

كرناها اما ان يريد به رجل بعض خلقه واضيف اليه ملكا

ـ المتجبر المتكبر من خلقه اما اولهم وهو ابليس او من بعده

نما ان الرجل فى اللغة يقال للجماعة الكبيرة تشبيها برجل

ب تقول مر بنا رجل من جراد اى قطعة منه فيكون معنى

الخبر

الخبر حتى يدخلها خلق كثيرون ويشبهون من الكثرة الجماعات برجل الجراد وفى ذلك انشد قول القائل.

(متى انزوى، اليهم من الحى اليمانين أرجل) اى جماعات كثيرة واذا كان هذا معروفا فى اللغة فحمل الخبر على مثله اهدى الى الحق واولى فى وصف الرب الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

واما قوله تقول قط قط اى حسبى كما يقول العرب.

امتلأ الحوض وقال قطنى مهلا رويدا قد ملأت بطنى

ويقال ايضا ان ذلك حكاية صوت جهنم وقد روى فى نحو ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كثافة جلد الكافر فى النار تبلغ اربعين ذراعا بذراع الجبار وهذا مما بين لك ان لفظ الجبار ليس مما لا يستعمل الا فى صفة الله عز وجل لأن المراد بالجبار ههنا الموصوف بطول الذراع وعظم الجسم والعرب تقول نخلة جبارة اذا كانت طويلة يفوت اليد طولها وكذا قال عز وجل (وما انت عليهم بجبار) واذا كان لفظ الجبار محتملا لما قلناه ولا يسوغ وصف الله سبحانه بالابعاض والاجزاء وكان حملنا له على ذلك يفيد فائدة متجددة لم يكن لحمله على مالا يليق بالله سبحانه وجه من توهم الجارحة والاداة والعضو والآلات فى صفته.

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل ويوهم التشبيه

مما ذكره الناس فى هذا الباب مما يدخل فى معناه هو ما روى عن عبيد بن عمير انه قال ان الله تعالى يقول لداود عليه السلام يوم القيامة مر بين يدى. فيقول انى اخاف ان تدحضنى خطيئتى فى النار. فيقول مر خلفى فيقول انى اخاف ان تدحضنى خطيئتى فيقول خذ بقدمى فيأخذ بقدمه فيمر قال فتلك الزلفى التى قال الله سبحانه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب).

اعلم اولا ان عبيد بن عمير ليس بحجة ولا هو ممن يجوز أن يعتقد فى

الله انه محدود بقوله على انا نذكر لكلامه وجها صحيحا وتأويلا قريبا فنقول يحتمل ان يكون معنى قوله عزوجل لداود مر بين يدى اى حاسب نفسك قبل ان اسئلك فتكون محاسبتك لنفسك اجدى عليك منها قبل ان اسئلك عنها وتصديق ذلك قوله عز ذكره (لا تقدموا بين يدى الله) اى لا تسبقوا قبل حكم الله عليكم فى الشيء فكذلك قوله لداود عليه السلام مر بين يدى اى خذ فى محاسبتك لنفسك قبل مسئلتى لك فيقول داود عليه السلام اخاف ان تدحضنى خطيئتى اى اذا حاسبت نفسي ولم تصفح عنى فى محاسبتى لنفسى بان تسترعلى وتعفو عنى وكذلك فى خلف تأويله مثل ذلك لما قال مر من خلفى فقال اخاف ان تدحضنى خطيئتى انما خاف ان يبتدئ بمحاسبة نفسه فقال فابتدئ بالمسئلة ليكون جوابك بعد ما اسئلك فخاف مثل ذلك فقال خذ بقدمى اى بما قدمت لك من العفو والغفران والرحمة فقد صفحت عنك وغفرت لك وتقدم حكمى بذلك فى سابق علمى، ومما يبين ذلك ان مثل هذا اللفظ قد يستعمل فيما ليس بمحدود ايضا ولا متناهى ولا ذى جوارح كقوله عزوجل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ولم يرد الامكنة بل اراد فيما تقدم من قول الكافرين ولا الباطل الذى يأتى من بعده وقوله خذ بقدمى اليك كما يقال فيما بيننا خذ باحسانى اليك ودع ما اسأت الى ولا تأخذ به والذى يؤيد جميع ذلك قوله فى آخر القصة فتلك الزلفى قال عزوجل (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) يكشف لك عن المراد انه أريد به ما ذكرناه من تقدم الرحمة له لا قدم جارحة على النحو الذى تأولنا عليه قوله حتى يضع الجبار فيها قدمه وفسر المفسرون قوله (ان لهم قدم صدق) ان ذلك ليس يرجع الى الجارحة والآلة واذا احتمل من طريقة العربية ماذكرنا وكان مثله فى الخطاب مستعملا والعرف فيه جاريا كان ماحملناه عليه اولى مما يتوهمه المشبهون من اثبات الجوارح والابعاض لله تعالى واولى مما ذهب اليه المعطلة من ابطال هذه الاحاديث لما بينا من الفوائد التى تتعلق بها ما يشهد بمثله القرآن .

ذكر

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل ويوهم ظاهره التشبيه

فمن ذلك ماروى مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يضحك الله تبارك وتعالى الى رجلين يقتل احدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة يقاتل هذا فيقتل فى سبيل الله ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فى سبيل الله فيستشهد وكذلك ماروى الفضل بن دكين ابو نعيم عن اسمعيل بن عبد الملك عن على بن ربيعة قال حملنى امير المؤمنين على رضى الله عنه خلفه حتى مربنا الى جبانة الكوفة ثم رفع رأسه الى السماء فقال« اللهم اغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب احد غيرك »ثم التفت الى يضحك فقلت ياامير المؤمنين استغفارك لذنبك والتفاتك الى ضاحكا لماذا ؟ فقال حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه الى موضع ذكره ثم رفع رأسه الى السماء فقال«اللهم اغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب احد غيرك » ثم اتفت الى يضحك فسألته عن ذلك فقال ضحكت لضحك ربى يعجب لعبده انه يعلم انه لا يغفر الذنوب احد غيره وحديث عطية العوفى عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه ليضحك الى ثلاثة رجل قام فى جوف الليل واحسن الطهور ثم صلى ورجل نام ساجدا ورجل نجا كتيبة منهزمة وهو على فرس جواد واو شاء ان يذهب لذهب .

وماروى عن عدى بن عميرة ان الله يضحك فى كل يوم وليلة مرتين وماروى انه عليه السلام قال يضحك ربنا من قنوط عبده قال ابورزين قلت يا رسول الله أيضحك الرب ؟ قال لن نعدم من رب يضحك خيرا .

تأويل ذلك

اعلم ان هذا الحديث من الاخبار المشهورة عند اهل النقل

و بعضها يبين معنى بعض فمن ذلك ان لفظ الضحك مشترك المعنى فى اللغة ويختلف احكامه باختلاف من يضاف اليه ذلك و يوصف به وليس هو من الالفاظ التى تختص بمعنى واحد حتى لايليق به غيره فمن ذلك ان العرب تقول فى تكشير اسنان الانسان وثغر فيه اذا وقع على وجه مخصوص ضحك وكذلك تقول ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر فيها النبات وانفتق عن زهره وكذلك قالت العرب لطلع النخل اذا انفتق عنه كافوره الضحك لاجل ان ذلك يبد ومنه مع البياض الظاهر كبياض الثغر يقولون ضحك الطلعة اذا ظهر منها ماكان مستترا وكذلك قال القائل (يضاحك الشمس منها كوكب شرق) .

وقال ابن الاعرابى ينشد فى الربيع .

أماترى الارض قد اعطتك زهرتها مخضرة فاكتسى بالنور عاليها
وللسماء بكاء فى جوانبها وللربيع ابتسام فى نواحيها

يريد بالابتسام ظهور النبات فيها وطلوع النور عليها وانشد بعضهم فى معنى ذلك .

كل يوم باقحوان جديد يضحك الروض من بكاء السماء

وكذلك (وضحك المزن بها) يريد بالمزن السحاب وبضحك البرق الذى ظهر منه وبيكائه المطر وحكى عن بعضهم ان العرب تقول للطريق الواضح البين هذا طريق ضاحك وهذا طريق لاحب اذا ارادوا وصفه بالظهور واعلم ان معنى مرجع الضحك فى جميع هذا الذى ذكرنا الى البيان والظهور وان كل من ابدى امراكان يستره فانه يقال له ضحك وكذلك يقال لمن ابرز المكتوم واظهر المستور ذلك فعلى هذا معنى الخبر فى قوله عليه السلام (يضحك الله) اى يبدى عزوجل من فضله ونعمه وتوفيقه لهذين الرجلين المقتولين فى سبيل الله اللذين قتل احدهما صاحبه ثم قتل قاتله بالشهادة ثانيا من

بعد توبته من قتله وبين من ثوابهما واظهر من كرامته لهما وكذلك معنى ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الخبر الآخر انه قال ضحكت لضحك ربى اى اظهرت انا عن اسنانى بفتح فمى لاظهار ربى سبحانه فضله وكرمه لمن قال هذا القول وهو قوله «اللهم اغفرلى ذنوبى انه لايغفر الذنوب احد غيرك» واذا كان الضحك مما استعمل فى اللغة على وجوه مخصوصة منها تكشير الاسنان وفتح الفم ومنها ظهور المكتوم من الامور وبروز المستور من الفعل وكان يستحيل وصف الله عزوجل بالجوارح والعينين لحلول الحوادث فى ذاته وجب ان يكون محمولا على ما يصح ويجوز فى وصفه وذلك هو الابانة عن فضله والاظهار لنعمه ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لابى رزين العقيلى لما قال له يا رسول الله أيضحك ربنا فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا وهذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى وصف الله تعالى ذكره وتقدست اسماؤه بالقدرة على فعل النعم وكشف الكرب والستار عن الخفيات والكشف عن الامور المستورة فرقا بينه وبين الاصنام التى لا يرجى منها خير ولا شر واذا كان ذلك رجوعا الى القدرة على الافعال بالدفع والنفع فقد صح ما قلناه وبين عليه السلام بذلك عما اليه اشرنا فاما ما بين لك من الخبر المروى فى هذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لابى رزين العقيلى لن نعدم من رب يضحك خيرا اى يبدى من فضله ويظهر من مننه ما يبدى الضاحك ومما يستر عنه تشبيها فى معنى اظهار ما كان مكتما وابداء ما كان مخفيا واذا احتمل التأويل ما ذكرنا واستحال وصف الله تعالى بالجوارح والابعاض وجب ان يحمل على ما قلنا .

ذكر خبر آخر مما يقتضى (التاويل) ويوهم ظاهره التشبيه

وهو ما روى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال خلق الله تعالى الملائكة من شعر ذراعيه و

صدره اومن نورهما.

تأويل ذلك

اعلم ان اول ما فيه ان عبد الله بن عمرو لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عبد الله بن عمرو اصاب وسقين من الكتب يوم اليرموك فكانوا يقولون له اذا حدثهم حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدثنا من وسقك يوم اليرموك - وقد بينا فيما قبل ان الذى ذهب الى ظاهر التشبيه وحمل الامر فى معنى هذا الخبر على ما هو جوارح الانسان واعضاؤه هم اليهود ولذلك كان وهب بن منبه يقول انما ضل من ضل بالتأويل يروى فى كتب دانيال انه لما علا الى السماء السابعة فانتهى الى العرش رأى شخصا ذا وفرة فتأول اهل التشبيه ان ذلك ربهم عز وجل جهلا منهم بالتاويل وانما ذلك ابراهيم الخليل عليه السلام ، على ان هذا الحديث قد رواه اسامة ولم يقل فيه ذراعيه وصدره بل قال من نور الذراعين والصدر مطلقا غير مضاف فان كان ذلك لم ينكر ان يكون صدرا وذراعين لبعض خلقه ولم ينكر ايضا ان يكون الصدر والذراعان من اسماء بعض مخلوقاته وقد وجدوا فى النجوم ما يسمى بذراعين وليس بمستنكر ان يسمى بهذا الاسم غيره من الخلق فيكون ما خلق من الملائكة خلق من ذلك وتكون الفائدة فيه التنبيه على ما فى قدرته عز وجل من خلق المخلوقات وانشاء المحدثات وانه لا يعوزه عظيم ما يخلقه ولا يعجزه .

وقد قيل فى تأويل قوله عز وجل (يوم يقوم الروح والملائكة) ان الروح ملك من الاملاك يكون وحده صفا والملائكة كلها بازائه صفا .

واما ما فى حديث سفيان بن عيينة من قوله شعر ذراعيه وصدره فيحتمل ايضا ان يتأول على ان ذلك اضافة من طريق الملك وشبه من طريق الفعل كما قال فى قصة آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحى) واضاف الروح الى نفسه اضافة ملك وتقدير لا اضافة بروح بها اوحلول فى ذاته تعالى والذى يؤيد

ذلك

ذاك ما كان يقوله ابن شهاب اذا روى هذا الخبر ومثله فانه كان يقول عند ذلك والاذرع كلها لله عزوجل والاصابع كلها لله عزوجل يشير الى معنى الملك العام كسائر المملوكات وهذا نظير ما يحكى عن الاوزاعى عند روايته لخبر النزول وذلك انه كان يقول عند ذلك ويفعل الله ما يشاء يعرفهم ان ذلك نزول فعل لا نزول تحول وانتقال من مكان الى مكان هذا يبين لك صحة ما اومينا اليه من ان هذه الاضافة من طريق الفعل والملك لأن سائر ما يضاف اليه عز ذكره لا يخرج عن مثل هذا المعنى اذا لم تكن الاضافة على طريق اضافة الصفة الى الموصوف بها من جهة القيام بذاته على الوجه الذى يوجب له اشتقاق الاسم والحكم - فان قيل فاذا اجزتم هذه الطريقة فكيف انكرتم قول النصارى حيث قالت ان عيسى ابن الله على طريق الكرامة وعلى طريق الملك والفعل .

قيل الاصل فى سائر هذه الاضافات بهذه الاوصاف الخاصة التى تجرى من طريق الملك والفعل على من يضاف اليه ويوصف به السمع ولا يجوز اطلاق شىء من ذلك على الوجه الخاص الا ان يتقدمه سمع ولذلك يكون الامر فيه مقصورا عليه ولا يتعداه ونحن فلم نجد فى شريعتنا اطلاق ذلك بل وجدنا فى الشريعة ما يحظر ذلك ولا يجوز اطلاقه بوجه واعلم انه قد يصح معنى الوصف والاضافة فى ذكر الله مع شىء من افعاله من طريق المعنى من حيث اجازة العقول له ثم لا يسوغ اطلاق الاسم والوصف والاضافة فى ذلك من حيث حظرت الشريعة منه ومن حيث لم يرد به سمع لقيام الدلالة على ان هذا الباب مقصور على السمع فقط ولا مجال للعقول فيه فلذلك كان اطلاقه موقوفا على ما خصه السمع به دون ما لم يرد به سمع وهذا هو (جواب عن سائر ما يمكن ان يسأل عنه فى هذا الباب من ذكر تخصيص-(١)) بعض الاسماء والاضافات الى الله تعالى دون بعض مما يملكه ويفعله وكل من حاد عن مثل هذه الطريقة فى هذا الباب لم يجد فصلا بين الامرين من جهة العقول فتفهمه ان شاء الله تعالى .

---

(١) من س

خبر آخر مما يقتضى التأويل

ويوهم ظاهره التشبيه وتأويله ومعناه

روى ابو رافع عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك تعالى يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى فيقول اى رب وكيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده ويقول يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقنى فيقول يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين فيقول تبارك وتعالى اما علمت ان عبدى فلانا استسقاك فلم تسقه اما علمت انك لو اسقيته لوجدتنى عنده قال ويقول يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى فيقول يا رب وكيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدتنى عنده. واعلم ان الذى يجب ان يبين من هذا الخبر قوله اما انك لو عدته لوجدتنى عنده، واما قوله مرضت فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم وبين معنى ذلك اشارة الى مرض وليه فاضافه الى نفسه اكراما لوليه ورفعا لقدره وهذه طريقة معتادة فى الخطاب عربية وعجمية وذلك ان يخبر السيد عن نفسه ويريد عبده اكراما له وتعظيما حتى كأنه هو توهم من جلالته وعظم منزلته مساواته له فى المنزلة والجلالة وعلى هذه الطريقة يحمل قوله تعالى (الذين يحادون الله ورسوله) وقوله (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وقوله (ان تنصروا الله ينصركم) وماجرى هذا المجرى من الآى والاخبار التى ذكر فيها نفسه واراد اولياءه وانبياءه وعلى مثله يحمل قوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) اى اسفوا اولياءنا واغضبوا انبياءنا والناصرين لديننا ولمن كان عليه مقيما لاستحالة ان يغضب الله تعالى وان يؤذى ويحارب، واما قوله اما انك لو عدته لوجدتنى عنده معناه اى وجدت رحمتى وفضلى وثوابى وكرامتى فى عيادتك له وهذا ايضا كالاول فى باب انه ذكر الشيء باسمه واريد غيره كقوله تعالى (واسئل

القرية

القرية) (وأشربوا فى قلوبهم العجل) وهذه طريقة معتادة غير مستنكرة واذا كان كذلك فالاولى ان يحمل الخبر عليه وعلى مثله يتأول قوله عز وجل (ووجد الله عنده) على معنى انه وجد عقابه وحسابه فذكر الله تعالى واضيف الفعل اليه والمراد فعله على النحو الذى بيناه ونظائره فى كلام العرب ومثاله ايضا قوله عليه السلام فى احد «هذا جبل يحبنا ونحبه» ومعنى ذلك اهله اى يحب الساكنون بفنائه والمقيمون فى ساحته ونحبهم واذا احتمل الخبر ما ذكرناه ولا يجوز على الله تعالى الحلول فى الاماكن لاستحالة كونه محدودا ومتناهيا وذلك لاستحالة كونه محدثا وجب ان يكون محمولا على ما قلناه .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل

ويوهم ظاهره التشبيه وتأويله ومعناه

روى صفوان بن محرز انه كان يماشى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال له يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى قال سمعته عليه السلام يقول يدنى المومن ربه يوم القيامة حتى يضع الجبار كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ فيقول رب اعرف فيقول له هل تعرف ؟ فيقول رب اعرف فيقول عز ذكره انى سترتها عليك فى الدنيا وانى اغفرها لك فيعطى صحيفة حسناته ، واما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الاشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) .

تأويله

اما قوله عليه السلام يدنى العبد من ربه يوم القيامة فمعناه انه يقرب من رحمته وكراماته وعطفه ولطفه هذا سائغ فى اللغة ان يقال فلان قريب من فلان ويراد به قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده وعلى هذا يقال ان اولياء الله قريبون من الله كما ان اعداءه بعيدون منه ويعنى بذلك قرب المنزلة وعلو المرتبة ، ويراد ببعد اعداء الله منه بعدهم من رحمته وكرامته وكذلك

يقال ان الله عز وجل قريب من اوليائه بعيد من اعدائه ، ويقال ايضا هو قريب من خلقه والمعنى فيه قربه منهم علما بظواهرهم وبواطنهم وقدرته على اوائل امورهم واواخرها وعليه يتأول قوله تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (ونحن اقرب اليه منكم) لان ذلك يرجع الى القرب بمعنى العلم والقدرة والسمع والبصر فاما الذى هو قرب بمعنى الكرامة فهو كقوله تعالى (فكان قاب قوسين اوادنى) فى ان المراد به قرب المنزلة وتوفيره الكرامة فاما قوله (ان رحمة الله قريب من المحسنين) فتوسع لأن الرحمة لا توصف بالعلم والقدرة ولا بالاكرام والفضل واذا كان ذلك سائغا فى اللغة كان قوله يدنى العبد من ربه يوم القيامة محمولا على مثله لاستحالة المساحة والمسافة وبعد المكان والنهاية على الله عز وجل ، واما قوله عليه السلام فيضع الجبار كنفه عليه فانه يبين ما اشرنا اليه فى معنى الدنو انه على تأويل قرب المنزلة والدرجة وذلك ان اللفظ فى الكنف انما يستعمل على مثل هذا المعنى الا ترى انه يقال انا فى كنف فلان وفلان فى كنفى اذا اراد ان يعرف اسباغ فضله وعطفه وتوفيره عليه، فاما ما رواه بعض الرواة حتى يضع الجبار كتفه عليه فقد ذكر جمع من اهل العلم ان ذلك تصحيف من الراوى لان الاثبات قد ضبطوا هذا الحرف على الوجه الذى ذكرنا بالنون ، واذا كان ذلك مضبوطا والمعنى الذى حملناه عليه مشهورا كان اولى مما قالوا مع انه ان صح فانه يؤول الى معنى ما ذكرنا مع انه غير جار فى الخطاب ولا مستعمل فى اللسان مثله ان يقال وضعت كتفى على فلان بمعنى رحمته وتعطفت عليه وان يؤول ذلك على الوجه الا بعد وجعل الكتف ها هنا مستعملا على معنى النعمة كما يستعمل اليد والاصبع على معنى النعمة والاثر الحسن والكرامة كان طريقا ويكون استعمال الكتف فى معنى اليد لانه اصله وبعضه انما هو جارحة ويكون استعمال ذلك فيه مجازا هذا اذا صح انه قد ضبط ذلك اتاه على الوجه الذى قالوا مع انه غير معروف ولا مضبوط فاعلم .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل

ويوهم ظاهره التشبيه

وهو من الاخبار المشهورة عند اهل النقل وذلك مما يتعلق بذكر المكان وقد روى فى معناه اخبار سنذكرها اولا فاولا فمن ذلك ما روى فى الخبر أن جارية عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن اريد عتقها فى الكفارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها اين الله ؟ فاشارت الى السماء فقال صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة .

ذكر تأويل هذا الخبر

اعلم ان الكلام فى ذلك من وجهين احدهما فى تأويل قوله صلى الله عليه وسلم اين الله مع استحالة كونه فى مكان والثانى قوله انها مؤمنة من غير ظهور عمل منها فاما الكلام فيما يتضمن قوله صلى الله عليه وسلم اين الله فان ظاهر اللغة تدل من لفظ اين انها موضوعة للسؤال عن المكان ويستخبر بها عن مكان المسؤل عنه باين اذا قيل اين هو وذلك ان اهل اللغة قالوا لما ثقل على اهل اللسان فى الاستفهام عن المكان ان يقولوا أهو فى البيت ام فى المسجد ام فى السوق ام فى بقعة كذا وكذا وضعوا لفظة تجمع لجمع الامكنة يستفهمون بها عن مكان المسؤل عنه باين وهذا هو اصل هذه الكلمة غير انهم قد استعملوها عن مكان المسؤل عنه فى غير هذا المعنى توسعا ايضا تشبيها بما وضع له وذلك انهم يقولون عند استعلام منزلة المستعلم عنده من يستعلمه اين منزلة فلان منك واين فلان من الأمير واستعملوه فى استعلام الفرق بين الرتبتين بان يقولوا اين فلان من فلان وليس يريدون المكان والمحل من طريق التجاور فى البقاع بل يريدون الاستفهام عن الرتبة والمنزلة وكذلك يقولون لفلان عند فلان مكان ومنزلة ومكان فلان فى قلب فلان حسن ويريدون بذلك المرتبة والدرجة فى التقريب والتبعيد والاكرام والاهانة فاذا كان ذلك مشهورا فى اللغة احتمل

ان يقال ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم اين الله استعلام لمنزلته وقدره عندها وفى قلبها واشارت الى السماء ودلت باشارتها على انه فى السماء عندها على قول القائل اذا اراد ان يخبر عن رفعة وعلو منزلة فلان فى السماء اى هو رفيع الشأن عظيم المقدار كذلك قولها فى السماء على طريق الاشارة اليها تنبيها على محله فى قلبها ومعرفتها به وانما اشارت الى السماء لأنها كانت خرساء فدلت باشارتها على مثل دلالة العبارة على نحو هذا المعنى واذا كان كذلك لم يجز أن يحمل على غيره مما يقتضى الحد والتشبيه والتمكين فى المكان والتكييف .

ومن أصحابنا من قال ان القائل اذا قال ان الله تعالى فى السماء ويريد بذلك انه فوقها من طريق الصفة لامن طريق الجهة على نحو قوله سبحانه (أأمنتم من فى السماء) لم ينكر ذلك واما قوله عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة فيحتمل ان يكون قد عرف ايمانها بوحى فاخبر بذلك عند ظهور اشارتها التى هى علامة من علامات الايمان ويحتمل ان يكون سماها مؤمنة على الظاهر من حالها وان ذلك القدر يكفى من المطلوب من ايمان من يراد عتقه وانه لا يعتبر بعد ذلك ظهور الاعمال والوفاء بالعبادات .

ذكر خبر آخر فى هذا المعنى

وتأويله ومعناه

ونظير هذا الخبر فى باب السؤال عن المكان ما روى ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين كان ربنا قبل ان يخلق السماء فقال صلى الله عليه وسلم كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ففى هذا الخبر انما سأل النبى صلى الله عليه غيره بلفظ اين غير انه لم ينكر على السائل والخبر الاول انما قال النبى صلى الله عليه وسلم اين الله وهذا اقرب من ان يكون سؤالا عن المكان على ان قوله صلى الله عليه وسلم فى عماء يحتمل ان يكون فى بمعنى فوق كما قال الله عز وجل (فسيحوا فى الارض) اى على الارض وكما قيل فى تأويل قوله

(أأمنتم من فى السماء) انه اراد من فوقها وقد روى هذا الخبر على وجهين .

احدهما بالمد وهو ان يقال فى عماء ممدود والعماء فى اللغة هو السحاب الرقيق وروى مقصورا وهو ان يقال فى عما فاذا روى مقصورا احتمل ان يكون المعنى انه كان وحده ولم يكن سواه فشبه العدم بالعمى توسعا لاستحالة ان يرى ما هو عدم كما يستحيل ان يرى بالعمى فكأنه قال انه لم يكن شيء سواه ولا فوق ولا تحت ولا هواء فاذا قيل انه كان فى عماء بالمد كان سبيل تأويله على نحو ما تأولنا عليه قوله جل وعلا (أأمنتم من فى السماء) وذلك بمعنى القهر والتدبير والمفارقة له بالنعت والصفة دون التحيز فى المكان والمحل والجهة، واذا احتمل ما قلنا ولم يكن اللفظ مما يخص معنى واحدا كان حمله على ما قلناه اولى لأنه لا يؤدى الى التشبيه والتعطيل وتحديد ما لا يجوز أن يكون محدودا فاعلمه ان شاء الله تعالى .

ذكر خبر آخر فى هذا المعنى

وتأويله ومعناه

ومما يشاكل هذا الخبر ما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان جبريل عليه السلام عند النبى صلى الله عليه وسلم واتاه ملك فقال اين تركت ربنا قال فى سبع ارضين فجاءه آخر فقال اين تركت ربنا قال فى سبع سموات فجاءه آخر فسأله مثل ذلك فقال فى المشرق وجاء آخر فسأله فقال اين تركت ربنا فقال فى المغرب .

بيان تأويل ذلك

اعلم ان الثلجى حمل ذلك على ما يذهبون اليه من القول بأن الله تعالى فى كل مكان وزعم انه نظير ما دلت عليه الآية فى قوله عز ذكره (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) وقوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الارض) وكان يذهب مذهب النجار فى القول بأن الله فى كل مكان

وهو مذهب المعتزلة وهذا التأويل عندنا منكر من أجل انه لا يجوز ان يقال ان الله تعالى فى مكان اوفى كل مكان من قبل ان ظاهر معنى فى وما وضع فى اللغة له هو الوعاء والظرف وذلك لا يصلح الا فى الاجسام والجواهر فاما قوله عز ذكره (وهو الله فى السموات وفى الارض) فان معناه عند اصحابنا ان الله جل ذكره يعلم سركم وجهركم الواقعين فى محل السموات والارض والسموات والارض هى محال السر والجهر الواقعين فى محل(١) الله عز وجل ولا يصح الوقوف على معنى قوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الارض) دون ان يوصل بقوله تعالى (يعلم سركم وجهركم) فان قال قائل فما معنى الخبر اذ لم يذكر فيه العلم بل اطلقوا القول فقالوا فى الشرق وفى الغرب وفى السموات وفى الارض قيل ان صح هذا فمعناه انه فوقها واستعمال فى بمعنى فوق ظاهر فى اللغة منتشر منه قوله عز وجل (فسيحوا فى الارض) اى فوقها ومنه قوله (لاصلبنكم فى جذوع النخل) قال المفسرون معناه على جذوع النخل وعليه يتأول قوله (أأمنتم من فى السماء) ان المراد بذلك من فوقها واذا كان ظاهرا فى اللغة استعمال فى بمعنى فوق وقد قال تبارك وتعالى (وهو القاهر فوق عباده) وقال (يخافون ربهم من فوقهم) واطلق المسلمون ان الله تعالى فوق خلقه كان حمله على ذلك اولى وعليه يتأول ايضا قوله (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) اى هو فوق السماء اله وفوق الارض اله انشد بعضهم (هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة) معناه على جذع نخلة ، واعلم انا اذا قلنا ان الله عز وجل فوق ما خلق لم يرجع به الى فوقية المكان والارتفاع على الامكنة بالمسافة والاشراف عليها بالمماسة لشيء منها بل قولنا انه فوقها يحتمل وجهين .

احدهما انه يراد به انه قاهر لها مستول عليها اثباتا لاحاطة قدرته بها وشمول قهره لها وكونها تحت تدبيره جارية على حسب علمه ومشيئته .

والوجه الثانى ان يراد أنه فوقها على معنى انه مباين لها بالصفة والنعت

(١) كذا والظاهر « فى علم » .

وان مايجوز عـلى المحدثات من العيب والنقص والعجز والآفة والحاجة لا يصـح شيء من ذلك عليه ولايجوز وصفه به وهذا ايضا متعارف فى اللغة ان يقال فلان فوق فلان ويراد بذلك رفعـة المرتبة والمنزلة والله عزوجل فوق خلقه على الوجهين جميعا :

وانما يمتنع الوجه الثـالث وهو أن يكون على معنى التحيز فى جهة والاختصاص ببقعة دون بقعة واذا قلنا انه فوق الاشياء على هذا الوجه قلنا ايضا فى تأويل اطلاق القول بأنه فيها على مثل هذا المعنى وقد اريناً فى اللغة تعاقب هذين الحرفين على الوجه الذى ذكرنا شواهده من آى القرآن والشعر .

سؤال ، فان قال قائل فاذا اجزتم ان يقال انه فى السماء وفى الارض على معنى انه فوقها أفتجيزون ان يقال انه فى كل مكان على مثل هذا المعنى؟ قيل انما يطلق من ذلك ماورد به اثر ونطق به سمع وليس للقياس عندنا فى ذلك مدخل بوجه من الوجوه قلنا ان صح هذا الخبر كان طريق تأويلـه على نحو تأويل الآية فى قوله عزوجل (أأمنتم من فى السماء) انما زعم مخالفونا انه واجب ان يقال ان الله تعالى فى كل مكان ورد به خبر اولم يرد سوى من وافقنا منهم فى اخذ اسمائه عن التوقيف خصوصا ولا توقيف على هذا المعنى بوجه بان الله تعالى فى كل مكان فمتى ما رجعوا فى معنى اطلاق ذلك الى العلم والتدبير كان معناهم صحيحا واللفظ ممنوعا ألاترى انه لايسوغ ان يقال ان الله تعالى مجاور لكل مكان اومماس له اوحال او متمكن فيه على معنى انه عالم بذلك مدبر له . فاما قولهم ان هذا على سبيل قولهم فلان فى بناء داره وفى صلاته وعمله على معنى انه يدبره قيل هذا خطاء لأن ما ذكرتم هو من الكـلام المقلوب كقولهم ادخلت رأسى فى القلنسوة وادخلت القبر زيدا وادخلت الخف فى رجلى وانما تدخل الرجل فى الخف وزيد فى القبر والرأس فى القلنسوة كذلك العمل فى فلان والبناء فيه لانه هو فى العمل ومثل هذا فى الكلام لا يقاس ولايصلح ان يجعل اصلا لأنه نوع من المجاز وانما يجعل الحقائق اصولا ويستخرج معانيها اذا كان لاستعمال القياس

فى ذلك مدخل وهذا القدر يكفى فى الاشارة الى فساد قول الثلجى ومن ذهب مذهبه فى اطلاق القول بان الله فى كل مكان وحمل هذا الخبر على مثل مذهبه فيه فاعلمه ان شاء الله .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل

ويوهم ظاهره التشبيه

وهو ما رواه سماك بن حرب عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الله افرح بتوبة العبد من العبد اذ اضلت راحلته، فى ارض فلاة فى يوم قائظ وراحلته عليها زاده ومزاده اذا ضلت ايقن بالهلاك واذا وجدها فرح بذلك فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا العبد بوجود راحلته ، ونظيره ايضا ماروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يطأ الرجل المساجد للصلاة والذكر الا يتبشبش الله تعالى به حين يخرج كما يتبشبش اهل الغائب بغائبهم اذا قدم عليهم .

تأويله

اعلم ان الفرح فى كلام العرب على وجوه منها الفرح بمعنى السرور من ذلك قوله عز وجل (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) اى سروا بها فهذا المعنى لايليق بالله عز وجل لانه يقتضى جواز الشهوة والحاجة عليه ونيل المنفعة ، ومنها الفرح بمعنى البطر والأشر من ذلك قوله تعالى(ولا تفرحوا بما آتاكم وقوله (ان الله لا يحب الفرحين) وقوله تعالى(انه لفرح فخور) يعنى بذلك فرح البطر والاشر ومنه قول الشاعر .

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

اى لست ببطر ولا اشر وإن وافقنى الدهر وساعدنى . والوجه الثالث من الفرح ان يكون بمعنى الرضا من قوله عز و جل (كل حزب بما لديهم فرحون) اى راضون ولما كان من يسر بالشئ قد رضيه قيل انه فرح على انه هو به راض ومعنى الخبر يحمل على ذلك لأن البطر والسرور لايليقان بالله

ويكون

ويكون معنى ذلك ان الله تعالى ارضى بتوبة العبد من رضا من وجد ضالته واعلم ان اصل الرضا على اصولنا انما يتعلق بمن فى المعلوم انه يوافى ربه على الايمان والطاعة وان من وفقه الله تعالى للتوبة من معاصيه فقد رضى ان يكون متابا على الخير مقبولا منه الطاعة والعبادة ولم يزل الله عندنا راضيا عمن يعلم انه يموت على الايمان مزكيا ما دحا مثنيا عليه بالايمان والخير والبر وتكون فائدة الخبر على ما ذكرنا تعريفنا ان الله عزوجل هو التائب على العبد ليتوب كما قال تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ويدل على صحة ما نقول ان الله عزوجل هو الخالق لأعمال العباد والموفق للخير منها وان ما يستعمل فى الخير منها لا يصلح ان يستعمل فى الشر واذا كان كذلك افاد هذا الخبر تعريف صحة ما نقول فى الرضا وان الطاعة عن رضا الله تعالى تحصل للعبد لا عن العبد وانه هو الذى يعينه عليه ويوفقه له وان من علمه اهلا لذلك يسر له طريق ذلك كما ان من يسر بالشىء يسر له الطريق وكذلك تثبت هذه الصفة بتلك الحالة وعلى نحو ما ذكرنا ايضا يتأول قوله عليه السلام فى البشبشة وذلك ان معناه يقارب معنى الفرح والرضا بما يحصل فى التبشبش لما يبش منه والعرب تقول رأيت لفلان بشاشة وهشاشة اى فرحا وتقول فلان هش بش ـ فرح اذا كان منطلقا فيما يحدث له رضا به وعلى هذه الطريقة يكون معنى الخبر أن الله عزوجل قد رضى وطء الواطئين للمساجد للذكر والصلاة واعانهم عليه ويسر لهم التقرب به اليه وسهل عليهم طريق الاخلاص فيه كمن يقدم عليه غائبه فاذا ابتدأ فى تيسير الامور التى يرضاها له ويحلها به فيقال له عند ذلك تبشبش له ، واعلم ان للعرب فى كلامهم استعارات ألا ترى الى قوله عزوجل (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) بمعنى الابتلاء والاختبار وان كان اصل الذوق بالفم ولذلك تقول العرب ، ناظر فلانا ذق ما عنده ، ويقولون ذق القوس بالنزع ليعلم لينها وصلابتها، كذلك قوله تبشبش الله و لله فرح يرجع معناه فى التحقيق الى اظهار الافعال المرضية فيمن يتوب عليه من المعاصى ويوفقه للطاعة تشبيها بحال احدنا

اذاظهر له ما يسره ويؤنسه وان لم يكن لا ثقا بالله عزوجل وانما اريد به التقريب على الافهام بالخطاب المعتاد الجارى بين اهله ، ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم قصد بذكر هذه الالفاظ فى التوبة والطاعة والعبادة وحضور المساجد والذكر ترغيبا فى التوبة وحثا على فعلها اذا دعا اليها باقرب مايدعى الى مثله من الالفاظ لتكثر الدواعى الى فعلها والمبادرة اليها اذا خاطب اهلها بابلغ الالفاظ فيها، ثم ان وجوه الاستعارات وتحقيق المعانى صحيح ثابت عند اهل المعرفة بها فلا تلبس عليهم ولا تخيل ان المراد هو المعنى الصحيح الذى يجوز عليه جل ذكره دون مالايجوز وهذا كسائر ماوصف الله جل ذكره به من اوصاف ذاته وفعله مما يقع مشتركا بينه وبين خلقه فيكون له منه معناه الذى يصح فى وصفه ويليق بحكمه ولغيره اذا اجرى عليه نحو ما يجوز عليه ولايجوز أن يستوحش من اطلاق مثل هذا اللفظ اذا ورد به سمع لان النظر يكشف عن الصحيح من المعنيين والجائز من الحكمين عليه واللغة لايمكن دفعها والسمع لاسبيل الى رده اذا صح. والنظر الحكم الفاصل بين الخطاء والصواب فيه كسائر الالفاظ المطلقة المشتركة وماذكرنا مما قيل فى معنى ماورد من اطلاق لفظ الضحك هو قريب من هذا المعنى.

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل ويوهم ظاهره التشبيه

ومما شاكل هذا الباب مما يقتضى التأويل ايضا الفاظ رويت فى اخبار مختلفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « عجب ربكم من شاب ليست له صبوة » وفى خبر آخر « عجب ربكم من ايا سكم وقنوطكم » وقد قرأ بعض القراء (بل عجبت) بضم التاء.

وروى ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم « عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » وروى انه قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يعجب الله اليهم ، القوم اذا اصطفوا للصلاة والقوم اذا اصطفوا لقتال المشركين ورجل يقوم

الى

الى الصلاة فى جوف الليل» وروى ابو هريرة ان رجلا نزل ضيفا برجل من الانصار فقال لامرأته تعالى حتى نطوى الليلة لضيفنا فاذا وضعت الطعام بين يديه فاطفئى المصباح حتى يأكل وحده قال ففعلت ذلك وغدوت على رسول الله صلى الله عليه فقال عليه السلام لقد عجب الله من صنيعكما البارحة فانزل الله عز وجل فيهما (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة).

معنى ذلك

ن اصل التعجب اذ استعمل فى احدنا فالمراد ان يدهمه امر يستعظمه مما لم يعلمه وذلك مما لا يليق بالله سبحانه واذا قيل فى صفة الله تعالى عجب او يتعجب فالمراد به احد شيئين اما ان يكون يراد به انه مما عظم قدر ذلك وكبر لان المتعجب معظم لما يتعجب منه ولكن الله سبحانه لما كان عالما بما كان ويكون لم يلق به احد الوجهين الذى يقتضى استدراك علم ما لم يكن به عالما فبقى امر التعظيم له والتكبير فى القلوب عند اهاه اذ يراد بذلك الرضا والقبول لاجل ان من اعجبه الشئ فقد رضيه وقبله ولا يصح ان يعجب مما يسخطه ويكرهه فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم اقدار هذه الافعال فى القلوب اخبر عنها باللفظ الذى يقتضى التعظيم حثا على فعلها وترغيبا فى المبادرة اليها .

واما قوله تعالى فى قراءة من قرأ (بل عجبت) بضم التاء فتأويله على احد وجهين اما ان يراد به انه جازاهم على عجبهم لما اخبر عنهم انهم تعجبوا من الحق لما جاء (وقالوا هذا الشئ عجاب) وهذه طريقة للعرب معروفة فى تسمية جزاء الشئ باسمه كما قال القائل .

ألا لا يجهلن احد علينا ـ فنجهل فوق جهل الجاهلينا .

وكما قال تعالى (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكما قال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فسمي الثانى باسمها ، والوجه الثانى ان يراد به النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة ذلك على نحو ما مضى بيانه قبل فى انه يذكر ويه وخصيصه ويكون الخبر عن نفسه والمراد به هو كما قيل مرضت فلم تعدنى ، وكقوله تعالى

(ان الذين يؤذون الله ورسوله)وكقوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم)والمعنى انهم اغضبوا اولياءنا وقد انكر منكرون هذه القراءة قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال فذكرت ذلك لابراهيم فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله ابن مسعود اعلم منه وكان يقرأ بل عجبت بضم التاء وقال بعض اهل اللغة ان تقدير معناه قل يا محمد بل عجبت انا من قدرة الله تعالى فاضمر القدرة لدلالة الكلام ومثله ما قال الشاعر .

قد اصبحت ام الخيار تدعى — عليَّ ذنبا كله لم اصنع
لما رأت راسى كراس الأقرع — من الليالى ابطئى واسرعى

اراد اى يقال لها لا تبطئ واسرعى(١)فاضمر لدلالة الكلام عليه .

ذكر خبر آخر يقتضى التاويل ويوهم

ظاهره التشبيه

وذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال، لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن ، وروى لفظ آخر وهو ما روى عنه عليه السلام انه قال : انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن ، وروى فى خبر آخر انه قال : هذا نفس ربى اجده بين كتفى اتاكم الساعة ،

تاويل ذلك

اعلم ان النفس فى كلام العرب يستعمل على معنى النفس ويستعمل ايضا على معنى التنفيس واما الذى فى معنى التنفيس فهو من قولهم نفس منفوسة اذا كان مجوفا يتنفس يخرج منه النفس شيئا بعد شئ وليس المراد بالخبر ذلك لاستحالة التنفس على الله عزوجل من قبل انه ليس بأجزاء متبعضة ولا اجسام متغيرة وكيف يدعى الجسمية المشبهة ان ذلك على معنى التنفس وعندهم ان تأويل الصمد المصمد الذى ليس بأجوف وانما التنفس يجىء من اجوف

(١) كذا

فاذا لم يكن النفس بمعنى (التنفس فهو بمعنى – ١) التنفيس وذلك معروف من قولهم نفست عن فلان اى فرجت عنه وكلمت زيدا فى التنفيس عن غريمه ويقال نفس الله عن فلان كربه اى فرج عنه وفى الخبر من نفس عن مكروب كربة من المؤمنين نفس الله عنه كربة يوم القيامة، فأما معنى قوله عليه السلام الريح من نفس الرحمن فمعناه على هذا الوجه ان الريح مما يفرج الله عز وجل بها عن المكروب والمغموم وقد روى فى الخبر ان الله سبحانه فرج عن نبيه عليه الصلاة والسلام بالريح يوم الاحزاب فقال سبحانه (وأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) ومن الكلام المتداول فى العرف والعادة بلا تدافع بين اهل اللسان قولهم اعمل وانت فى نفس من امرك اى وانت فى فسحة قبل الهرم والمرض واشباه ذلك من الحوادث والريح مما يفرج الله بها الكرب ومن نفس الريح انها اذا هبت فى البلد الحار والهواجر اذهبت الوباء واطابت (٢) للسافر السير واذا هبت فى بعض الاوقات انشأت السحاب واذا هبت فى بعضها القحت الاشجار باذن الله عزوجل وذلك قوله عز ذكره (وأرسلنا الرياح لواقح) وكانت العرب تقول اذا كثرت الرياح كثر الخصب والخير واذا تنسم الريح عليل او محزون وجد لنسيمه خفة وفرجا مما يجد وينشدون فى ذلك قول الشاعر .

فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس محزون تجلت همومها

وقال بعض العرب هجمت على بطن واد بين جبلين فما رأيت واديا اخصب منه واذا وجوه اهله بهيجة والوانهم مصفرة فقلت لهم واديكم اخصب واد وانتم لاتشبهون اهل الخصب، فقال لى شيخ منهم ليس لنا ريح، وهذا مما يبين ان الله عزوجل جعل فى مهب الريح نفسا على معنى التنفيس والتفريج عن الكروب والهموم المشتملة على القلوب وقرن بمهب بعضها الخير والصلاح

(١) سقط عن الاصل هذا او معناه (٢) كذا ولعله اطابت .

للاجساد والابدان فعلى هذا يتأول قوله ان الريح من نفس الرحمن اى هى مما خلق الله فيها التفريج والتنفيس والترويح والاضافة من طريق الفعل والمعنى ان الله عزوجل جعلها كذلك وقرن التنفيس بها واما قوله «انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن» فمعناه انى لأجد تفريج الله عنى وتنفيسه عن كربتى بنصرته اياى من قبل اهل اليمن وذلك لما نصره المهاجرون والانصار نفس الله عن نبيه عليه السلام ما كان فيه من اذى المشركين وقتلهم الله على ايدى المهاجرين من اهل اليمن والانصار وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يمدح اهل اليمن وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان يمان والحكمة يمانية، واما قوله صلى الله عليه وسلم هذا نفس ربى اجده بين كتفى اتاكم الساعة فمعناه ان هذا هو الذى فرج الله ربى عنى بما يوحيه الى الساعة نصرف به هومى وغمومى وكشف عن قلبى وسرى عن فوادى وذلك ما كان يجده صلى الله عليه وسلم فى مستقبل اوقاته من زوائد روح اليقين وفوائد التعريف والالطاف التى يجدد الله له صلى الله عليه وسلم فسمى ذلك نفس الرب لانه هو الذى نفس عنه والاضافة من طريق الملك والتدبير، واذا احتمل لفظ النفس التنفيس والتنفس وكان التنفس من صفات الاجوف والاجوف لا يكون الا اجساما متلاصقة واجزاء ملتئمة على وجه مخصوص وذلك لا يليق بالله سبحانه وجب ان يحمل على معنى التنفيس الذى هو التفريج عن الكروب والهموم فاعلمه ان شاء الله .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

ويوهم ظاهره التشبيه

وذلك مارواه الجمع الكثير من الأثبات والثقات وهو من مشاهير الحديث فى هذا الباب كالمجتمع على صحته عند اهل النقل وذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاظ متغايرة فى اخبار متفرقة يؤول جمع ذلك الى معنى واحد وهو ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ينزل

الى

الى السماء الدنيا وفى بعض الاخبار « فى كل ليلة » وفى بعضها « فى ليلة النصف من شعبان » فيقول « هل من مستغفر فأغفر له وهل من سائل فأعطيه » الخبر .

ذكر تاويله

اعلم ان اول ما يجب فى ذلك قبل شروعنا فى تاويله هو أن يعلم ان جميع اوصاف الله تعالى مما لا يخرج من احد وجهين اما ان يكون استقحه(١) لنفسه اولصفة قامت به اولفعل يفعله وانه لايطلق شيء من الالفاظ فى اوصافه واسمائه المتفرعة عن هذين الاصلين الابعد ورود التوقيف من الكتاب والسنة وعن اتفاق الامة ولامجال للقياس وذلك بوجه من الوجوه وادلة هذا الباب وشرح وجوهه مما قد ذكر فى الكتب وليس هذا موضع ذكرها اذ كان الغرض التنبيه على معانى هذه الالفاظ المشكلة التى وردت فى الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوهم التشبيه ويجحدها اهل البدع لتوهمهم ان ذلك مما لا يمكن ان يحمل على تاويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه او تحديد او تكييف ووصف للرب عز وجل بما لا يليق به، واعلم انه قلما يرد فى هذه الاخبار من امثال هذه الالفاظ الا ونظائرها موجودة فى الكتاب وهى اذا وردت فى الكتاب محمولة عندهم على التاويل الصحيح مخرجة على الوجه الذى يليق بصفاته تعالى واذا وردت فى الاخبار ابطلوها مناقضة منهم لاصولهم كسائر مناقضاتهم فى مذاهبهم المبنية على آرائهم الفاسدة مما لم يشهد بها كتاب ولا سنة ولا [illegible] فيها اتفاق الامة وذلك لجحدهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخفافهم باهل النقل واستهانتهم برواياتهم ويابى الله الا ان يتم نوره ويظهر مخازيهم ومناقضاتهم، فما ورد فى هذا الباب والمعنى من آى الكتاب قوله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف) وقوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) واعلم انه لا فرق بين الاتيان والمجيء والنزول اذا اضيف جميع ذلك الى الاجسام التى تتحرك وتنتقل وتحاذى مكانا ان جميع ذلك يعقل

(١) كذا ولعله استحقه .

من ظاهرها المعنى الذى هو الحركة والنقلة التى هى تفريغ مكان وشغل مكان واذا اضيف الى مالايليق به الانتقال من مكان الى مكان لاستحالة وصفه بأنه جوهر اوجسم اومحدود اومتناهي او متمكن او مماس ولم يصح ذلك فى وصفه كان معنى ما يضاف اليه من الاتيان والمجيء على حسب ما يليق بنعته وصفته اذا ورد به الكتاب وكذلك اذا اضيف النزول اليه وورد به الخبر الصحيح الموثق بروايته ونقله وصحته فى باب انه يحمل على نحو ماحمل عليه معنى المجيء والاتيان اذا ذكرا فى اوصافه فى الكتاب واذا كان كذلك تأملنا معنى ما ورد فى هذا الخبر من لفظ النزول ونزلناه على الوجه الذى يليق بوصفه وعلى المعنى الذى لاينكر استعمال مثله فى اللسان فى مثل معناه ولا ان يرد الخبر بمثله .

فمن ذلك انا وجدنا لفظة النزول فى اللغة مستعملة على معان مختلفة ولم تكن هذه اللفظة مما يخص امرا واحدا حتى لا يمكن العدول عنه الى غيره بل وجدناه مشترك المعنى واحتمل التأويل والتخريج والترتيب فمن ذلك النزول بمعنى الانتقال وذلك فى قوله سبحانه (وانزلنا من السماء ماء طهورا) على معنى النقلة والتحويل، ومن ذلك النزول بمعنى الاعلام كقوله عزوجل (نزل به الروح الامين على قلبك) اى اعلم به الروح الامين محمدا صلى الله عليه وسلم والنزول ايضا بمعنى القول والعبارة وذلك فى قوله عزوجل (سأنزل مثل ما انزل الله) والنزول ايضا بمعنى الاقبال على الشيء وذلك هو المستعمل فى قولهم والجارى فى عرفهم وهوأنهم يقولون ان فلانا اخذ بمكارم الاخلاق ثم نزل منها الى سفسافها اى اقبل منها الى رديها ومثله فى نقصان الدرجة والمرتبة لانهم يقولون نزلت منزلة فلان عند فلان عما كانت عليه الى ما دونها اذا انحط قدره عنده، ومن ذلك ايضا النزول بمعنى نزول الحكم من ذلك قول الناس قد كنا فى عدل وخير حتى نزل بنا بنو فلان الى حكمهم وكل ذلك فى معنى النزول متعارف بين اهل اللغة غير مدفوع عندهم اشتراك معناه .

فأما قوله (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فمن اهل التأويل من قال

معناه

معناه وخلقنا الحديد ومنهم من قال ان الحديد انزلنا على معنى النقل من علو الى سفل .

فاما قوله (انا انزلناه فى ليلة مباركة) فان انزال القرآن ليس هو على معنى النقل والتحويل لاستحالة الانتقال على الكلام وانما هو بمعنى الاعلام والاسماع والافهام .

وقوله (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يكشف ايضا على انه ليس كل نزول وانزال نقل وتحويل بل ذلك لفظ مشترك المعنى قد يكون نقلا وتحويلا ويكون على غير هذا الوجه ايضا على المتعارف والمعهود بين اهل اللغة واذا كان اللفظ مشترك المعنى وجب الترتيب واضافة ما يليق فى المذكور المضاف اليه على حسب ما يليق به ألا ترى انه اذا اضيف الى السكينة لم يكن حركة ولا نقلة واذا اضيف الى الكلام لم يكن ايضا تفريغ مكان وشغل مكان واذا اريد به الحكم وتغير المرتبة فكذلك واذا كان كذلك كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولا على بعض هذه المعانى التى لا تقتضى له ما لا يليق بنعته من ايجاب حدث يحدث فى ذاته وتغيير يلحقه او نقص تمثيلا وتحديدا وهو أن يكون على احد وجوه من المعانى اما ان يراد به اقباله على اهل الارض بالرحمة والاستعطاف بالتذكير والتنبيه الذى يلقى فى قلوب اهل الخير منهم من اسعده بتوفيقه لطاعته حتى يزعجهم الى الجد والانكماش فى التوبة والانابة والاقبال على الطاعة ، ووجدنا الله عز وجل قد خص بالمدح المستغفرين بالاسحار وقال فى وصفهم ايضا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون) وقال تعالى (والمستغفرين بالاسحار) فيحتمل ان يكون ذلك هو المراد به وهو الاخبار عما يظهر من لطفه ومعونته وتأييده لاهل ولايته فى مثل هذا الوقت بالزواجر التى يقيمها فى نفوسهم والمواعظ التى تنبههم بقوة الترغيب والترهيب ويحتمل ان يكون ذلك فعلا يظهره بأمره فيضاف اليه كما يقال ضرب الامير اللص ونادى الامير فى البلد اليوم وانما امر بذلك فيضاف

اليه على معنى انه عن امره ظهر وبامره حصل واذا كان ذلك محتملا فى اللغة لم ينكر أن يكون لله عز وجل ملائكة يامرهم بالنزول الى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء فيضاف ذلك الى الله عز وجل على الوجه الذى يقال ضرب الامير اللص ونادى فى البلاد وقد روى لنا بعض اهل النقل هذا الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم بما يؤيد هذا الباب وهو بضم الياء من ينزل وذكر انه قد ضبطه عمن سمعه عنه من الثقات الضابطين واذا كان ذلك محفوظا مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر ولما ذكرناه مما يحتمله من التاويل (مؤيد شاهد ويحتمل ايضا ان يكون على معنى انهم يقولون ما زلنا فى خير حتى نزل بنا بنو فلان على معنى نزول حكمهم وامرهم فيكون تقدير التاويل - ١) ماقلنا فيه من الاخبار عما يفعله الله تعالى فى كل ليلة من افعاله التى هى ترغيب لاهل الخير فى الخير وزيادة فى الدواعى الى الطاعة والاستعطاف لاهل العطف مع انه اذا لم يخل ما اطلق عليه من هذا الوصف من ان يكون مما يلزم الذات لأجل فعل او يكون مما يجب لأجل افعال وبطل ان يكون ذلك مما يلزم الذات وجب يكون ذلك مما يوصف به من اجل فعل يفعله، وقد روى لنا عن الاوزاعى رحمه الله انه سئل عن هذا الخبر فقال يفعل الله ما يشاء وهذا اشارة منه الى ان ذلك فعل يظهر منه عز ذكره وروى عن مالك بن انس انه قال فى هذا الخبر ينزل امره فى كل شىء واما هو جل ذكره فهو دائم لا يزول، ولسنا ننكر تسمية الله تعالى باسماء افعاله اذا ورد التوقيف بها كسائر ما يسمى به لأجل الفعل مثل قوله (والسماء بنيناها بأيد) وقوله (فدمدم عليهم ربهم) وقوله تعالى (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) وقد ورد به الخبر الصحيح الذى لا يمكن دفعه وكان حجة فى اطلاق التسمية والنظر شاهدة تميز بين المعنيين يقتضى نفى ما لا يليق به فوجب حمله عليها على ما يصح فى وصفه من بعض الوجوه التى ذكرناها .

---

(١) من س -

فصل

فصل آخر فى ذلك

فان قال قائل فاذا حملتم ما روى من النزول فى الخبر على ما ذكرتم فعلام تحملون قولهم (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقوله سبحانه (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) قيل هذا تأويل اهل العلم هذه الآى فى وجوه كثيرة فمن ذلك انهم تأولوا قوله عز وجل (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف) ان معناه الاستئصال فى الهلاك والدمار بارسال العذاب كما يقول الناس اتى السلطان بلد كذا فقلبه ظهرا لبطن اى استأصله وليس يريدون حضوره البلد بنفسه ولا شهوده بل يريدون الهلاك والتدمير ، وقال بعضهم انما اراد بذلك ظهور فعل من جهته فى البنيان سماه اتيانا ولله ان يسمى افعاله بما شاء وان يصف نفسه من ذلك بما اراد ، واما قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) فمنهم من قال ان معناه ، جاء ربك بالملك صفا ، وزعم ان الواو ههنا بمعنى الباء ومنهم من قال ، جاء ربك والملك امر ربك وحكمه ، يريد امر القيامة وما يختص به ذلك الوقت من امره المخصوص وحكمه الذى لا يقع الشركة فيه بالدعاء والنداء . وقد بينا فيما قبل انه لا تدافع بين اهل اللغة فى قولهم ضرب الامير اللص ونادى الامير فى البلد بكذا وانما يراد بذلك ان ذلك الفعل وقع بأمره وعن حكمه فيضف الفعل اليه باللفظ الذى يضاف الى من فعله وتولاه ونظير ذلك قوله عز وجل فى قصة قوم لوط (فطمسنا اعينهم) وكان الطمس للأعين من الملائكة بأمر الله عز وجل واذا كان مثله متعارفا فى اللغة وانما ورد فى الخطاب فى القرآن على المتعارف فى اللغة والمعهود فيما بين اهلها لم ينكر أن يحمل على ذلك قوله تعالى (وجاء ربك) واما قوله سبحانه (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) فقد قال بعض اهل التفسير أن معناه ، هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالعذاب فى ظلل من الغمام ، وهذا سائغ فى اللغة ان يعبر عن الشىء بفعله

اذا وقع عن امره و تدبيره كقولهم ، اتى الامير بلد فلان اذا وصل اليه جيشه ، ودخل السلطان بلد كذا اذا نفذ فيه امره وحكمه ، وقال بعضهم ان قوله (فى ظلل من الغمام) يراد به بظلل من الغمام وان فى بمعنى الباء وقد روى ذلك فى التفسير عن ابن عباس ،وقال بعض اهل العلم فى الاستشهاد بابدال الباء من فى ان اعرابيا كان يقرأ ومن شر النفاثات فى العقد (١) فصير الباء فى مكان فى لما كان عنده ان ذلك سواء مما يبدل احدهما صاحبه من غير اختلاف المعنى .

ويحكى ايضا انه سمع من بعض الاعراب وهويقول لصاحبه ارفع بالسماء يريد ارفع فى السماء،وقال بعضهم من اهل التأويل فى قوله تعالى (سال سائل بعذاب واقع) إن معناه عن عذاب واقع ، وحروف الصفات تدخل بعضها فى بعض ويبدل بعضها من بعض اذا تقاربت معانيها ولم تختلف .

وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)انه قال هى السحاب التى يأتى بها الله يوم القيامة وهذا نظير التأويل عن ابن عباس ان معناه يأتى بظلل من الغمام وروى ابوصالح عن ابن عباس ايضا فى قوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)قال ، يأتيهم بوعده ووعيده وان الله عزوجل يكشف لهم يوم القيامة عن امور كانت مستورة عنهم ، وقدروى مثل قول ابن عباس عن الحسن،واعلم انه اذا كان ما حملنا عليه تأويل الخبر والآية منقولا عن الصحابة والتابعين كان ذلك مما يؤيد ما قلناه ويؤنس المستعلم التأويل ما ذكرنا ويكشف للناظر أن الالفاظ الواردة فى الاخبار كتاويل الالفاظ الواردة فى القرآن وان طريق التخريج فيهما واحد اذا وجب ان يحمل ما ورد فى الكتاب من الفاظ المجىء والاتيان على غير معنى الزوال والانتقال الذى هو صفة الجسم المحدود المتحرك المنتقل المتمكن فى مكان بعد مكان بل هو على معنى ما ورد به الكتاب من

(١) كذا والظاهر « بالعقد » كما يعلم من السياق .

الاتيان والمجىء ولا فرق بين ان يرد ذلك من طريق صحيح من جهة الاثر والسنة وبين ان يرد ذلك فى الكتاب فى باب ما يحمل عليه من التأويل على الوجه الذى يليق بالله تعالى فعلى هذا ترتيب الباب فاعلم .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

ويوهم ظاهره التشبيه

وروى عن عمرو بن مرة عن ابى عبيدة عن ابى موسى الاشعرى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له ان ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل حجابه النار او كشفها لاحرقت سبحات وجهه - وفى بعض الاخبار او كشفها لأحرقت سبحات وجهه - كل شئ ادركه بصره .

تاويل ذلك

اعلم ان كل ماذكر فيه الحجاب من امثال هذا الخبر فانما يرجع معناه الى الخلق لانهم هم المحجوبون عنه بحجب يخلقه فيهم لا يجوز ان يكون الله عز وجل محتجبا ولا محجوبا لاستحالة كونه جوهرا وجسما محدودا لأن ما يستره الحجاب اكبر منه ويكون متناهيا محاذيا جائزا عليه المماسة والمفارقة وما كان كذلك كانت علامات الحدث فيه قائمة وذلك ان الموحدين انما توصلوا الى العلم بحدث الاجسام من حيث وجدوها متناهية محدودة محلا للحوادث فكان تعاقبها عليها دليلا على حدثها ولن يجوز أن تقوم دلالة الحدث على القديم الذى لم يزل موجودا واذا كان هذا الاصل صحيحا بما كشفنا عنه وجب ان يحمل ذلك على النوع الذى بيناه وقررناه ويشهد لذلك ويؤيده قوله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فجعل الكفار محجوبين عن رؤيته بما خلق فيهم من الحجب والمنع منها ولم يصف نفسه بالاحتجاب ولا بأنه هو المحجوب واعلم ان اصل معنى الاحتجاب والحجاب فى اللغة هو المنع ولذلك يقال لمن يمنع عن الامير من قد دخل اليه

الا باذنه حاجب ولذلك قيل للحاجبين اللذين يمنعان عن العينين لاحاطتها بهما واذا قلنا ان الكافر محجوب عن ربه فالمعنى فيه انه ممنوع عن رؤيته والمنع من الرؤية معنى يضاد الرؤية اذا وجد امتنعت الرؤية لوجوده، والذى يحقق ويؤيد ما عليه تأويلنا ما روى عن على رضى الله عنه وروى عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن ابى ليلى عن على انه مر بقصاب وهو يقول « لا والذى احتجب بسبعة اطباق» فقال له على رضى الله عنه «ويحك يا قصاب ان الله لا يحتجب عن خلقه » وفى بعض هذه الاخبار ان عليا علاه بالدرة فقال« يا لكع ان الله لا يحتجب عن خلقه بشئ ولكن حجب خلقه عنه » وفى بعض هذه الاخبار انه قال القصاب لعلى « أولا اكفر عن يمينى يا امير المؤمنين » فقال « لا لأنك حلفت بغير الله» وروى عن عاصم عن عطاء عن ابى البخترى مثله عن على فأما قوله عليه السلام«ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه» فقد تأول اهل العلم ذلك منهم ابو عبيد ذكر أن معنى لو كشفها فقال اى لو كشف رحمته عن النار لأحرقت سبحات وجهه اى لأحرقت محاسن وجه المحجوب عنه بالنار والهاء عائدة فى سبحات وجهه الى المحجوب لا الى الله عز وجل لان هذا الوصف لا يليق به سبحانه لما ذكرنا انه يستحيل ان يكون محجوبا او محتجبا وقال بعضهم معنى قوله حجابه النار اى جعل خلقه محجوبا بهذا وروى فى بعض الاخبار ان حجابه النور وليس يتفاوت معنى النار والنور ومعنى الاضافة فى الحجاب اليه من طريق الجعل والخلق وهو ان جعل الخلق محجوبا به لانه يحتجب به فان قالوا فعلى ما ذا تحملون ما روى عن ابن عمر انه قال احتجب الله من خلقه بأربع بنار وظلمة ونور وظلمة قيل قد ذكر بعض اهل العلم فى ذلك تأويلا ان معناه ان الله عرفنا نفسه بآياته ودلائله فقال له آيات لو ظهرت للخلق كانت معرفتهم به كمعرفة العيان كما ذكر فى قوله سبحانه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) وقال محمد بن شجاع التلجى معنى قوله احتجب بالنار اى خلقها دون تلك الدلالات التى تبهر(١) العقول وتدل على معرفته حتى تصير كمعرفة العيان

وهذا

(١) س - تميز

وهذا الخبر اذا حمل تاويله على ماذكر الثلجى كان معنى الاحتجاب عن الخلق انه جعل دلالة فوق دلالة ودلالة اظهر من دلالة ويرجع فى التحقيق الى ما قلنا انه يحجب الخلق بما يخلقه فيهم من موانع المعرفة والربوبية لا انه يحتجب احتجاب استتار كالاستتار بالأجسام الحاوية لما يحيط بها ويكتنفها .

واعلم ان الأجسام ليست تحجب على الحقيقة فى المحدثات أيضا لأنها فى الحقيقة غير مانعة رؤية المحجوب المستور المغطى ولامانعة للعرفة على الاصل الصحيح من مذاهبنا وذلك ان المانع من معرفة الشيء ورؤيته ومعاينة ما يمنع من وجود معرفته ومعاينته وما يمنع من ذلك فهو الذى يضاد وجوده وذلك لايصح الا فى العرضين المتضادين المتعاقبين ولايصح ان يكون الجسم منعا ولامانعا من عرض اصلا لا جل انه لايصح ان يكون بين العرض والجسم تناف وتضاد على وجه من الوجوه فبان بهذا ان الذى يحجب عن المعاينة والمعرفة فى القديم والمحدث هو المنع الذى هو بمعنى موجود تعاقب العلم والرؤية لمن هو ممنوع به فعلى ذلك لايصح ان يكون المحدث ولا القديم محجوبا بالشيء من سائر الاجسام المغطية والمكتنفة المحيطة وانما يقال لهذه الاجسام الساترة انها حجاب عن رؤية المحجوب لما وراءه من اجل ان المنع من الرؤية يحدث عنده فسمى باسم ما يحدث عنده ولذلك عطلت المعتزلة فى قولهم ان البارى سبحانه لايرى لأجل انه لو كان مرئيا لرأيناه الساعة لارتفاع الحجاب والبعد واللطافة والرقة وذلك ان ما قالوا انه حجاب ومنع فليس بحجاب ولا منع على الحقيقة وانما يطلق عليه مجازا لأجل ان المنع يحدث عنده فعلى ذلك ترتيب تأويل هذه الاخبار الواردة بلفظ الحجب ويحقق ان الله عزوجل لا يصح ان يكون محجوبا ولا محتجبا على الحقيقة وانما هو مانع خالق للحجاب فيضاف الحجاب اليه على معنى انه جعله حجابا لمن حجبه به من طريق الفعل لامن طريق الاستتار والاحتواء عليه .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

وهو ما رواه الجم الغفير والجمع الكثير عن النبى صلى الله عليه وسلم بالفاظ مفترقة ومعان متفقة فى مواطن مختلفة وهو أن قال «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضارون فى رؤيته» وفى «بعضها لا تضامون فى رؤيته» بتشديد الميم من تضامون الذى هو بمعنى المضامة وقد روى ايضا مخففا على معنى نفى الضيم عنهم والذى يجب ان يوقف عليه من هذا الخبر معنى المضارة والمضامة المنفية عن الرائين له ووجه تشبيه رؤيته برؤية القمر ليلة البدر ان ذلك لايرجع الى المرئى بل يرجع الى الرؤية وروى فى خبر آخر لفظ اشكل من هذا وهو انه روى «ان الله تعالى يبرز كل جمعة لأهل الجنة» وروى «على كثيب من كافور فيكونون فى القرب على قدر تبكيرهم الى الجمعة ألا فسارعوا فى الخيرات».

تاويله

اعلم ان «قوله ترون ربكم كما ترون القمر» لم يقصد به الا تحقيق رؤية العيان لا تشبيه المرئى بالمرئى بل تحصيل ذلك تشبيه الرؤية بالرؤية حتى كأنه قال رؤيتكم الله تعالى يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر اى كما انكم لا تشكون ليلة البدر فى رؤية القمر انه هو البدر ولا يتخالجكم فيه ريب وظن كذلك ترون الله جل ذكره يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين بان ماترونه هو المعبود الاله الذى ليس كمثله شئ وحقق ذلك قوله لا تضامون فى رؤيته فاما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تضامون فى رؤيته اى لا ينضم بعضكم الى بعض كما تنضمون فى رؤية الهلال رأس الشهر لن تروه جهرة من غير تكلف لطلب رؤيته كما ترون البدر وهو القمر ليلة اربع عشر اذا عاينه المعاين جهرة لم يحتج الى تكلف فى طلب رؤيته ومعاينته وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تضارون اى لا يلحقكم الضرر فى رؤيته بتكلف طلب كما يلحق المشقة والتعب فى طلب رؤية ما يخفى

ويدق

ويدق ويغمض وكل ذلك تحقيق لرؤية المعاينة وانها صفة تزيد على العلم وكذلك من روى تضامون مخففا فانما مراده الضيم اى لا يلحقكم فيه ضيم والضيم والضرر واحد فى المعنى وقد تأولت المعتزلة ذلك على معنى رؤية العلم وان المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة وهذا خطأ من قبل ان الرؤية اذا كانت بمعنى العلم تعدت الى مفعولين وذلك كما قال القائل رأيت زيدا فقيها اى علمته كذلك فاذا رأيت زيدا منطلقا فلا يفهم منه الا رؤية البصر وقد حقق ذلك ايضا بما اكده به من تشبيهه برؤية القمر ليلة البدر وتلك رؤية البصر لا رؤية علم وعلى ان النبى صلى الله عليه وسلم انما يبشر المؤمنين من اصحابه بذلك وذلك يوجب ان يكون معنى يختصون به واما العلم بالله فمشترك بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة وذلك يبطل معنى بشارته للمؤمنين بالرؤية وذلك ان تلك الرؤية رؤية عيان وقد روى لا ثبات منهم خنيس عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم « قال ترون ربكم يوم القيامة عيانا » وهذا يرفع الاشكال ويمنع الاحتمال لأن الرؤية وان كانت تستعمل فى معنى العلم فانها اذا قرنت بلفظ العيان لم تحتمل العلم وذلك كقول القائل رأيت زيدا معاينة وعيانا لا يحتمل معنى علم كما انه اذا قال رأيت زيدا بقلبى لم يحتمل رؤية البصر وما روى فى الخبر الآخر ان الله جل ذكره ينزل كل يوم جمعة لأهل الجنة على كثيب من كافور فيكونون فى القرب على قدر تبكيرهم فى الجمعة ألا فسارعوا فى الخيرات فقال محمد بن شجاع ان هذا الخبر مما تفرد بروايته اسمعيل بن عمرو وهو ضعيف جدا مع انه ان صح وقيل انه يحتمل ان يكون معناه ان اهل الجنة يرونه على مقادير اوقات الدنيا بحسب اعمالهم الحسنة ومسارعتهم فيها وكل ما قيل فى ذلك من معنى ايام الدنيا واوقاتها فيها كقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فذلك على تقدير ايام الدنيا واوقاتها لا ان هناك غدوة وعشيا وجمعة وسبتا فاما بروزه لأهل الجنة فذلك تجليه لهم وهو ان يخلق لهم رؤية له تعالى فهم على كثيب كافور فاما معنى قربه منهم فذلك راجع الى الكرامات والمنزلة لا الى المكان والمسافة وذلك

متعالم مشهور بين الناس انهم يقولون فلان قريب من فلان وانما يريدون قرب المنزلة لاقرب المسافة وعليه يتأول قوله من« تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا» اى تقرب بالطاعة ضعفت له الثواب وزدته كرامة وكذلك يقولون للفاسق فى فسقه انه متباعد عن الله يريدون بذلك التباعد من طاعته وعبادته وعلى هذا المعنى يقال ان الكافر بعيد عن الله والمؤمن قريب من الله والله قريب من المؤمنين بعيد من الكافرين ومعنى ذلك قرب رحمته وكرامته ولطفه وفضله من المؤمنين وبعد جميع ذلك من الكافر . فأما قرب المكان فلا يليق بوصف الله تعالى وعلى ذلك يتأول جميع ما فى القرآن مثل قوله تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (نحن اقرب اليه منكم) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين اوادنى) وقوله تعالى (واسجد واقترب) ان جميع ذلك لا يخلو أن يكون قربا بالطاعة من العبد اوقربا بالكرامة واظهار الرحمة من الله تعالى فعلى ذلك جميع ما يوصف به الله عز ذكره من قربه من الخلق ويوصف به العبد من قربه من الله وكذلك القول فى البعد .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل

وهو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «ما منكم من احد الا سيخلو به ربه يوم القيامة ويكلمه وليس بينه وبينه ترجمان فيقول ما عملت فيما علمت» .

ذكر تأويله

اعلم ان معنى قوله سيخلو به ربه محمول على ما جرى به العرف فى كلام العرب من قولهم خلا فلان بعمله وخلا فلان بنفسه ومعنى ذلك انفراده وتفرده لما تفرد به ويتفرد له فعلى ذلك يكون معنى الخبر انه يكلمه بكلام لا يسمعه غيره بل يخص المكلم بالاستماع لما يكلمه به فيكون خاليا به على هذا الوجه حين يظن من يكلمه ويحاسبه انه ليس بمكلم لأحد سواه ولا محاسب

لغيره

لغيره وانما حملناه على ذلك لاستحالة وصفه عز وجل بالقرب الذى هو قرب المسافة والمساحة وذلك لاستحالة كونه محدودا متناهيا لاستحالة كونه محدودا وقد ذكرنا قبل مثل هذا المعنى فى حديث النجوى وقد روى مفسرا قال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى اما المؤمن فيدنى من ربه يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه وقد بينا فيما قبل ان ذلك ادناء من طريق الكرامة وان كنفه ستره وكرمه وعفوه ورحمته كذلك معنى خلوه بالعبد يوم القيامة انما هو تعريفه اعماله السالفة واعلامه ومواقع الجزاء من اعماله الخير والشر بالثواب والعقاب ذلك نظير قوله جل ذكره (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) الآية وكقوله (وهو معكم اينما كنتم) لأن ذلك يرجع الى تأويل العلم به والقدرة عليه والسمع لكلامه والرؤية لذاته وصفاته تعريفا لهم انه هو الذى لا يخفى عليه شيء من امور الخلق. كذلك قوله صلى الله عليه وسلم «سيخلو الله تعالى يوم القيامة» اى يفرده بالتعريف يوم القيامة حتى لا يسمع غيره ما سمعه ولا يعرف احد سواه ما يعرفه رحمة بالمؤمنين من عباده وسترا عليهم باظهار عفوه وكرمه.

وقد قيل انه يحاسب المؤمن عتابا ويحاسب الكافر عقابا ولما كان الله عز وجل هو القادر على اسماع كل واحد من المحاسبين ما يريد أن يسمعه كلامه بحيث لا يسمع غيره مثله فى تلك الحال لم ينكر أن يكون ما روى انه يخلو به حتى يظن احدهم انه ليس يكلم احدا سواه ومعنى تكليم الله عز وجل خلقه افهامه اياهم كلامه على ما يريد اما باسماع عبارة تدل على مراده او بابتداء فهم يخلقه فى قلبه يفهم به ما يريد ان يفهمه به وكل ذلك سائغ جائز وهو معنى ما يكلم الله تعالى به العبد عند المحاسبة فاذا افرده به سماعا وافهاما كان ذلك خلوا به.

ذكر خبر آخر يقتضى التاويل

وهو ما روى سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه عطس آدم فأذن الله له فشكر الله تعالى فقال له ربه رحمك ربك فسبقت له من ربه رحمته وقال له يا آدم اذهب الى الملأ من الملائكة فقل لهم السلام عليكم فقال لهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم».

تأويل ذلك

اعلم ان معنى قوله «ونفخ فيه من روحه» ومعنى قوله «ونفخت فيه من روحي» ومعنى جميع ذلك اضافة اليه من طريق الملك والفعل وقد بينا ان افعاله عزوجل لا تغيره ولا تحله وانما تحدث بقوله (كن فيكون) وان بعضها يضاف اليه بالوصف الخاص اتباعا له فيما خص به نفسه لفائدة متجددة اما للتنويه بشأنه والرفع من حاله وقد علمنا ان جملة الارواح مخلوقة له عزوجل فخص بعضها بالاضافة الى نفسه كما خص بعض البيوت بالاضافة الى نفسه وان كان كلها ملكا له وفعلا للتنويه بذكرها والتشريف والدلالة على فضلها وشرف امرها واما قوله فقال له ربه رحمك ربك حين عطس آدم عليه السلام فقد بينا معنى مخاطبة الله تعالى لمن يريد ان يخاطبه وان ذلك تارة يكون باسماع بلا واسطة ولا ترجمان وذلك نوع من التخصيص للدلالة على شرف المكلم على هذا الوجه لانه مكلم لجميع المكلفين بالامر والنهي وانما كلمهم بوسائط الرسل والمبلغين عنه اليهم فأما قوله «فسبقت له من ربه رحمته» فمعنى ذلك الوعد بالرحمة لأن نفس الرحمة لايصح فيها تأخر وتقدم بحدوثها لأجل انها عندنا صفة من صفات ذاته لم يزل بها موصوفا وانما اراد ههنا ما هو دلالة على الرحمة التي تناله من قبل الله جل ذكره لان الكائن عن الشيء والمتعلق به قد يسمى باسمه كما يقال لما يظهر من قدرة الله من افعاله انها قدرة الله وتحقيق ذلك انه هو الكائن عن قدرته كذلك ما يبدو من النعم عن سابق الرحمة قد يسمى رحمة على التوسع

فى الكلام وقد روى فى بعض الفاظ هذا الحديث سبقت رحمتى غضبى و وجه السؤال فيه على اصلنا انا نقول ان رحمة الله صفة من صفات ذاته وكذلك غضبه ورضاه ولا يصح فيما سبيله ذلك ان يكون مسبوقا وان يتقدم احدهما صاحبه لان ذلك يوجب حدث المتأخر منهما و وجه الجواب عن ذلك يرد على النحو الذى بينا من تسمية الصادر عن الشيء باسمه لما بينهما من التعلق وكذلك الظاهر من نعم الله وفضله الذى سبق الى الخلق فى الدنيا ابتداء واولا عن رحمته لهم فى الازل وكذلك ما يظهر من نقمه وعقوبته وغضبه الذى لم يزل يسمى به توسعا لانها عنه تكون وتحدث فلما كان ذلك سائغا فى اللغة لم ينكر أن يكون معناه ان الله عزوجل ابتدأ الخلق بنعمته ومنه وعفوه وستره واخر العقوبة والجزاء على السيئات الى العقبى والدار الاخرى فسمى ماسبق ظهوره من فعله النعم لهم فى الدنيا رحمة وما اخره عنهم الى العقبى من العقوبة غضبا على معنى ما ذكرنا من تسمية الشيء باسم ما يحدث عنه ويظهر منه وقد بين فيما قبل تأويل الرحمة والغضب والرضا على اصولنا وان حقيقة ذلك يرجع على اصولنا وقواعد مذاهبنا الى ما سبق وجوده لا بمدة وتقدم كونه لا ثقابه كون سائر المكونات من ارادة الله جل ذكره الانعام على من علم انه ينعم عليه اذا خلقه والانتقام ممن علم انه اهل لأن ينتقم منه وما يظهر من النعم والنقم في لا يزال عن الرحمة والرضا والغضب فيما لم يزل بذلك بما بينهما من التعلق وان احدهما يسمى باسم صاحبه لانه عنه يقع وعلى حسب تعلقه فيما سبق يحدث وعلى ذلك تتأول الالفاظ فى الدعاء اذا قيل اللهم ارحمنا وارض عنا، من قبل ان ما هو من صفات الذات لا يصح فيها الطلب والسؤال وانما يصح الطلب والسؤال فيما طريقه طريق الفعل فيسأل ان يفعل ذلك وعلى هذا الوجه يتأول معنى الدعاء فيقال ان المسؤل بهذا الدعاء هو المرجو أن يحدث عن رحمته ورضاه لا نفس الرحمة والرضا، ونظير ذلك ايضا فى الدعاء قولهم اللهم اغفر لنا علمك فينا وشهادتك علينا، ونفس العلم لا يغفر وكذلك نفس الشهادة وانما تتعلق المغفرة

بالمعلوم والمشهود، وعلى ذلك يتأول قولهم رضى الله عن فلان ورحمه، لأن ذلك ليس بخبر عن تقدم الرضا والرحمة له وانما معنى ذلك الدعاء والطلب لأن يفعل ما اذا فعله كان عن رضاه ورحمته فاختصر اللفظ فى الدعاء اختصارا والمعنى غير مشكل ولا ملبس، واما معنى قوله عليه السلام ثم رجع آدم الى ربه فقال له هذه تحيتك فمعنى ذلك انه رجع الى مسألته ومحا طبته وقد فسره بقوله فقال له وبين ان ذلك رجوع الى السؤال والخطاب وليس كل رجوع رجوعا الى المكان فى المكان بل قد يكون ذلك رجوعا عن فعل الى فعل واخذا فى شىء بعد شىء وعودا الى مثل ما كان فيه بدأ من طريق الفعل والحكم لا من طريق التنقل والتحول من مكان الى مكان .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التأويل

روى معاوية بن صالح عن راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يطوى المظالم يوم القيامة فيجعلها تحت قدمه الا ما كان من اجر الاجير وعقر البهيمة وفض الخاتم .

تاويل ذلك

اعلم انا قد مثا معنى القدم وذكرنا ما فيه من الاشتراك فى استعمالهم له فى المعانى المختلفة وليس كل ذلك هو الجارحة والبعض والعضو فقط وبينا ان ما سمى قدما من الجارحة فلمعنى وهو تقدمه على البدن وان اصل معناه ماخوذ من التقدم من غير أن مثل هذا اللفظ قد اعتيد استعماله فى اللغة فى الامر الذى لا تناقض فيه ولا تطالب به يبطله ولا يجعل له حكما وكذلك يقال فى مثل هذا الأمر الذى صفته ما ذكرنا قد جعلته تحت قدمى على معنى ترك المنافسة عليه والمطالبة له فكأنه عليه السلام اراد أن يعرفنا مراتب الاعمال واقدار الجزاء عليها وان منها ما يكون الى العفو عنه اقرب من غيره فخص بعض الاعمال بالذكر تنويها بها انه عز ذكره لا يبطل امرها ولا يدع المطالبة بها زجرا عن

فعلها

فعلها وتأكيد الحث على تركها لانه اراد بذلك اثبات عضو وجارحة لمن يستحيل ذلك فى وصفه وانما يخاطبهم على المعهود من لغتهم والمتعارف فيما بينهم وذلك من المتعالم المشهور فى خطاب العرب والعجم انهم يعبرون بمثله عن مثل هذا المراد فيقولون جعلت هذا الأمر تحت قدمي إذا اعرض عنه ولم يطلبه ولا يطالب به، وقد روى مثله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما فتح مكة قام على باب الكعبة فقال «كل دم كان فى الجاهلية قد جعلته تحت قدمي» على معنى انى اعرضت عن المنافسة فيه والمطالبة به. واذا كان ذلك مستعملا فى اللغة على الوجه الذى بينا كان معنى قوله ان الله يجعل المظالم تحت قدمه يوم القيامة محمولا عليه، وليس هذا الخبر مما يشكل معناه على من يعرف عادة العرب فى الخطاب حتى يسبق وهمه الى خلاف هذا المراد الذى يتوهمه انه قدم جارحة وطيء بها وطء الجارحة فاذا كان كذلك بان لك وجه هذا الخبر فى اضافة القدم اليه تعالى، ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا بالأمر الذى يوطأ بالقدم لانه اذا اريد ستره والاعراض عنه وترك كشفه والتوقيف عليه عمل به ذلك ثم يقال للذى شبه به على هذا المعنى اجعله تحت قدمك وجعلته تحت قدمي توسعا وتمثيلا بما ذكرنا فاعلمه ان شاء الله تعالى.

ذكر خبر آخر يقتضى التأويل وتأويله

روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احدكم اذا تصدق بالتمرة من الطيب — ولا يقبل الله الا الطيب — يجعل الله ذلك فى كفه فيربيها كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى يبلغ بالتمرة مثل احد.

تأويل ذلك

اعلم ان معنى الكف ههنا معنى الملك والسلطان كما قال الأخطل.

اعاذل ان النفس فى كف مالك   اذا ما دعا يوما اجابت بها الرسلا

ومعنى الخبر على هذا التأويل ان الله عز وجل يجزى المتصدق بما بيده

من الجزاء اضعافا مضاعفة وفائدته الترغيب للصدقة وانها يجب ان يقصد بها الطيب من المال ويخص بالانفاق ويعلم ان ذلك يجرى بعلم الله وقدرته وارادته ومشيئته اى قد علموا ان الله عز وجل هو المطلع الشاهد وللصدقات قابل لانها تقع فى ملكه وسلطانه على حسب علمه ومشيئته. وقد روى ان عمر بن الخطاب كان كثيرا ما ينشد هذين البيتين .

هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

ومعنى قوله «بكف الاله» اى فى سلطانه وملكه وقدرته وهذا ايضا جائز فى كلام الناس فى معاملاتهم وتعارفهم لانهم يقولون ما فلان الا فى كفى يريدون بذلك انه ممن يجرى عليه امر ملكه ففى ذلك دليل على خلاف ننا قول القدرية لان الصدقة فعل المصدق وقد اخبر انها فى كف الله على معنى انها فى ملكه وتحت قدرته وهذا يوجب ان يكون مقدورا لله مخلوقا له، وقد تؤول هذا الخبر على وجوه اخر فقيل ان الكف المراد به ههنا الاثر والنعمة فاذا كان كذلك كان معنى الخبر محمولا على احد وجهين، احدهما ان يكون معناه ان ذلك يقع منكم بنعمة من الله عز وجل فى توفيقه اياكم لفعلها، ويكون معنى قوله فى كف الرحمن اى به يقع وبحسن انعامه والطافه يكون ويحدث ثم انه يجزى من فضله من شاء بما شاء ومنه قول ذى الاصبع فى معنى الكف الذى يراد به النعمة .

زمان به لله كف كريمة علينا ونعماه لهن بشير

اراد بذلك نعم ظاهرة لله فيه .

ذكر خبر آخر فى مثل هذا المعنى وتأويله

روى انس وعائشة وام سلمة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الله يقلبها

كيف

كيف يشاء، اعلم ان اهل العلم قد تأولوا ذلك على وجوه. احدها ان يكون المراد بالاصابع ههنا الملك والقدرة ويكون فائدته ان قلوبهم فى قبضته جارية قدرته عليها وذلك ان الله تعالى خلق القلوب محلا للخواطر والارادات والعزوم والنيات وهى مقدمات الافعال وفواتح الحوادث ثم جعل سائر الجوارح تابعة لها فى الحركات والسكنات حتى تقع حركاتها بحسب ارادات القلوب لها اذا كانت اختيارية كسبية ثم اخبر ان القلوب جارية على حسب ارادة الله تعالى اذ كانت تحت سلطانه وقدرته ليستفاد بذلك ان من كانت فواتح الامور جارية تحت قدرته فكذلك غاياتها ونهاياتها، وهذا ايضا يدل على صحة ما نقول ان افعال الحيوان مقدورة لله مخلوقة له وانها لا تحدث الا على حسب سابق ارادة الله ومشيئته فيها، فدل صلى الله عليه وسلم بذكر القلب وكونه تحت القدرة جاريا على المراد على ان ماعداه اولى به لانه هو الذى تصدر افعال الجوارح عن تقلبه وارادته، وانما مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قدرة القديم باوضح ما يعقلون من انفسهم لان الرجل منهم لايكون على شىء اقدر منه اذا كان بين اصبعيه ولذلك يضرب المثل به فيقولون ما فلان الا فى يدى وخنصرى يريدون بذلك انه عليه مسلط وانه لايتعذر عليه ان يكون على مايريده وقال بعض اهل العلم الاصبعين ههنا بمعنى النعمتين وقد ذكرنا فيما قبل ان العرب يقولون لفلان على اصبع حسن اذا انعم عليه نعمة حسنة وذكرنا قول الراعى فى ذلك .

ضعيف العصا بادى العروق ترى له   عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

اى اذا وقع الناس فى الجدب والقحط ترى له عليها اثرا حسنا .

فان قيل وما تفصيل مابين النعمتين اللتين يتصرف القلب بينهما قيل يحتمل ان يكون بمعنى النفع والدفع وذلك يشتمل جميع النعم لان النعم على ضربين ظاهرة وباطنة فالظاهرة منهما ما نفع المنتفعين بها والباطنة ماذ فع من

وجوه الشر وصرف من عوارض المحن فاذا كان كذلك احتمل ان يكون معنى الخبر افادبه افادتنا اظهار نعمة الله علينا وانها تدسبقت وشملت باطنا وظاهرا وخص القلوب بالذكر لانها معظم ما فى الابدان وبفسادها يفسد الجمل، وقال بعضهم معناه بين اثرين من ارادة الله عز وجل وفعلين من افعاله فى الفضل والعدل وقد روى فى بعض الفاظ هذا الخبر مايدل على ذلك وهو أن بعضهم قال اذا شاء ازاغه واذا شاء اقامه فأخبر ان القلوب فى زيغها واستقامتها جارية تحت قدرة الله تعالى وقبضته وفى ملكه وسلطانه، وتحقيق ذلك انه قد روى فيه انه قال صلى الله عليه وسلم بعده يامقلب القلوب ثبت قلبى. فدل على صحة تأويلنا على ان معناه التوفيق والخذلان وفيه دليل على صحة مذهبنا لانه عرفنا ان الازاغة والاقامة مما يجريان على حسب القدرة ونفاذ المشيئة .

واعلم ان لفظ الاصبع مشترك المعنى فى اللغة على الوجوه التى ذكرنا والمعانى التى بينا وقد يقال للجارحة اصبع ايضا وليس مخصصا به بل يجوز أن يقال له ولغيره على الوجوه التى ذكرناها وقد قامت الدلالة واوضحنا الحجة فيما قبل على استحالة وصف الله عز وجل بالجوارح والأدوات والأبعاض والآلات فلم يجز أن يحمل ذلك على معنى الجارحة لاستحالته فى صفته تعالى فوجب ان يحمل على احد ماذكرنا من المعانى لانها تفيد المعنى الصحيح ولا تفيد الكيف والتشبيه الذى يتعالى الله عز ذكره عنه وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لأنه جرى على طريق المثل والمثل الجارى فيما بين الناس فى مثل هذا المعنى على هذا اللفظ وهو انهم يقولون ما فلان الا بين اصبعى اذا ارادوا ضرب المثل بانه مسلط عليه قادر على ما يريده منه فحكى على لفظ المثل على اللفظ الجارى المعهود وذلك لفظ التثنية فلذلك ساغ ان يقال انه بمعنى القدرة وهى واحدة وان كان اللفظ مثنى اذ ليست حقيقة معنى الاصبع معنى القدرة فيوهم القدرتين وانما يتمثل ذلك والمراد به القدرة والسلطان .

ذكر خبر الاصبع

ايضا على غير هذا لوجه مما يوهم التشبيه

روى ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه ان رجلا من اهل الكتاب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تبارك وتعالى يمسك السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع ثم يقول انا الجبار قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ قوله (وما قدروا الله حق قدره)

ذكر تاويلة

اعلم ان الخبر يحتمل فى تأويله وجوها صحيحة لا يؤدى الى اثبات الجوارح لمن يستحيل فى وصفه ذلك وهو الله جل ذكره لاستحالة كونه جسما متبعضا متجزئا محدودا فما يمكن ان يقال فى تأويله مما لا يؤدى الى المحال فى وصف الله عز ذكره ان المراد به اصبع بعض خلقه ويشهد لصحة ذلك انه لم يذكر فى الخبر اصبعه بل اطلق ذلك منكرا واحتمل ان يكون على ما قلنا انه يريد به اصبع بعض خلقه وليس ينكر فى مقدور الله ان يخلق خلقا على هذا الوجه وقال محمد بن شجاع الثلجى فى تاويل ذلك يحتمل ان يكون خلق من خلق الله يوافق اسمه اسم الاصبع فقال انه يحمل السموات على ذلك ويكون ذلك تسمية للمحمول عليه بما ذكر فيه، فان قال قائل أليس قد ذكر فى الخبر الذى رويتم قبل هذا اصابع الرحمن واضيف اليه افرأيتم انه لو اضاف ذلك الى نفسه فكيف يكون؟ قيل كان يحتمل ان يكون المراد به القدرة والملك والسلطان على معنى قول القائل ما فلان الا بين اصبعى اذا اراد الاخبار عن جريان قدرته عليه فذكر معظم المخلوقات واخبر عن قدرة الله تعالى على جميعها معظما لشان الرب فى قدرته وملكه وسلطانه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمتعجب منه انه مستعظم ذلك فى قدرته وان ذلك يسير فى جنب ما يقدر عليه ولذلك قرأ

عليه عليه السلام (وما قدروا الله حق قدره) اى ليس قدره فى القدرة على مايخلق على الحد الذى ينتهى اليه الوهم ويحيط به الحد والحصر واذا كان كذلك احتمل ما ذكرنا من التاويل وكان صرفه اليه اولى من صرفه الى ما يستحيل فى صفة الله عزوجل .

ذكر خبر آخر فى مثل هذا المعنى

روى عبيد بن عمير عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الجبار سماءه وارضه بيده ثم يقبضها ويبسطها ويقول انا الجبار انا الملك اين الجبابرة اين المتكبرون.

ذكر تاويله

اعلم ان معنى اخذه السماء والارض بيده يرجع الى تعريفنا قدرته عليها وجريان سلطانه فيهما وقبضه لهما يحتمل ان يكون بمعنى افنائهما كقول القائل قبض الله روح فلان اليه اذا افناه ثم يبسطهما اى يعيدهما على الوجه الذى يريد والهيئة التى يشاء كونهما عليها وقد قال تعالى فى كتابه (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فتأول بعض اهل التفسير ذلك على معنى الافناء وانه يفنى السموات والارضين بقدرته وقيل يفنيهما بيمينه اى بقسمه التى اقسم بها ثم يعيدها وقوله ويقول انا الملك اين الملوك يشهد لهذا التأويل فى معنى الافناء وذلك ما ذكره فى قوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) قال المفسرون ذلك عند افناء خلقه واماتتهم فلا يكون له مجيب فيجيب نفسه بقوله تعالى (لله الواحد القهار) واعلم ان القبض والبسط فى صفة الله ظاهر قد ورد به القرآن وذلك يرجع الى معنى الفعل والفعل واقع بالقدرة فتكون فائدة الخبر تعريفنا انه هو القادر على القبض والبسط فتارة يقبض بعضا ويبسط بعضا وتارة يقبض الكل ثم يبسطه فدلنا على قدرته على القبض والبسط جملة وتفصيلا ونبه بذلك على امر المعاد وانه يفنى الخلق ثم يعيدهم ويميتهم

ثم يحييهم وعرفنا بعجزهم وضعفهم وزوال املاكهم ودعاويهم وانه هو الذى تفرد بالملك والقدرة ولا يزول ملكه وقدرته .

ذكر خبر آخر فى التجلى

مما يوهم التشبيه وتأويله

روى حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ثم قال هكذا يعنى انه اخرج طرف الخنصر فقال فقلت له ارأيت يا ابا محمد ما تريد بهذا فضرب بيده فى صدرى وقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ما تريد بهذا .

ذكر تاويل ذلك

اعلم ان الذى يفسر من هذا الحديث معنى التجلى ومعنى الخنصر فاما التجلى فمعناه فى كلام العرب ظهور الشىء، والشىء قد يظهر بمعنيين مختلفين يظهر جهرة وعيانا بالحس ويظهر بالدلالة كقول القائل تجلى الامر لى حتى عرفته وقد تجلى الله للخلق بعلاماته ودلائله ويتجلى للمؤمنين يوم القيامة جهرة وعيانا والصحيح فى معنى التجلى فى الآية ان الله عزوجل خلق رؤية فى الجبل حتى رأى ربه وذلك بأن احياه وجعله ممن رأى ثم دكه بعد الرؤية وجعله فرقا قطعا علامة لموسى عليه السلام فى انه لا يراه فى الدنيا — ومعنى قوله واخرج طرف الخنصر فمن اهل العلم من يقول ان معناه شىء يسير من آياته كاشارة المخلوقين بذلك فذكر الخنصر وضرب المثل به لا انه جعل له خنصرا والعرب تقول وتضرب بالخنصر مثلا عند تقليلهم الشىء وتكون الفائدة فيه انه ظهور ما اظهر من تفريق اجزاء الجبل الذى كان موسى عليه وذلك يسير بالاضافة الى الآيات التى يظهرها الله عزوجل يوم القيامة وكان ذلك من النوع الذى يظهر يوم القيامة وكان فى القلة بالاضافة اليه كطرف الخنصر فان قيل كيف انكر ثابت على من سأله عن تأويله قيل يحتمل ان يكون توهم فيه

انه يظن ان ذلك يرجع الى صفة الله او اثبات جارحة له او عضو فلذلك انكر عليه لينبهه على تأويله على غير ما يتوهمه من ذكر الخنصر على معنى الجارحة، قال محمد ابن شجاع وقد روى عكرمة عن ابن عباس تجلى مثل طرف الخنصر تشبيهاً بما قلنا وعليه تأويلنا ان ذلك على طريق التمثيل بالشيء اليسير لا على معنى اثبات جارحة وقد قال الثلبخي ان هذا الحديث ضعيف ذكره حماد عن ثابت ولم يروه غيره عنه من اصحابه وقد قال بعضهم ان حمادا كانت له خرجة الى عباد ان وابن أبي العرجاء الزنديق ادخل في اصوله الفاظا واحاديث احتملها في آخر عمره فرواها بغفلة ظهرت فيه .

ذكر خبر آخر مما يوهم التشبيه وتأويله

روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها) الى قوله (ان الله كان سميعا بصيرا) ووضع ابو هريرة ابهامه على اذنه والتي تليها على عينه وقال هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع اصبعه هكذا فزعمت المشبهة انه اراد بهذا ان لله تعالى عينا واذنا جوارح ولهذا وضع يده على عينه واذنه .

ذكر تأويله

علم ان العين والاذن اذا كانا بمعنى الجارحة فلا يصح ان يكونا الا للأجسام المؤلفة والأجزاء المركبة وقد بينا فيما قبل ان القديم سبحانه وتعالى لا يصح ان يكون جسما ولا ذا اجزاء وآلة وجارحة واستحال ان يكون المراد به شارة الى العضو والجارحة وانما المراد بذلك تحقيق السمع والبصر وان الله تعالى يرى المرئيات برؤيته ويسمع المسموعات بسمعه فأشار الى الاذن والعين محققة للسمع والبصر لأجل انهما محل السمع والبصر وقد يسمى محل الشيء باسمه لما بينهما من المجاورة والقرب وهذا كما قال عز وجل (لهم

قلوب

قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها) والمراد بذلك ما فى القلوب من العلوم والعقول لما لم يستعملوها فى التوصل الى الحق ولم يعملوا فكرهم ونظرهم فى تعريف الحق وكذلك لما لم يستعملوا الحق ولم يسمعوه سمع قبول صاروا كأنهم لا اسماع لهم وكذلك وصفهم فى آية اخرى بأنهم (صم بكم عمى) لما تعاموا عن قبول الحق و تصاموا عن فهمه وسماعه واذ كان الأذن والعين محل السمع والبصر فينا اراد صلى الله عليه و سلم تحقيق الوصف بالاشارة لله عزوجل بالسمع والبصر بالاشارة الى المحل والمراد ما فيه من السمع والبصر لا نفس المحل ومثل هذا فى الكلام قول القائل قبض فلان على مال فلان فقبض يده يشير الى انه حائز له لا انه فعل ذلك بل يريد تحصيل المقبوض،وايضاً فان هذا الخبر افادنا ان وصف الله بأنه سميع بصير لا على معنى صفة بأنه عليم كما ذهب اليه بعض اهل النظر فلم يثبتوا الله تعالى فى وصفنا له بأنه سميع بصير معنى خاصا وفائدة زائدة على وصفنا له بأنه عليم واذا كان كذلك افادنا صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق معنى السمع والبصر على الوجه الزائد معناه على معنى العلم ابطالا لقول من ذهب الى هذا التأويل فى معنى العلم ولو كان معنى الوصف فيه بأنه سميع على معنى الوصف بأنه عليم لكان يشير الى القلب الذى هو محل العلم لينبه بذلك على معنى انه سميع بصير انه عليم فلما اشار الى العين و الاذن وهما محلان للسمع والبصر حقق الفرق بين السمع والبصر وبين العلم وبين فائدة الوصف على الاختصاص على ان العين والاذن ليس بهما يبصر به ويسمع وانما يسمع ويبصر بالسمع والبصر اللذين يكونان فى الاذن والعين ألا ترى انه قد يكون عين ولا يكون بصر واذن صحيحة ولا يكون سمع فعلم ان المقصود ليس هو اثبات الجارحة التى لامدح فى اثباتها بل المقصود اثبات الصفة التى بها يكون الوصف بالمدح والتعظيم وان الاشارة فى ذلك ترجع الى المستفاد فى العين و الاذن من السمع والبصر لا الى نفس العين و الاذن والعرب قد تقول كثيرا فلان

الا شمس وقمر و بدر وانما يريدون بذلك التمثيل بوجه دون وجه وفى هذا المعنى قول النابغة .

لأنك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبق منهن كوكب

وكذلك قال الآخر

النشر مسك والوجوه دنا ... نير واطراف الأكف عنم

ولم يرد بذلك ان النشر عين المسك وانما شبه النشر بالمسك لطيب الرائحة واطراف الاكف بالعنم لاحمراره وروطوبته والنعمة لاغير ذلك وكذلك اشارته صلى الله عليه وسلم الى الأذن والعين لتحقيق كونه سميعا بصيرا لالاثبات جارحة لاستحالة الجوارح على الله عزوجل، ومثل هذا الخبر ماروى فى خبر آخر أنه قال صلى الله عليه وسلم فى وصف الدجال وانه يدعى الربوبية قال صلى الله عليه وسلم ان الدجال اعور وان ربكم ليس باعور ومعنى هذا الخبر ايضا تحقيق وصف الله تعالى بانه بصير وانه لا يصح عليه النقص والعمى ولم يرد بذلك اثبات الجارحة وانما اراد نفى النقص لان العور نقص وقد ذكرنا انه لامدح فى اثبات الجوارح بل اثباتها لله تعالى مستحيل ووصفه بها يؤدى الى القول بنفيه وحدثه للوجوه التى بيناها قبل .

ذكر خبر آخر فى التجلى وتأويله

روى يحيى بن ابى كثير عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى اذا اراد أن يخوف اهل الأرض ابدى عن بعضه واذا اراد ان يدمر عليهم تجلى لها .

اعلم انه يحتمل ان يكون المراد بقوله ابدى عن بعضه اى عن بعض آياته وعلاماته مما يكون منذرة ومخوفة ومحذرة كما قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) وقوله واذا اراد ان يدمر عليهم تجلى لها يحتمل ان يكون المراد انه اراد ان يهلكهم ويستأصلهم اظهر من الآيات اكثر مما اظهرها فى

الاولى

الاولى حتى لا يستقر قلوبهم عليها، وقد بينا فيما قبل معنى التجلى وان ذلك ينقسم الى وجهين فتارة يكون تجليا بالذات كما تجلى للجبل بان ارى نفسه الجبل فتدكدك وتقطع وتارة يتجلى بافعاله لخلقه بان يظهر آياته الناقضة للعادات وعلاماته المزعجة للقلوب والانفس فيسمى اظهاره لذلك تجليا وذلك سائغ فى اللغة على الوجهين جميعا كما قال القائل (تجلى لنا بالمشرفية والقنا) يعنى بالسيوف والرماح واراد ظهور القوم بالحرب عليهم وفيهم واما معنى التجلى فهو الظهور ولذلك تقول جلوت العروس اذا اظهرتها وابرزتها ومنه قول القائل .

فان الحق مقطعه ثلاث يمين اونفار أوجلاء

اى ظهور وبروز ومنه الانجلاء عن الاوطان بالظهور منها والخروج واذا كان هذا سائغا فى اللغة كان الواجب ان يكون محمولا عليه لاستحالة وصف الله تعالى بالكل والبعض والجزء ، وذكر الشئ والمراد به غيره سائغ فى اللغة كقول القائل بنو فلان يطؤهم الطريق والمراد اهل الطريق المارون فيها والعرب تقول اجتمعت اليمامة ويريدون بذلك اهلها وقال الله عزوجل (واسئل القرية) واراد اهلها واذا ساغ ذلك كان قوله ابدى عن بعضه محمولا على هذا النحو انه ابدى عن بعض آياته وعلاماته من الافعال المنذرة المخوفة .

ذكر خبر آخر وتاويله

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا جاء اليه وعليه ثياب رثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعد النظر فيه ويصوب ثم قال ألك مال ؟ فقال نعم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه اذا انعم على عبد يحب ان يرى اثر نعمته عليه ، ثم جرا له حديث طويل الى ان وصف البحيرة التى كانت العرب تبحرها بشق آذانها فقال صلى الله عليه وسلم ساعد الله اشد من ساعدك وموساه احد من موساك .

ذكر تاويل ذلك

اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما خاطب العرب على لغاتها والمفهوم من خطابها على عاداتها الجارية فيما بينهم والعرب تقول عند وصف الرجل بالقدرة والقوة عند انفاذ الامر فعلت ذلك بساعدى وبقوة ساعدى ولا يريد بذلك اثبات الساعد دون الوصف بالقدرة والقوة ألا ترى ان الرجل اذا قال جمعت هذا المال بقوة ساعدى وانما يريد انه جمع المال برأيه وتدبيره وقوته دون المباشرة بالساعد والغرض من هذا الكلام معلوم والخطاب به مستقيم والمعنى مفهوم وكذلك قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ساعد الله اشد من ساعدك اى امره اشد من امرك وقدرته اتم من قدرتك على العادة التي عرفت العرب فى خطابها اذا تكلمت بمثل هذا الخطاب لا على اثبات الساعد الذى هو الجارحة للقديم جل ذكره وهذا نظير ما ذكرنا فيما قبل ان العرب تسمى محل الشئ باسم مافيه من طريق القرب كما سمت البصر عينا والسمع اذنا فسمى القدرة ساعدا وان كان الساعد محلا للقدرة فاما قوله صلى الله عليه وسلم وموساه احد من موساك فهذا تحقيق ما ذكرنا من التاويل فى ان المراد به التمثيل وتحقيق الوصف بالقدرة لا اثبات الجارحة لأن الموسى لما كانت آلة للقطع وكان مراده عليه السلام ان قطعه اسرع من قطعك عبر عن القطع بالموسى اذ كانت سبباله على مذهب العرب فى تسمية الشيء باسم مايجاوره ويقرب منه ويتعلق به واذا كان كذلك كان تأويل الخبر محمولا عليه وليس لأحد أن يقول هلا حملتم ما وصف نفسه به من اليدين فى قوله (بل يداه مبسوطتان) و(خلقت بيدى) على القدرة كما حملتم الساعد عليه لأجل ما تقدم ذكره من البيان ، فان حمل ذلك على القدرة يبطل وجه الفائدة فيه فى الاحتجاج على ابليس من حيث انه مخلوق بالقدرة كآدم عليه السلام وانما ذكر الله ذلك فى خطابه على طريق التفضيل لآدم على ابليس فى قوله (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) وليس كذلك

ما ذكر فى هذا الخبر من الساعد لانه ان حمل على معنى القدرة لم ينقص اصلا ولم تبطل فائدة بل امره اظهر فى انه اراد به القدرة ولذلك قال موساه احد من موساك .

ذكر خبر آخر وتاويله

روى عطاء بن ابى رباح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة فانه بين عينى الرحمن فاذا التفت قال له الرب تعالى ذكره الى من تلتفت ؟ أ الى من هو خير لك منى؟أقبل الى فانى خير لك ممن تلتفت اليه .

تاويل ذلك

اعلم ان العين فى كلام العرب تستعمل فى معان كثيرة منها ما يراد به الرؤية والمشاهدة ومنها ما يراد به الحفظ والكلاءة ومنها ما يراد به الجودة ومنها ما يراد به الدلالة ومنها ما يراد به الجارحة فأما ما يراد به الرؤية والمشاهدة فقول القائل انت على عينى واصنع هذا المتاع على عينك اى على مرأى منك ومشاهدتك.واما ما يراد به الحفظ والكلاءة فهو قولهم انت بعين الله اى انت فى حفظه وكلاءته وقيل فى قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) اى فى حفظنا وكلاءتنا،واما الذى يراد به الدلالة ففى قوله هذا عين القوم اى دليلهم واما عين بمعنى الجودة،ففى قولهم هذا عين المتاع وهذه عين القلادة اى جيده والمختار منه.فاما العين التى هى بمعنى الجارحة فظاهر المعنى فى الاستعمال لانهم يقولون عين الركبة والحدقة عين،واذا كان لفظ العين مشتركا بين هذه المعانى المختلفة وكان وصف الله بالجارحة مستحيلا وجب ان يكون محمولا على بعض هذه المعانى التى ذكرنا فى معنى العين،وذلك انه ان حمل على ان المراد به الحفظ والكلاءة كما قيل فى قوله (فانك بأعيننا) وفى قوله فى قصة نوح (تجرى بأعيننا)لم يكن ذلك منكرا وكان معناه ان الله عزوجل موفق للمصلى

حافظ له وانه بحفظه وكلاءته حين وقفه للصلاة وحرسه عن المعصية فى تركها كان بعينه على معنى انه تحت حفظه ورعايته ، ومما يحقق ذلك ان ما ذكر من الخبر يدل عليه من قوله انا خيرلك ممن تلتفت اليه لان ذلك واعظ له من نفسه تنبيها له من ربه يزجره عن الاغفال ويدعوه الى الاقبال وهذه علامة الحفظ والكلاءة من قبل الله عزوجل .

واذا قلنا ان المراد بالعين البصر وانه قد يسمى البصر عينا لأجل انه مما يتعلق به ويقوم به فينا ، كان المراد بأن المصلى بمرأى من الله ومشهد يراه ويرى حركاته ويسمع كلامه ويشهد قلبه وتكون الفائدة فيه الترغيب فى الحفظ على الصلاة وضم الجوارح للخشوع والحضور بالقلب والنية على رؤية المشاهدة والهيبة والاجلال لمن يصلى له ويناجيه فى صلاته بقراءته وذكره وتسبيحه .

واذا قلنا المراد بالعين الجودة والخيار من الشيء فيحتمل ان يكون المعنى فيه ان المصلى ممن اختاره الله من بين خلقه لعبادته وخدمته فى ان وفقه للصلاة له فهو عين من عيونه وولى من اوليائه ومختار من خلقه وقد قيل فى تأويل قوله عزوجل (واصنع الفلك بأعيننا) كلا الوجهين بحفظنا ورعايتنا وكلاءتنا وعلى مرأى منا ومشهد وقيل فى قوله (ولتصنع على عينى) الامران جميعا ايضا وكل ذلك محتمل،واما قوله (تجرى باعيننا) فقد ذكر بعض اهل التفسير أن المعنى باوليائنا وخيار خلقنا لانهم كانوا هم المؤمنين فى وقت نوح عليه السلام وقال بعضهم اراد بذلك اعين الماء التى اخرجها الله تعالى من الارض وقال بعضهم المعنى انها تجرى بمرأى منا ومشهد من حفظنا وكلاءتنا لا تلحقها آفة ولا يعترضها نقص لأجل حفظ الله تعالى لها ولمن فيها .

واعلم ان استعمال لفظ العين فى البصر توسع لما ذكرنا انه تسمية الشيء باسم محله وباسم ما هو قائم به وان ذلك سائغ فى اللغة .

وقد اختلف اصحابنا فيما ثبت لله تعالى من الوصف له بالعين فمنهم من

قال المراد به البصر والرؤية ومنهم من قال ان طريق اثباتها صفة لله تعالى السمع وسبيل القول فيها كسبيل القول فى اليد والوجه وقد مضى بيان ذلك حيث ذكرنا تأويل اليد واذا كان لفظ العين مشترك المعنى محتمل التأويل ولا يخص امرا واحدا هو جارحة فقط كما ذكرنا من مذهب المشبهة فقد بان ان الصحيح فى وصف الله احد ما ذكرناه لاحتمال اللفظ له وصحة جريان ذلك فى وصفه تعالى واستحالة وصفه بالجارحة والبعض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

روى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقا فى جدار القبلة فحكه ثم اقبل على الناس فقال اذا كان احدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى ومثله ما هو قريب من معناه ما روى ابن المسيب عن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله سبحانه مقبلا على العبد ما لم يلتفت فى الصلاة فاذا صرف وجهه انصرف عنه .

ذكر تاويله

اعلم ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه قبل وجهه. يحتمل وجوها ، احدها ان يكون معناه ان ثواب الله لهذا المصلى ينزل عليه من قبل وجه هذا المصلى ومثله قوله صلى الله عليه وسلم يجيء القرآن بين يدى صاحبه يوم القيامة أى يجيء ثواب قراءته القرآن وقد روى ايضا فى خبر انه قال من قرأ ثلث القرآن اعطى ثلث النبوة . والمعنى فيه انه عطى ثلث علم النبوة ومثله ايضا قوله عليه السلام من عال ثلاث بنات كن له حجابا من النار اى كان ثواب ذلك حجابا له من النار ، وقال حوثرة قدم مكة عمر بن الخطاب فجعل يطوف فى السكك ويقول قموا الى فنيتكم فمر بابى سفيان فقال له ذلك فقال نعم حتى يجيء

مها نتا يعنى حد منا واحدها ماهن وهو الخادم قال ثم مر به بعد ذلك فقال الم اقل لكم قوا فتيكم فقال نعم حتى يجيء مهانتا قال فعلاه بالدرة فخرجت هند فقالت أتضربه اما والله لرب يوم لو ضربته لاقشعرت بك بطن مكة. فقال صدقت ولكن الله عز وجل رفع بالاسلام اقواما ووضع به اقواما فقولها اقشعرت بك بطن مكة اى اقشعرت بك اهل بطن مكة وهذا كما ذكرنا من قول اهل اللغة انهم يقولون جاءت تميم والازد ويريدون ابناءهم ويقول جاءت اليمامة ويريدون اهلها وهذه طريقة للعرب ظاهرة فى خطابها فيحتمل على هذا الوجه ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم فان الله قبل وجهه اذا صلى اى ثوابه وكرامته ويحتمل أيضا ان يكون الخبر على معنى الترغيب فى ادمان الخشوع فى الصلاة والحض عليها يريد صلى الله عليه وسلم بذلك ان اولى الاشياء بالمصلى ان يكون يشتغل قلبه بذكر الله وذكر عظمته وعزته وقدرته ويكون المعنى ان عظمة الله وعزته يجب ان تكون تلقاء وجهه على معنى انه يجب ان يكون شغله بها وبذكرها وتجديدا حضارها القلب عن غيره ويحتمل ان يكون ذلك ضربا من آداب الصلاة علمه المصلى حتى يكون فى صلاته متحرما بحرمتها معظما لامرها وللجهة التى استقبل اليها خاصة تعظيما لامر الله تعالى فكذلك لا يبصق قبل تلك الجهة وعلى هذا يكون تقدير قوله بان الله قبل وجهه اى ان امره قد وجه عليه من تعظيم الجهة التى توجه اليها فيجب ان لا يعدل عنها بشيء من جسده ولا شيء من قلبه.

فاما قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله سبحانه مقبلا على عبده مالم يلتفت فى الصلاة فيحتمل ان يكون المعنى فيه انه لا يزال خيره مقبلا عليه كما يقول القائل ان الامير اقبل على فلان اذا قبله وقربه واناله خيرا وقوله فاذا صرف وجهه انصرف عنه اى انصرف خيره وثوابه بقول القائل ان الامير صرف

وجهه عن فلان اذا اقطع خيره عنه ولم يحسن اليه فى المستأنف كما احسن اليه فيما قبل وهذا كقول القائل .

وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما

اى اذا امال خده بأن يقطع عطيته ونظره لانه يريد بذلك الحد المعروف ، ويحتمل ان يكون المعنى فيه لايزال توفيق الله للعبد ولطفه به واصلا اليه ما لم يعرض فاذا اعرض فقد اعرض الله عنه بفعل الخير واعادة اللطف عنه وهو معنى قوله انصرف عنه وهذا كما قال الله عز وجل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) والمعنى فى ذلك انه لما صرف الله قلوبهم عن الخير بقطع التوفيق واللطف انصرفت قلوبهم عن الخير وهذا مبنى على اصلنا فى انه لا ينصرف احد عن الطاعة الا يصرف الله عز وجل وذلك بان لا يفعل له توفيقا يصل به الى فعل الخير وعلى ذلك يتأول قوله تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) اى لما زاغوا فى علمى وحكمى ازغت قلوبهم لما احدثتهم وخلقتهم .

واعلم ان الذى اوجب ان يحمل التأويل فى ذلك على معنى ما قلنا استحالة وصف الله تعالى بالكون فى جهة ومحاذاة ومقابلة لاستحالة كونه جوهرا اوجسما واذا سوغت اللغة هذه الطريقة التى حملنا عليها هذا الكلام وكان مفيدا كان حمله عليه اولى من وصف الله تعالى بما لا يليق .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

روى ابو ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لاينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر ،(١) وروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى يجر ازاره خيلاء لاينظر الله اليه يوم القيامة .

ووجه السؤال فى هذا الخبر هو ان قيل اذا كان الله تعالى لايصح ان يوصف بالنظر فما فائدة قوله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ؟ والجواب عن ذلك

---

(١) ن - عائل متكبر -

ان النظر فى كلام العرب ينصرف على وجوه، منها نظر العيان، ومنها نظر الانتظار ومنها نظر الاعتبار، ومنها نظر التعطف والرحمة، فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله اليهم اى لا يرحمهم والنظر من الله تعالى لعباده انما هو رحمته لهم ورأفته بهم وعبادته عليهم (١) ومنها يقول القائل لغيره انظر الىّ نظر الله اليك اى ارحمنى رحمك الله ويقال ايضا انظر الى بمعنى تعطف على ويقال فى الدعاء ايضا انظر الينا نظرة ترحمنا بها، وروى فى خبر آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله فى خلقه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخفض فيها ويرفع ويعز ويذل، والمراد بهذه النظرات ما يتجدد فى كل حال من تغيير الشؤون والاحوال فاما وصف الله تعالى بانه ناظر فلا يصح بمعنى الرؤية من قبل ان النظر المقرون بالوجه والى فى اللغة وان كان بمعنى الرؤية والعيان فلا يسمى الله سبحانه الا بما سمى به نفسه وسماه به رسوله واتفقت عليه الامة وقد ورد الكتاب بانه رائى بصير وانه يرى ويبصر ولم يرد بانه ينظر فلذلك لا يوصف بالنظر على معنى الرؤية ويوصف بالنظر على معنى التعطف والرحمة وعلى ذلك يتأول ايضا قوله تعالى (ان الذين يشترون بعهدالله وايمانهم ثمنا قليلا) الى قوله (ولاينظر اليهم) اى لاينعطف عليهم ولا يرحمهم، ولا يجوز أن يوصف رؤية الله بانها نظر كما لايوصف بانه ناظر على معنى انه رأى وكذلك لا يجوز أن يوصف بان لله رؤية بعد رؤية كما لايوصف بان له علما بعد علم فما وصف به من تكرير النظرات وتكثيرها فذلك يرجع الى معنى النظر الذى هو التعطف والفضل والرحمة وذلك نوع الفعل ولا يجوز فيما طريقه طريق صفات الذات ان تعدد وتكرر وتكثر.

سؤال. فان قال قائل أليس قد روى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال «ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكنه ينظر الى قلوبكم» فما معنى هذا النظر؟ قيل هذا يحتمل معناه ان يكون الاحتساب والاعتداد اى انه لا يعتد بما يظهر على ظواهركم اذا لم تكن موافقة لبواطنكم وهذا كما

(١) كذا

يقول القائل قصدت فلانا فما نظر الى اى لم يقع قصدى عنده موقعا اعتد به واحتسبه، وانما كان كذلك لأن الاعمال الظاهرة منوطة بصحة السرائر والاخلاص في النيات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى» يريد بذلك ان النيات هي المصححة للأعمال وانها مع انفرادها عنها لاتقع مواقع القبول والاجزاء .

سؤال آخر

فان قال قائل أليس قد روى أيضا في الخبر الآخر ان الله تعالى «لم ينظر الى الدنيا منذ خلقها» فما معنى ذلك، قيل قد بينا فيما قبل ان النظر الذي هو بمعنى الرؤية لا يقع فيه الاختصاص وانه تعالى هو الرائي لكل مرئي لا على معنى طريق الاختصاص ولا يوصف بالنظر على معنى الرؤية من طريق اللفظ والعبارة لاجل ان السمع لم يرد به واما الذي يوصف به من ذلك على لفظ النظر نفيا واثباتا فانما هو بمعنى التعطف والرحمة او تركهما او بمعنى القبول على الوجه الذي ذكرنا في قولهم فلان ما ينظر الى فلان اذا اراد انه لا يعتد به ولم يكن له عنده قدر وعلى ذلك يحمل معنى الخبر بأن الله تعالى لما خلق الدنيا للفناء والزوال وحث على الزهد فيها وترك الاشتغال بها قيل في وصفه على هذا المعنى انه لم ينظر اليها اى لم يجل قدرها ولا قدر من ركن اليها وهذا يرجع في التحقيق الى معنى منع لطفه المشتغلين بها المعرضين عن حكم الآخرة لأن ما وصف من النظر على هذا الوجه راجع الى معنى اللطف والرحمة والتوفيق وفعل الخير واللطف بأهله ويكون تحقيقه ان المشتغلين بها المعرضين عن الطاعة فيها قد حرموا من اللطف والتوفيق من عنده ما عند حرمانه اعرضوا عن الطاعة واشتغلوا بالمعصية وكل ذلك ترتيب من وصف الله تعالى بالنظر في قول القائل نظر اليه ولم ينظر اليه .

ذكر خبر آخر وتأويله

روى في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تكلموا من

العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا».

اعلم ان وصف الله تعالى بالملالة على معنى السآمة والاستثقال للشيء على معنى نفور نفسه عنه محال لان ذلك يقتضي تغيره وحلول الحوادث فيه وذلك غير جائز في وصفه ولهذا الخبر طريقان من التاويل. احدهما ان يكون معناه ان الله سبحانه لا يغضب عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله والرغبة اليه فسمى الفعلان مللا تشبيها بالملل وليسا بملل على الحقيقة.

والوجه الثاني ان يكون معناه ان الله لا يمل اذا مللتم ومثل هذا قولك في الكلام ان هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل وليس المراد بذلك انه يفتر اذا فترت الخيل ولو كان المراد هذا ما كان له فضل عليها لانه يفتر معها واى فضيلة له وانما المراد بهذا المثل انه لا يفتر وان فترت الخيل وكذلك يقول القائل للرجل البليغ في كلامه الألد في خصومته فلان لا ينقطع حتى ينقطع خصومه يريد بذلك انه لا ينقطع اذا انقطع خصومه ولو اراد به انه ينقطع اذا انقطعوا لم يكن له في ذلك اقول فضل على غيره ولا وجب له مدحة وتدجاه مثل ذلك في كلامهم وفي الشعر ايضا كما قال قائلهم.

صليت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

لم يرد بانهم يملون الشر اذا ملوه ولو اراد ذلك ما كان لهم فيه مدح لانهم حينئذ يكونون فيه مثلهم بل اراد انهم لا يملون الشر وان مله خصومهم فعلى هذا يكون الخبر ان الله عز وجل لا يوصف بالملال على الحقيقة وان تركوا طاعته وقصروا فيها لأن الله عز وجل لا يوصف بالملال على الحقيقة.

ذكر خبر آخر وتاويله

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» اعلم ان الله تعالى لا يجوز أن يوصف بانه دهر وانه الدهر على الحقيقة وانما هذا مثل واصله ان العرب في الجاهلية كانت تقول اصابني الدهر في مالى

بكذا

بكذا وتأتي قوارع الدهر ومصائبه، فيضيفون كل حادث يحدث مما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره من مرض او صحة او غنى او فقر او حياة او موت الى الدهر ويقولون لعن الله هذا الدهر والزمان وكذا قال قائلهم.

أمن المنون وريبها يتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقد يسمى الدهر المنون والزمان ايضا لانه جالب المنون عندهم والمنون المنية وروى بعضهم هذا البيت.

(أمن المنون وريبه تتوجع)   كأنه قال أمن الدهر وريبه تتوجع

(والدهر ليس بمعتب من يجزع)

وقد قال الله سبحانه (نتربص به ريب المنون) اى ريب الدهر وحوادثه وكانت العرب تقول لا القاك آخر المنون اى آخر الدهر وقد اخبر سبحانه عن اهل الجاهلية بما كانوا عليه من نسبة اقدار الله وافعاله الى الدهر فقال (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر اى اذا اصابتكم المصائب لا تنسبوها اليه فان الله هو الذى اصابكم بها لا الدهر وانكم اذا سببتم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر وقع السب على فاعل ذلك وهو الله تعالى، ألا ترى ان الرجل منهم اذا اصابته جائحة فى مال او ولد او بدن سب فاعل ذلك وتوهمه الدهر فكان المسبوب هو الله جل ذكره، ومثاله فى الكلام ان يكون رجلا يسمى زيدا وله عبد يسمى بكرا فأمر بكرا ان يقتل رجلا فقتله فسب الناس بكرا فقال لهم قائل لا تسبوا بكرا فان زيدا هو بكر يريد أن زيدا هو القاتل لان الذى امره كأنه هو القاتل كذلك الدهر تكون المصائب فيه والنوازل وهي بقدر الله تعالى فيسبه الناس لكون المصائب فيه وليس للدهر صنع فيقول القائل لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر، وزعم بعض رواة اهل العلم ان هذا الحديث قد اختصره بعض الرواة وغيروا معناه عن جهته لان فى الحديث كلاما اذا ذكر بان تأويله . وقد روى الزهرى عن ابن المسيب رضى الله عنه عن ابى هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وان الدهر بيدي اقلب الليل والنهار وانا الدهر » واذا روى هذا الحديث بهذا الشرح بان ان التأويل على ماذكرناه .

وقد روى « قوله وانا الدهر » على وجهين، احدهما بفتح الراء من الدهر ويكون معناه انه جعل ذلك وقتا للفعل المذكور ويرجع معناه الى : انا الباقي ابدا المقلب للأحوال التي يتغير بها الدهر، وقد روى ايضا بضم الراء واذا روى على هذا الوجه يكون معناه ما تقدم ذكره اى انا المغير للدهر والمحدث للحوادث فيه لا الدهر كما يتوهمون ويكون فائدته تكذيب من اقتصر على الدهر والايام والليالي في حدوث الحوادث وتغييرها من الملحدين والزنادقة وتحقيقا لاثباته جل ذكره انه الفاعل لجميع الحوادث المريد لها لا مرور الليالي والايام وان الايام والليالي ظرف للحوادث لا انها يحدث بها او منها شيء .

ذكر خبر آخر مما يقتضي التاويل

روى في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقيب كلام ذكره مما لا يقتضي تأويلا ولا يوهم تشبيها « وان آخر وطأة وطئها الله تبارك وتعالى بوج » .

ذكر تاويله

اعلم ان الوطأة التي هي بمعنى مماسة جارحة بجارحة او ببعض الاجسام لا يصح في وصف الله تعالى لاستحالة كونه جسما واستحالة المماسة عليه واستحالة تغيره بما يحدث فيه من الحوادث واذا كان كذلك كان محمولا معناه ماتقدم ذكره في ان ذلك يرجع الى الفعل دون ان يكون معنى يتعلق بالذات مما يقتضي حدوث معنى فيها، ومعنى الحديث على هذا التأويل ان آخر ما اوقع الله سبحانه بالمشركين بالطائف وكان آخر غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حنين وادى الطائف ووج اسم موضع فيه وكان سفيان بن عيينة

يذهب في تأويل هذا الحديث الى نحو ما ذكرناه ويقول ان ذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف » فتتابع القحط سبع سنين حتى أكلوا القدد والعظام والعرب تقول في كلامها اشتدت وطأة السلطان على رعيته وليس يريدون وطء القدم وكذلك يقال وطئهم السلطان وطأ ثقيلا .

ويقال وطأة المقيد اذا ارادوا وصف الوطأة بالثقل وكذلك قال قائلهم .

ووطئتنا وطأ على حنق   وطء المقيد يابس الهرم

والمقيد أثقل شيء وطأ لانه يرسف في قيوده فيضع رجليه معا ويروى نبت الهرم وهو نبت ضعيف فاذا وطئه المقيد فتته واذا كان هذا في الكلام سائغا وفي العرب جائزا وجب ان يحمل عليه معنى الخبر لاستحالة وصف الله تعالى بالجوارح والمماسة .

ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل

روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » وقد روى ابو الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر انه قال « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

ذكر تأويله

اعلم ان بعض اهل العلم يذهب في تأويل هذا الحديث الى ان ذلك اهتزاز العرش على الحقيقة وان العرش تحرك على الحقيقة لموت سعد ولسنا ننكر هذا التأويل لأجل ان العرش يجوز عليه الحركة ولكنه تبطل فائدته . وتأوله بعضهم على ان العرش هاهنا السرير الذي كان عليه سعد وهذا ايضا يبطل فائدة الخبر لانه فيه بهذا الخبر فضيلة لسعد ولا فضيلة له في تحريك سريره والصحيح من التأويل في ذلك ان يقال الاهتزاز هو الاستبشار والسرور يقال ان فلانا

يستبشر للمعروف ويهتز له ومنه قيل فى المثل ان فلانا اذا دعى اهتز واذا سئل ارتز والكلام لأبى الاسود الدؤلى والمعنى فيه انه اذا دعى الى الطعام يأكله ارتاح له واستبشر واذا دعى الى حاجة ارتز اى تقبض ولم ينطلق ومنه .

قول الشاعر

وتأخذه عند المكارم هزة ❊ كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

فمعنى الاهتزاز فى هذا الحديث الاستبشار والسرور واما العرش فعرش الرحمن على ما جاء فى الخبر والمعنى فى ذلك ان حملة العرش الذين يحملونه ويطوفون حوله فرحوا بقدوم روح سعد عليهم فأقام العرش مقام من يحمله ويطوف به من الملائكة كما قال الله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) يريد اهل السماء واهل الارض وكما قال صلى الله عليه وسلم فى احد « هذا جبل يحبنا ونحبه » يريد يحبنا اهله يعنى الانصار ونحب اهله وقد جاء فى هذا الحديث ان الملائكة يستبشرون بأرواح المؤمنين وان لكل مؤمن بابا من السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه وتعرج منه روحه اذا مات فكان حملة العرش من الملائكة يفرحون ويستبشرون بقدوم روح سعد بن معاذ عليهم لكرمه عند الله وحسن عمل صاحبه .

واعلم ان هذا الخبر ليس مما يرجع شىء منه الى صفات الله تعالى ولكنه مشكل اللفظ فدخل فى جملة ما ضمنا تأويله وتفسيره من مشكلات الاخبار .

ذكر خبر آخر وتأويله

روى علقمة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لو جعل القرآن فى اهاب ثم القى فى النار ما احترق » .

اعلم ان الناس اختلفوا فى تأويل هذا الخبر على وجوه . فقال بعضهم ان من من الله عليه بحفظ القرآن وقاه عذاب النار ، واحتج لذلك بحديث ابى امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ، وقد روى ذلك عن الاصمعى ، وقال بعضهم

معناه

معناه ان القرآن لوكتب فى جلد ثم طرح الجلد فى النار ما احرقته النار وذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة لنبوته وقال قوم تأويله ان القرآن لوكتب فى جلد ثم طرح الجلد فى النار ما احترق اى ما احترق القرآن بمعنى انه لم يبطل ويندرس وانما يبطل ويندرس المداد ويحترق الجلد دون القرآن وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله سبحانه «إنى منزل عليك كتابا لا يغسله الماء» ولم يرد انه لوكتب القرآن فى شيء وغسل بالماء لم يتغسل انما أراد أن الماء لا يبطله ولا يفنيه فكذلك قوله ما احترق اى فى حقيقة الأمر لا يبطل ولا يندرس ومثل هذا كثير قال الله تعالى (ولا يكتمون الله حديثا) وهم قد كتموا الله لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد ولا يكتمون الله فى حقيقة الامر لانهم فيما كتموه لم يغب ما كتموه عن الله وانما توهموا انهم كتموه .

وذهب ذاهبون من اصحابنا الى انه لا يصح ان يكون معناه ان من حفظ القرآن لم يعذب بالنار لانه قد روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يكون فيكم قوم تحقرون صلاتكم فى صلاتهم واعمالكم فى اعمالهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية » فإن انه اراد بقوله لا يعذب قلبا وعى القرآن اذا حفظ حدوده وعمل بموجبه واعلم إن هذا الخبر دليل على صحة ما تقول ان القرآن مكتوب فى اللوح والجلد على حال وانه لا يجب حلول الكلام فى محل الكتابة كما انه صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة ولم يكن حالا فيها وكذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احترق اى ان احتراق الجلد وبطلانه لا يؤدى الى بطلان الكلام لأجل انه ليس فى محل كتابته .

ومثل هذا الحديث ما روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغى لحامل القرآن ان يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله سبحانه وذلك ان معنى قوله بحمل القرآن لمن حفظه ووعاه وفهمه ومعنى قوله وفى جوفه كلام الله اى حفظ كلام الله وذلك ان كلام الله تعالى

محفوظ فى القلوب متلوبا لألسنة مكتوب فى المصاحف كما ان الله جل ذكره مذكور بالألسنة معبود بالجوارح ولا يجوز أن يكون فى شئ من ذلك حالا ومثل هذا قوله تعالى (وأشربوا فى قلوبهم العجل) والمراد حب العجل لأن العجل لم يحل فى قلوبهم .

واعلم انا لا نابى ان كلام الله تعالى محفوظ على الحقيقة يحفظ فى القلوب مكتوب على الحقيقة فى المصاحف كتابة حالة فيها متلوبا لألسنة بتلاوة فيها مسموع فى الاسماع غير حال فى شئ من هذه المخلوقات ولا يجاوز .

ذكر خبر آخر

فان قيل فما تقولون فيما روى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ما تقرب العبد الى الله سبحانه بمثل ماخرج منه يعنى القرآن» قيل لهم ان خروج الشيء من الشيء على وجهين احدهما كخروج الجسم من الجسم وذلك بمفارقة مكانه واستبدانه مكانا آخر وليس الله تعالى جسما ولا كلامه جسم لأنه لو كان جسما لاقتضى محلا واحدا وذلك فاسد .

والوجه الثانى من معنى الخروج كقولك خرج لنا من كلامك خير كثير واتانا منه نفع بين اذا اراد أنه ظهر لهم منه منا فع فأما الخروج الذى بمعنى الانتقال فلا يصح على كلام الله سبحانه ولا على شيء من الكلام لأجل انه ليس بجسم ولا جوهر وانما يجوز الانتقال على الجواهر والاجسام فأما على الوجه الثانى فيصح والمعنى فيه انه ما انزل الله على نبيه وافهم عباده، وقد قال قائلون ان الهاء فى قوله خرج منه يعود الى العبد وخروجه منه وجوده متلوا على لسانه محفوظا فى صدره مكتوبا بيده .

وذكر عكرمة انه شهد جنازة مع ابن عباس رضى الله عنهما قال فجعل رجل يقول عند القبر يارب القرآن اغفر له فقال ابن عباس مه اما علمت ان القرآن منه فقال فغطى الرجل رأسه كأنه قد اتى كبيرة .

ومعنى قوله ان القرآن منه اى هو صفة الله القائمة بذاته ولم يجز أن يكون ما كان من محكمه مربوبا محدثا .

فان قيل فما معنى قول عمرو بن دينار ادركت مشايخنا يقولون منذ سبعين سنة ان القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود ؟ قيل معناه عند اهل النظر أنه هو الذى تكلم به وهو الذى أمر به ونهى به واليه يعود يعنى هو الذى يسئلك عما أمرك ونهاك .

ذكر خبر آخر

وقد روى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « فضل القرآن على الكلام كفضل الخالق على المخلوق وذلك انه منه » واعلم ان قول القائل ان الشيء من الشيء قد يكون على وجوه، احدها ان يكون جزءا له كقولنا اليد من الانسان والواحد من العشرة، وقد يكون الشيء من الشيء على معنى انه فعله وظهر منه كقوله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) يعنى خلقه وتدبيره وملكه .

وقد يكون منه على معنى انه صفة له وعليه يتأول قوله ان كلام الله من الله .

ومن أصحابنا من قال معنى قوله كلام الله من الله اى منه لسمعه وبتعليمه نعلم وبتفهيمه نفهم .

وذكر بعض أصحابنا ان معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه منه معناه انه له قال والعرب تقول ان هذا منك على معنى انه لك كما قال القائل .

ملك العطاء ومنه الثناء

اى لك العطاء ولى الثناء عليك واعلم ان المشبهة قد تأولت الصمد على معنى انه مصمت ليس بأجوف وكيف يصح ان يقال خرج منه كلامه على

تقدير خروجه من الاجسام المجوفة فعلمت بذلك تناقض قولهم وان معنى الخبر ما اشرنا اليه .

ذكر خبر آخر

فان قيل فما تقولون فيما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله سبحانه قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم عليه السلام بألفى عام فلما سمعته الملائكة قالت طوبى لأمة ينزل عليها هذا » .

الجواب، اعلم ان معنى قرأ اى اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملائكة فى ذلك الوقت والعرب تقول قرأت الشئ اذا تبعته وتقول ما قرأت هذه الناقة فى رحمها سلاقط اى ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام سائغا وقراءته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهو معنى قوله اقرأ كلام الله ومعنى قوله (فاقرؤا ما تيسر منه) ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرأ اى تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر ذواقا بمعنى اختبرته ومنه قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) اى ابلاهم به فسمى ذلك ذواقا والخوف لا يذاق على الحقيقة لان الذوق فى الحقيقة بالفم دون غيره من الجوارح، وما قلنا اولا فأوضح فى تأويل هذا الخبر لان كلام الله تعالى ازلى قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم لمن اراد من خلقه على ما اراد فى الاوقات والازمنة لا ان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان .

ذكر خبر آخر مما يقتضى التاويل

روى ابو حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «دون الله سبعون الف حجاب من نور وظلمة وما يسمع من نفس شيئا من حس تلك الحجب الا زهقت نفسها »، وروى ايضا عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال « احتجب الله من خلقه بأربع بنار وظلمة ونور وظلمة » .

اعلم ان معنى قوله دون الله سبعون الف حجاب اى هو حجاب لغيره من خلقه لانه لا يصح ان يكون محجوبا لاستحالة ان يكون محصورا محدودا تعالى الله عن الحد والحصر والتشبيه والتمثيل والخلق محجوبون لا رب العالمين والحجب لهم وهم المحجوبون بها ولا يصح ان يكون دونه حجاب يحجبه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد روينا فيما قبل عن على رضي الله عنه انه انكر على من قال لا والذى احتجب بسبع، فعلاه بالدرة وقال يا لكع ان الله لا يحتجب من خلقه بشيء ولكن يحجب خلقه عنه. رواه ابن عاصم عن عطاء بن السائب عن ابى البختري عن على رضي الله عنه انه قال ذلك. وقال محمد بن شجاع الثلجي فى معنى قوله احتجب الله عن خلقه باربع ان الله عرفنا نفسه بآياته ودلالته بما خلق من النور والظلمة والنار وان له آيات لو اظهرها للخلق كانت معرفتهم به كمعرفة العيان وذلك نحو ما ذكرنا من قوله (فظلت اعناقهم لها خاضعين) ومعنى احتجب بالنار اى خلقها فوق تلك الدلالات التى تبهر العقول وتدل على معرفته..

واعلم ان الغرض من هذا ان تعلم ان الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق وان الخالق لا يصح ان يكون محجوبا ولا محتجبا كما لا يصح ان يكون محدودا ولا محصورا فاذا علمت انه لم يرد بالخبر هذا المعنى وان الحجاب يرجع الى المحجوب من خلقه سلمت من الغلط والدخول فى التشبيه عليك مما لا يجوز فى صفة الله تعالى من اثباته محدودا محصورا تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ذكر خبر آخر وتاويله ومعناه

روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله تعالى يستحيى اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا من غير شيء» وروى يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله حيي ستير فاذا اراد احدكم ان يغتسل فليتوارى بشيء».

بيان تاويله

اعلم ان وصف الله تعالى بالحياء على معنى ما يوصف المخلوق من الحياء الذى هو منه انقباض وتغير وتجمع لايجوز لاستحالة كونه جسما متغيرا تحله الحوادث، واما ان يوصف بالحياء على معنى الترك فصحيح وقد عبرت العرب عن سبب الشيء باسمه فلما كان الحياء سببا لترك المستحيا منه كان معنى ما قال ان الله عز وجل ليستحيي اى لا يترك يدى العبد خاليتين من خير اذا رفعهما اليه فى الدعاء، وعلى ذلك يتاول ايضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليستحيي ان يعذب المتورع قيل يارسول الله ومن المتورع قال الذى يحاسب نفسه قبل ان يحاسب ومعنى ذلك ترك تعذيبه، وعلى ذلك يتاول قوله عز وجل (ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا) اى لايترك والاستحياء من الله تعالى الترك لأن المستحيي يترك للحياء اشياء كما يترك للايمان وينقطع بالحياء عن المعاصى كما ينقطع بالايمان عنها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان، وقال ابو وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان آخر ما حفظ من كلام النبوة اذا لم تستحى فاصنع ما شئت، يريد اذا لم يستحي الرجل ركب كل فاحشة وقارف كل قبيح ولم يحجزه عن ذلك دين ولاحياء فاما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حيى ستير فقد فسرنا معنى الحياء ومعنى ستير اى ساتر يستر على عباده كثيرا من عيوبهم ولا يظهرها عليهم وستير بمعنى ساتر كما جاء قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم واذا حمل الخبر على ما ذكرنا صح المراد وبطل قول من توهم فيها التشبيه .

ذكر خبر آخر وبيان تاويله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال لبنيه اذا انا مت فأحرقوني ثم ذروني فى البحر على ظهر الله تعالى ففعلوا فجمعه الله ثم قال له

ما حملك على ذلك ؟ فقال مخافتك يا رب ، وروى حميد بن عبد الرحمن عن ابى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر لفظا مشكلا زائدا وهو أن قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا اسرف على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه فقال اذا انا مت فأحرقونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذب به احدا ففعلوا به ذلك فقال صلى الله عليه وسلم فيقول له الرب عند البعث ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول خشيتك فيغفر الله عز وجل له .

ذكر تاويله

اعلم ان هذا الخبر وان لم يرجع بشئ من الفاظه الى ما هو صفة من صفات الله عز وجل فان لفظه مشكل وكان القائل له مؤمنا مغفورا له فوجب ان نوقف على معناه ليزول الاشكال ، فأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اضل الله » اى انسيه كما قال تعالى (لا يضل ربى ولا ينسى) ولما ذكره من قوله (ان تضل احداهما) اى ينسى وقيل فى بعض الوجوه فى تأويل قوله سبحانه (ووجدك ضالا فهدى) اى ناسيا فذكرك والعرب تقول ضللت كذا واضللته اى نسيته ولو كان ذلك بمعنى الضلال ههنا فمراده ان الله تعالى يتيهنى ولا يبعثنى فاستريح من عذابه والعرب تقول ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه ولم يتبين ويكون تحقيق معنى قوله لعلى اضل الله اى لعل الله لا ينشرنى ولا يبعثنى فاستريح من عذابه وهو اظهار الجزع والخوف والخشية على ابلغ ما يكون فى بابه لانه لم يكن يعتقد تأمله انه لا يجوز أن ينشر الله احدا او لا شيئا او يمكن ان يفوته شيء ومثل ذلك روى عن عمر انه كان يقول فى دعائه « اللهم فان كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا » فذكر اهل العلم ان ذلك اظهار غاية الخوف والخشية حتى يسئل ما لا يكون ان لو كان مما لا يكون حتى لا يفوته التضرع بكل وجه فى طلب ما يكون ولا يكون اظهارا لغاية الخوف والخشية لا تطلب لما يعلم انه لا يكون .

واما معنى قوله « لئن قدر على ربى يعذبنى عذابا ما عذب به احدا » فلا يصح

ان يكون محمولا على معنى القدرة لان من توهم ذلك لم يكن مؤمنا بالله عزوجل ولا عارفا به وانما ذلك على معنى قوله تعالى فى قصة يونس (نظن ان لن نقدر عليه) وذلك يرجع الى معنى التقدير لا الى معنى القدرة لانه لايصح ان يخفى على نبي معصوم ذلك،وقال الفراء فى تأويل قوله (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نقدر عليه ما قدرنا كما قال ابو صخر الهمدانى .

ولاعائد ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

اراد ما تقدر يكون فعلى ذلك يحمل قوله عليه السلام حكاية « لئن قدر على ربى ليعذبنى» اى كان قدره وحكم علىبالعقوبة فانه يعاقبنى دائما وهذا كلام خائف جزع ولما قيل فى الخبر ان الله تعالى يغفر له وقد علم انه لايغفر للكافرين وجب ان يحمل لفظه على تأويل صحيح لاينافى المعرفة بالله ولا يؤدى الى الكفر واذ احمل على ذلك ما ذكرنا بان الغرض وبان وجه الاشكال فيه فاعلم ان شاء الله تعالى .

ذكر خبر آخر وبيان تأويله

روى ابو صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الرحم شجنة معلقة بمنكبي الرحمن يقول الله سبحانه لها من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»وذكر فى خبر آخر انه قال « انا الرحمن وهذه الرحم شققتها من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » .

ذكر التأويل

اعلم ان الشجنة فى كلام العرب هو الشعبة من الشيء والقطعة منه ومنه يقال شجرة متشجنة اى متفرعة كثيرة الاغصان ومنه ما حكى عنه انه قال لاياس بن معاوية الحديث ذو شجون فقال شجونه خير منه ومعنى الشجون ان تشعب من الحديث احاديث كالوادى الذى تتشعب منه المجارى ويتفرع عنه الانهار فى الجهات ومعنى قوله « تعلقت بمنكبي الرحمن» اى اعتصمت بالله ولاذت

به هذه كلمة تقولها العرب عند الاستظهار والاستجارة يقولون استظهرت بفلان واستجرت به وتعلقت بحبله وقال الشاعر في مثل هذا المعنى .

علقت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

اى اعتصمت به والله جل ذكره يقول (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى هو قادر على تصريفها كيف شاء والعربي يقول لصاحبه اذا اطاعه ناصيتي بيدك وزمامي بيدك وقيادي بيدك وليس ثم زمام ولا قياد ولا ناصية وانما هو مثل للمطيع والمطاع وكذلك قوله فتعلقت بمنكبي الرحمن اى استجارت واعتصمت فالله تعالى لا يوصف بالمنكب تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما خاطبنا على لغة العرب فاذا ورد منه الخطاب حمل على مقتضى حكم اللغة فاذا كان محتملا او جهين احدهما له مخرج في اللغة وتأويل صحيح لا يقتضي تشبيها ولا يؤدي الى محال في وصف الله جل ذكره والثاني يقتضي تشبيها وتكييفا وتمثيلا كان اولى ما حمل عليه من الوجهين ما لا يؤدي الى وصف الله جل ذكره بالجوارح والآلات على انه وان حمل على ما يتوهمه المشبهة من منكبي الجارحة لم يصح معناه من قبل ان الرحم لا يصح عليها التعلق وانما هو حق للقرابة من طريق النسب فعلم ان ذلك مثل والمراد به ما ذكرنا انه انما اراد تأكيد امر الرحم والحث على وصلها والزجر عن قطعها فأخبر عن ذلك بأبلغ ما يكون من التأكيد وعلم ان مثال هذا ايضا من آي الكتاب قوله تعالى (ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) وذلك انه كلام محمول على نوع من التوسع في عادة العرب في المخاطبة بمثله يقتضي من معناه ان المراد به امره وقد انتشر في كلامهم انهم يقولون كبر فلان في جنب فلان وهم يريدون بذلك في طاعته وخدمته والتقرب اليه كذلك معنى هذه الآية ان النفوس تظهر الحسرات يوم القيمة على ما وقع من التفريط منهم في طاعة الله والذي يؤيد هذا المعنى ويوضحه ان

التفريط لا يقع فى جنب الصفة ولا فى جنب الجارحة ولما قرب بذكره التفريط علم ان المراد به ما قلنا ان معناه التقصير فى طاعة الله والتفريط فى عبادته .

ذكر خبر آخر وبيان تأويله

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « صلة الرحم تزيد فى العمر » وقال فى خبر آخر « صل رحمك يزد فى عمرك » وقال « من احب ان ينسى له فى عمره فليصل رحمه » فسأل سائل عن هذا الخبر وقال كيف يجمع بينه وبين قوله جل ذكره فى محكم كتابه (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال فى موضع آخر (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) فاخبر ان الاجل لا يتقدم ولا يتاخر فكيف يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان صلة الرحم تزيد فى العمر .

تاويله وذكر الجواب عن السؤال

اعلم انه ليس شيء من هذه الاخبار مخالفا لما فى الكتاب وكيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ما يؤيد ما فى الكتاب وهو كنحو ما روى ان ام حبيبة قالت « اللهم متعنى بابى أبى سفيان وباخى معاوية » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألت فى آجال مضروبة وارزاق مقسومة ولا يؤخر منها شيء » وقال ابن مسعود رضى الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان الله تعالى يبعث ملك الارحام فيكتب اجل المولود فى بطن امه ورزقه وشقاوته وسعادته » وكذلك روى ابن عمر وجابر رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا المعنى وهذه اخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءت مجيء كتاب الله ان لكل نفس اجلا لا يتقدم اجلها ولا يتأخر . فما معنى الزيادة فى العمر فقد قال بعض اهل العلم ان معناه السعة والزيادة فى الرزق وقد قيل ان الفقر هو الموت الاكبر وقال

بعضهم

بعضهم ان الله سبحانه اعلم موسى عليه السلام ان يميت عدوه ثم رآه بعد ينسج الخوص فقال يا رب وعدتني ان تميته قال قد فعلت ذلك فاني افقرته وقال الشاعر .

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش فقيرا كاسفا باله قليل الرخاء(١)

فلما جاز ان يسمى الفقر موتا توسعا جاز ان يسمى الغنى حياة ويسميه زيادة فى العمر و يريد بذلك السعة والرزق على طريق الثواب والكرامة فى الدنيا، وقال قائلون ان معنى الزيادة فى العمر نفى الآفات عنهم والزيادة فى افهامهم وعقولهم وبصائرهم وليس ذلك زيادة فى ارزاقهم ولا فى آجالهم لأن الآجال مؤجلة لازيادة فيها والارزاق مقسومة لا يزاد لاحد فى رزقه ولا ينقص منه شيء لأن الله تعالى قد اخبر انه قسم الارزاق بين عباده فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) وقال فى الاجل (ولكل امة اجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون) ولم يخبر عز ذكره ان غير الأجل والرزق بمنزلة الرزق والأجل وقد اخبر انه يزيد من يشاء من فضله ولم يخبر انه يزيد من يشاء فى رزقه و يؤخر من يشاء فى عمره .

وقال قائلون ان الله سبحانه كتب اجل عبده مائة سنة عنده ويجعل تركيبه وهيأته وبنيته لتعميره ثمانين سنة فاذا وصل رحمه زاد الله فى ذلك التركيب وفى تلك البنية ووصل ذلك النقص فعاش عشرين سنة اخرى حتى يبلغ المائة وهو الاجل الذى لامستأخر عنه ولامستقدم فيه .

وقال قائلون ان معنى ذلك ان يكون المسبق فى المعلوم انه اذا وصل رحمه كان عمره اكثر منه اذا لم يصل فيكون كله مسبق فى العلم على الحد الذى يحدث و يوجد فى المستأنف .

فان قيل فما معنى قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره

(١) المشهور ـ الرجاء

الافى كتاب) قيل معنى ذلك لايعمر من معمر فى ابتداء الأمر ولاينقص من عمره عن الآخر فى الابتداء (١) الأجل ذلك فى كتاب قد ابين صحته واظهر قدره لا انه يكون زائدا ثم ينقص او ناقصا ثم يزيد لأن ذلك يؤدى الى ان لايكون الله عزوجل عالما بالاشياء قبل كونها على حسب ما يكون ولا يجوز ذلك فى وصفه فعلم ان المراد به تعريفنا ان التفاوت الواقع بين الاعمار فى اختلاف مددها فى الطول والقصر والزيادة والنقصان كل ذلك فى كتاب مبين على حكم واحد صدر عن علم سابق محيط .

فصل

واعلم ان الذين خالفوا من القدرية فقالوا بقطع الأجل ومعنى ذلك هو ان يكون الله عزوجل قد جعل لبعض الاحياء مدة الحياة خمسين سنة ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك سنة ويقطع عنه بلوغه المدة التى قدر الله تعالى له من ذلك وهذا عندنا مخالف للكتاب والسنة اولا وقول يؤدى الى وصف الله تعالى بالقهر والغلبة لأنه اذا اراد ان يكون اجل زيد خمسين سنة ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك سنة ويقطع عليه بلوغ مدة ذلك واراد غيره ان يكون سنة فلم يمكن من بلوغه الأجل الذى اجله الله عزوجل له واراد أن يبلغه وقطع عليه اجله فقد قهره فى مراده وغلبه فى حكمه وذلك لايليق بوصفه تعالى .

سؤال

فان قال قائل فما تقولون فى قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

قيل قد تأول بعض اهل العلم ذلك على وجوه كثيرة، فمنهم من قال معناه ان الله ينسخ من الاحكام ما يشاء وذلك محوه ويثبت منها ما يشاء وهو اثباته وتقديره وقد يوصف جل ذكره بالنسخ للحكم وبالاثبات ولا يدعو ذلك فى البداء ولا الى الزيادة فى العمر على خلاف ما ذكرنا، ومنهم من قال معناه

(١) كذا

يمحو

يمحو ما سبق من الذنوب بالتوبة المعقبة لها ويثبت للتوبة حكمها. ومنهم من قال انه يمحو بياض النهار ويثبت سواد الليل ويثبت بياض النهار ويمحو سواد الليل ومنهم من قال معنى ذلك تعريفنا ان الايجاد والاعدام والاثبات والنفي متعلق بمشيئته على حسب ما سبق في علمه وجرى به قلمه نفيا لان يكون ذلك الى غيره اومن غيره .

مسئلة

فان قال قائل من القدرية أليس قد قال الله تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه قال لقومه (اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى) وقال عزوجل في آية اخرى (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون) .

قيل اما معنى قول نوح عليه السلام انه يؤخرهم الى اجل مسمى يعني ان آمنوا واتبعوه وتكون آجالهم ولم يثبت الله لهم اجلا لم يبلغوه، ولا قال الى اجل فيكم مسمى بل لم يضف اليهم ذلك الاجل وينكره فبان ان المراد اجل من الآجال لو آمنوا واتبعوه كان لهم اجلا ، واما قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فهو احل الدنيا والآخرة ولذلك قال ثم انتم تمترون اي تشكون في البعث وهو الاجل المسمى للثواب والعقاب واجل الدنيا هو المسمى للفناء والتكليف فيه وليس في ذلك شيء يؤيد قول القدرية القائلين بقطع الاجل، واما قول من قال منهم بقطع الاجل وبني جواز زيادة فيه فيقال له هلا زعمت انه يزيد في الاجل المؤجل اذا وصل رحمه وتجنب الآفات وتعاهد من المطعومات مايستعين به على استجلاب الزيادة في عمره وصرف الآفة عنه .

فان جمعوا بين الامرين وقالوا جاز ان يزيد احدنا في الاجل الذي قدره الله بنحو ما ذكرناه كما جاز ان ينقص منه فقد فرقوا قولهم وخرجوا عن ظاهر الكتاب والسنة والمعقول لأنه كما نفى الاستقدام في الاجل فكذلك نفى الاستيخار وجمع بينهما في الحكم. ومما يوضح ذلك ان المعنى في قول نوح

عليه السلام ما ذكرناه عقيب ذلك (إن اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يريد بذلك مما هو لهم اجل فدل على ما قلناه .

ذكر خبر آخر وتأويله

ومثل ذلك مما يجرى هذا المجرى والسؤال فيه كالسؤال فيما ذكرنا ما روى انه قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء يرد البلاء والصدقة تدفع البلاء » .

وما روى انه قال صلى الله عليه وسلم « ان القضاء والدعاء يتعالجان » .

وما روى انه قال « الصدقة تدفع القضاء المبرم » ومعنى هذه الاخبار كلها على نحو ما ذكرنا وهو ان يكون السابق فى العلم مما يحدث فى المستأنف انه اذا دعا صرف عنه البلاء وكذلك اذا تصدق لا انه يكون المعلوم فى الازل وصول البلاء اليه ثم اذا حصل الدعاء تغير المعلوم لأن ذلك يؤدى الى ان لا يكون ذلك فى الازل معلوما ولا قضاء وذلك محال .

وقيل ايضا ان المراد به العوض من الدعاء والصدقة اذا اتاهما دفع ذلك عن الفاعل بهما وزر الترك وعقوبة العصيان فيه ويكون معنى التخصيص بذلك الذكر التحريض على فعله والحث عليه .

ذكر خبر آخر وتاويله

روى حماد بن سلمة عن عمار بن ابى عمار عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت فاعوره » فقال بعض اهل الالحاد على طريق الانكار لذلك ان جاز على ملك الموت العور جاز عليه العمى قال ولعل عيسى عليه السلام قد لطم عينه الأخرى فاعماه لأنه اشد كراهية للموت من موسى عليه السلام وذلك إنه قال « اللهم ان كنت صارفا هذه الكأس عن احد فاصرفها عنى » .

بيان تأويله

اعلم ان اهل النقل قد صححوا هذا الحديث وله تأويل صحيح

لا ينكر وذلك ان الله عز وجل قد جعل للملائكة ان يتصور وا بما شاؤا من الصور المختلفة ألا ترى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله فى صورة دحية الكلبى ومرة فى صورة اعرابى ومرة اخرى وقد سد بجناحيه ما بين الافق وكذلك قال الله (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) ان تقيا اسم رجل تصور جبريل بصورته لمريم عليها السلام.

فان قال قائل وكيف ساغ لنبي ان يلطم عين ملك الموت وان كان على صورة اخرى.

قيل فقد قال بعض اصحابنا فيه انما ينتقل فيه من هذه الامثلة تخييلات وان اللطمة اذهبت العين التى هى تخييل وليست بحقيقة، ومنهم من قال ان معنى قوله لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت توسع فى الكلام وهو نحو ما يحكى عن على رضى الله عنه انه قال انا فقأت عين الفتنة يريد بذلك الزام موسى ملك الموت الحجة حين راده فى قبض روحه على حسب ما روى فى الخبر.

واعلم ان للعرب فى نحو ذلك استعارات يعرف معانيها ومجارى خطابها فيها المتوسع فى استقراء كلامهم والمتبحر فى المعرفة بلغتهم فاذا كانت اللطم مستعملة عندهم على امرين، احدهما ان يراد به عين الجارحة وادخال النقص فيها، والثانى ان يراد به عين الشيء وذاته ويراد به عور محققه ومحوه لم ينكر ان يكون معنى الكلام محمولا عليه على معنى التوسع وقد يقول القائل عورت عين هذا الامر اذا رده تشبيها لمن ادخل نقصا على العين التى هى حدقة ولو قال قائل ان ذلك ان كان حقيقة من موسى عليه السلام وكان ادخال نقص على جارحة الملك باذن الله عز وجل حتى يكون محنة للملطوم وعبادة للاطم لم يكن ذلك منكرا تدفعه العقول لان الله عز وجل ان يأمر بما يشاء من ذلك ويأذن فيما يشاء منه، على ان ما قلناه اولا له وجه فى الكلام يصح فيه المعنى

على طريق الاستعارة والتوسع فى عادة خطاب العرب واذا كان كذلك لم يكن لما توهمه الزائغ عن الحق معنى وبطل توهمه الطعن بذلك على انبياء الله عليهم السلام .

ذكر خبر آخر وبيان تأويله

روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكى عن ربه سبحانه « الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واطيب ، ومن جاءنى يمشى جئته اهرول ، ومن جاءنى يهرول جئته سعيا » .

واعلم ان معنى قوله « الكبرياء ردائى والعظمة ازارى » اى ذلك صفة من صفاتى وانا المختص به دون غيرى فمن نازعنى فى ذلك بان تكبر وتعظم على الناس ادخلته النار وهذا كما تقول العرب إن فلانا شعاره ودثاره الزهد والورع اى صفته ونعته وليس يريد بذلك نفس الشعار ولا عين الدثار .

واعلم ان العرب قد تعبر مرة بالرداء عن الدين ومرة بالرداء عن السيف ومرة بالرداء عن العطية فيقولون فلان غمر الرداء اذا كان واسع العطية وان كان قصير الرداء وكذلك يعبرون عن صفاته بالرداء فيقولون رداء فلان وازاره الفسوق والمروق عن الطاعة اى نعته وصفته قال كثير .

عمر الرداء اذا تبسم ضاحكا   غلقت لضحكته رقاب المال

وقد يجعلون الرداء الحسن والنضرة اذ كان ذلك ونعته صفته كما قال القائل .

وهذا

وهذا ردائي عنده يستعيره ليسلبني نفسي امال بن حنظل

يعني يا مالك بن حنظلة .

وقد قيل في معنى الرداء الذي هو الدين ما حكي عن علي رضي الله عنه انه قال « من اراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء وليباكر الغداء وليقل غشيان النساء » قال بعضهم اراد به الدين اويسمون السيف رداء لأنه يتقلد كما يرتدى بالرداء توسعا، فاما معنى قوله « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » فيحتمل اوجها، احدها ان يكون معناه الاخبار بسرعة الاجابة لمن اطاعه ودعاه وتقرب اليه واراد بالاقتراب قرب المنزلة والحظوة لديه لا قرب المسافة والمساحة فيكون هذا الكلام تشبيها وتمثيلا، ويحتمل ان يكون اراد به من اتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب اسرع من اتيانه، ويحتمل ان يكون معناه على معنى ما قال جل وعز (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى من اطاعني طاعة واحدة جازيته عليها عشرا ويكون ذلك اخبارا عن ما يفعله من تضعيف الثواب .

ويحتمل ان يكون معناه اى ازيد الى المتقرب الى شكر نعمتي نعما كما وعدت الشاكرين من الزيادة، واما المشي والهرولة فتوسع وهذا كما قالت العرب فلان موضع في الضلالة ولا يضع لاسرع في السير وليس يراد به ههنا نفس السير وانما المراد الاسراع في الضلالة وعلى ذلك معنى قوله سبحانه (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) والسعي هو العدو والاسراع في المشي وليس يراد بذلك انهم مشوا بل المراد بذلك ستعجالهم المعاصي ومبادرتهم الى فعلها واما قوله عليه السلام « ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » فذكر العبد لله تعالى في نفسه ان يكون بحيث لا يعلمه احد غيره ولا يطلع عليه سواه قال عيسى عليه السلام (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) اى تعلم ما اخبؤه واستره واضمره ولا علم لي بما في غيبك مما تخفيه عني .

واعلم ان النفس في كلام العرب على معان منها النفس المنفوسة المركبة المجسمة ذات روح وتعالى الله ان يكون كذلك علوا كبيرا ، ومنها النفس بمعنى الدم

والعرب تقول له نفس سائلة وليس له نفس سائلة وتريد بذلك الدم ومنه يقال للمرأة نفساء إذا سال دمها عن النفاس وتعالى الله عن الوصف بذلك ايضا ومنها نفس بمعنى اثبات الذات وهذا كما تقول العرب هذا نفس الامر يريدون به اثبات الامر لا ان له نفسا منفوسة مجسمة وعلى هذا المعنى يوصف الله تعالى بان له نفسا وقد اخبر الله تعالى بذلك فى آى من كتابه منها قوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة) وقوله (تعلم ما فى نفسي ولا اعلم ما فى نفسك) وقوله (ويحذركم الله نفسه) وقد قال اهل التأويل فى ذلك قولين منهم من قال معناه يحذركم الله عقوبته ومنهم من قال يحذركم الله اياه .

وزعم بعض اهل التاويل ان النفس بمعنى الغيب ايضا كقوله تعالى (تعلم ما فى نفسي) اى فى غيبي (ولا اعلم ما فى نفسك) اى فى غيبك، ومنهم من قال ان معنى قوله (ولا اعلم ما فى نفسك) يرجع الى نفس عيسى وانه اضاف نفسه الى الله من طريق الملك والخلق يريد بذلك ان نفسي لك خلقا وملكا ولا اعلم ما فى ملكك مما خلقته الا ما علمتني، ومعنى الخبر على الوجه الذى يصح من هذه التأويلات ان من اخلص لى فى الطاعة واخفى عمله وخلصه من النفاق والرئاء اخفيت ثوابه وهذا كما ذكره فى قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) وقوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى انه قال « اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما اطلعتهم عليه » .

فاما قوله « من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واطيب » فقد قال بعض اهل العلم ان المراد بالملأ الملائكة وانه تعالى يشهدهم على ما يفعل به من الكرامات ويمدحه ويثنى عليه عندهم، وقد جعل قوم هذا الخبر حجة فى تفضيل الملائكة على المؤمنين من بنى آدم، ومن ذهب الى تفضيل الانبياء والاولياء من الآدميين على الملائكة فانه يجيب عن ذلك بان معنى قوله خير منه يرجع الى الذكر كأنه قال بذكر خير من ذكره واطيب منه لأجل

ان

ان ذكر العبد الله دعاء وتضرع وذكر الله للعبد اظهار رحمته وكرامته وذلك خير للعبد وانفع. واعلم انه اذا احتمل هذا الكلام ما حملناه وساغ في معناه ما ذكرناه وكان فيه تنزيه الله عن مشابهة خلقه مع اعطاء الخبر معنى صحيحا وفائدة كثيرة كان حمله على ذلك اولى من حمله على ما لا يليق بالله جل ذكره.

ذكر خبر آخر

وبيان تأويله

روى مكحول عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «عليكم بالجماعة فان يد الله تعالى مع الفسطاط».

اعلم ان الفسطاط في كلام العرب هو المدينة ولذلك قيل لمصر فسطاط، ومعنى الخبر ان يد الله مع الفسطاط اى ان الله تعالى مع السواد الاعظم ومع اهل الامصار وان من شذ عنهم وفارقهم في الرأى فليس على الحق، واما معنى اليد ههنا فان من اصحابنا من يقول انه بمعنى الذات من قوله (مما عملت ايدينا) اى مما عملنا وكقوله (مما ملكت ايمانكم) اى مما ملكتم انتم وكقوله (الذى بيده عقدة النكاح) والمعنى فيه انه هو المالك لعقدة النكاح بنفسه لان رأينا من يملك وهو اقطع اليد، فاما معنى قوله مع الفسطاط فاذا قلنا ان معناه انه مع الجماعة فانه يرجع في التحقيق الى ان الله سبحانه معهم بالنصرة لهم وهذا كما قيل ان الامير مع الخليفة اى بالنصرة لا بالذات وفائدة هذا الخبر الترغيب في لزوم الجماعة ومنابذة الفرقة وفيه دلالة على ان الجماعة من امة محمد عليه الصلاة والسلام معصومة وان الله عاصمهم من الخطاء وناصرهم، ومثل ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم فاذا اتفقت الجماعة على حكم علم ان تلك الجماعة المعصومة الظاهرة بالحق فيه ومن نابذها وفارقها كان كما قيل في خبر آخر «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» ومثله قوله عليه السلام «عليكم بالسواد الاعظم» وقوله ايضا «يد الله مع

الجماعة » ومعانى هذه الاخبار متقاربة .

سؤال

فان قال قائل فاذا حملتم اليد ههنا على معنى الذات فهلا حملتموها ايضا فى قوله (خلقت بيدى) عـلى الذات، قيل لا يصح ذلك والفرق بينهما ان الله عز ذكره انما قال لابليس (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت) محتجا عليه مفضلا له عليه بهذا التخصيص مبطلا لقوله انا خير منه ولو حمل على معنى الذات سقطت هذا الفائدة وبطل موضع الاحتجاج من الله تعالى عـلى ابليس وفيه ولم يكن لذكره فائدة لأن قوله خلقت فيه اثبات الذات ولا يصح ان يلغى من كلامه سبحانه شىء وقد يمكن ان يكسى فائدة وقد بينا فيما مضى تأويل اليد على ما ذهبنا وذكرنا اقسامه وما يضاف الى الله جل ذكره فعلى اى وجه يضاف بما يغنى عن اعادته ههنا .

ذكر خبر آخر وتاويله ومعناه

روى البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« ان فلانا هجانى وهو يعلم انى لست بشاعر فاهجه اللهم والعنه عدد ماهجانى» .

بيان تاويله

اعلم ان معنى قوله عليه السلام « اهجه اللهم والعنه يريد بذلك جازه على الهجاء ومثل هذا كثير فى اللغة من تسمية الجزاء باسم الشىء قال الله عز وجل (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وليس الثانى عتداء ولا سيئة فى الحقيقة وانما سمى باسمه لما كان جزاء ونظيره ايضا قوله « يستهزئ بهم » وقوله «سخر الله منهم» ذكر بعض اهل التاويل ان معنى ذلك ان يجازيهم على السخرية والاستهزاء فسمى الجزاء باسم المجازى عليه كقول القائل .

الا

ألا لا يجهلن احـد علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل كذلك معنى قوله فاهجه اللهم اى جازه على هجائه عنى بعقوبة تحلها به، ويحتمل ان يقال ان معنى فـاهجه اى ذمه لأن الهجاء الكلام الذى يقصد به الذم وقد ذم الله الكافرين عـلى كفرهم، فان قال قائل انه هجاهم على معنى ذمهم كان المعنى صحيحا و صلـا فى ذلك اذ لانجيز اطلاق لفظ فى وصف الله جل ذكره الا على الوجـه الذى وصف به نفسه لا نتعداه ولانتقدم بين يديه .

ذكر خبر آخر مما يقتضي التاويل

روى محمد بن زياد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم «يعجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل» .

تاويل ذلك

اعلم انا قد بينا معنى العجب المضاف الى الله تعالى وقد روى فى اضافة التعجب الى الله اخبار قد تقدم بيانها وان ذلك يرجع الى معنى الرضا والتعظيم وان الله عزوجل يعظم من اخبر عنه بانه يعجب منه ويرضى عنه ومعنى قوله «يقادون الى الجنة بالسلاسل» فقد قيل فى معناه انهم يكرهون الطاعة التى يصلون بها الى الجنة من حيث تخالف اهواءهم وشهواتهم وتكرهها نفوسهم من حيث تشق عليهم وتصدهم عن الراحات واللذات فى الحال وكانهم سائقة لهم الى الجنة وهى دار الراحات وسوى الطيبات اى هذه النفوس تطلب الراحات واللذات فى الدنيا وتكره الطاعات والعبادات لما فيها من المشاق وهى التى تسوقهم الى اللذات وتقودهم الى الدرجات

ذكر خبر آخر وتاويله

روى ابن ابى ليلى عن عطية عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قال « ان الله جميل يحب الجمال » وحكى ان بكر بن عبد الله المزنى

كان يجمل الثياب ويدهن بالغالية ويلبس الطيالسة الطرازية والقمص القوهية فقال له بعض جلسائه لو تصرت فى بعض هذه الكسوة فقال ان الله تعالى جميل يحب الجمال.

معنى بيان ذلك

اعلم ان وصفنا الشئ بانه جميل يحتمل وجهين احدهما ان يراد به جمال الصورة والهيئة والتركيب وذلك بان يستجمله الناظر اليه وذلك مستحيل فى وصف الله منفى عنه، فان قال قائل فكيف نفيتم ذلك عنه مع ما روى فى خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «رأيت ربى فى احسن صورة» قيل ان هذا الخبر ايضا يحتمل التأويل ومحمول على الوجه الصحيح مما يحتمله مما لا يقتضى التشبيه ولا يؤدى اليه وذلك ان يكون معناه وانا فى احسن صورة اويكون معناه كما قال بعضهم وانا فى مكان هو احسن صورة اويكون معناه وانا فى احسن صفة عند الله عز وجل يخبرنا برضاه عنه عليه السلام وتلقيه له جل ذكره بالكرامة والبشارة.

سؤال

فان قيل فاذا لم يجز ان يحمل على جمال الصورة لاستحالة ان يكون الله تعالى جسما ذا تركيب وهيئة فعلى ماذا تحملونه.

قيل ان اهل اللغة قد يستعملون مثل هذا اللفظ من فعيل على معنى مفعل كوصفنا الله جل ذكره بانه حكيم والمراد به محكم لما فعله وكذلك يجوز ان يقال الله تعالى جميل بمعنى مجمل واجماله المضاف اليه على وجهين. احدهما ان يكون يحسن الصور والخلق اى انه يحسن خلق ما يشاء وهو هيئته وصورته كما يقبح خلق من يشاء بتشويه صورته وهيئته. والوجه الثانى من الاجمال المضاف الى الله عز وجل وهو بمعنى الاحسان والفضل اى وهو المظهر النعمة والفضل والمبدى من يشاء من خلقه برحمته وكرامته وذلك سائغ عند اهل اللسان

ومتعارف فيما بينهم ألا ترى انهم يقولون اجمل فى هذا الامر اذا اوصاه بان يأتى فيه بالجميل من الفعل والمذهب فيه والله عزوجل اعلم موصوف بانه مجمل على الوجهين جميعا من تحسين الصور والابتداء بالفضل والنعمة فاما جمال الصورة والهيئة على الوجه الذى يستجمله الناظرون على مايستجملون من هيئات الخلق فما لا يليق بالله سبحانه واما قول بكر المزنى فراجع الى مثل ما روى عن النبي عليه السلام انه قال « اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه » وهو معنى قوله (واما بنعمة ربك فحدث) والتحديث بها اظهارها ونشرها فما سبيله من نعم الله ان لا يظهر للناظرين فاظهاره شكر الله عليها وما يمكن ان يظهر فاظهارها نشرها وعلى ذلك يحمل قول بكر المزنى وهو احد المعنيين اللذين حملنا عليه خبر الرسول عليه السلام .

ذكر خبر آخر وتأويله ومعناه

روى على بن ابى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » .

اعلم ان معنى قوله عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق اى انه ليس بعجول وانما يعجل من يخاف الفوت فاما من كانت الاشياء فى ملكه وقبضته فليس يعجل فيها ، وقوله يحب الرفق اى يحب ترك العجلة فى الاعمال والامور قال الشاعر .

لم ار مثل الرفق فى لينه … اخرج للعذراء من خدرها

يريد لم ار مثل ترك العجلة ، ومعنى الرفيق معنى الحليم وقد يجوز أن يستعمل احدهما بدل الآخر ، وقد قيل ايضا ان معنى الرفيق بمعنى المرفق كما يكون حكيم بمعنى محكم وجميل بمعنى مجمل والمعنى فى ذلك انه الخالق للرفيق يفعل برفقه بمن يشاء على معنى انه ينفع من يريد ويلطف بمن يريد .

واعلم ان هذا الخبر وان كان من اخبار الآحاد فلم يرد بما يستحيل فى وصف الله تعالى فلم ينكر أن يتأول على الوجه الذى قلنا وقد ورد فى بعض

الاخبار ايضا مما فيها اسامى الرب ان الله صبور ولم يرد به نص القرآن ولا تواترت به الاخبار ومعناه معنى حليم، وقد اختلف اصحابنا فى معنى وصفه بانه حليم فمنهم من قال ان معنى الحلم ترك تعجيل العقوبة لمن يستحقها ومنهم من قال معناه نفى السفه عنه وان الله لم يزل حليما على هذا المعنى وهو مذهب النجار .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قال قائلون فما تقولون فيما رواه محمد بن كعب القرظى « ان الله يمشى فى ظلل من الغمام والملائكة ويقف على ادنى اهل الجنة درجة فيسلم عليهم ويردون السلام ثم يرجع الى مكانه » قيل ان اهل النقل قد ضعفوا هذا الخبر فمنهم من قال انه وقع اليه كتب من يهود قريظة (١) فكان ينظر فيها ويروى عنها وقيل ايضا ان الذى رواه عنه زمعة وسلمة بن وهرام وكلاهما ضعيفان وعكرمة اضعف منهما . على انه ان كان صحيحا فمعناه محمول على سائر معانى افعاله مثل قولنا يعدل ويحسن ويحرك ويشكر ويجيء ويأتى وليس ذلك بمعاناة ومعالجة ولا ذلك بانتقال وحركة كما يكون ذلك منا لأنه لا يفعل فى نفسه، فاما قولهم فى ظلل من الملائكة والله فيها بمعنى مقدرها ومدبرها وان ذلك على التقديم والتأخير وهذا على مذهب من قال من المعتزلة والنجارية ان الله فى مكان على معنى انه مدبر لكل مكان مقدر لما فيه ونحن نأبى ذلك ولكنا نقول على مذهب أصحابنا ان الله عزوجل فى السماء على معنى انه فوقها وعليها كما قال عزوجل (فسيحوا فى الارض) اى فوقها وكما قال (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) اى عليها، واما معنى وقوفه على اهل الدرجات فى الجنة فقد قيل معناه ان الله عزوجل وصف نفسه بكرامته لاهل الدرجات فى الجنة درجة بعد درجة، الاعلى فالاعلى، فاما قوله ثم يرجع الى مكانه فليس ذلك على معنى الانتقال فى مكان لأنه ليس فى مكان ولا يجوز عليه الانتقال وانما معناه

(١) على هامش س «وضعوا» بدل قريظة وكتب عليه صح .

العود الى افعاله قبل ان يحدث لهم ما احدث وذلك توسع فى الكلام كما يقال جاءك الخير يعد وعدوا والمراد سرعة الاقبال عليك ، واذا احتمل اللفظ ما ذكرنا وكان خلافه يؤدى الى التشبيه والى وصفه تعالى بما لايليق به كان اولى الامور ان يحمل على الوجه الذى يصح معناه ويوافق معنى قوله سبحانه (ليس كمثله شيء) .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى انه قال صلى الله عليه وسلم «دخلت على ربى فى جنة عدن شابا جعدا فى ثوبين اخضرين» .

قيل معنى قوله «دخلت على ربى» كمعنى قول المسلمين فى الموسم «اتيناك ربنا شعثا غبرا من كل فج عميق تغفر لنا ذنوبنا» ويقال ايضا فى الكلام الجائز الجارى فى العرف اقبل الله على فلان بالكرامة واقبل فلان على الله بالطاعة ، اى دخلت جنة ربى بتقريبه لى وبكرامته اياى فرأيت فيها شابا وليا من اوليائه على هذا الوصف دون ان يكون هذا المذكور هو الله عز وجل وقد يقال دخلت فى غير ما يكون فى مكان ايضا وذلك متعارف بين اهل اللغة كما يقولون دخل فى امرك البركة ودخل الله فى اموركم البركة اى بارك لهم فيها ويقال دخل فلان على امرى ورأيى ويقال ايضا دخل على فلان فى منزلى لا انه دخل على بدنه وانما المعنى انه دخل داره كذلك معنى دخلت على ربى اى دخلت دار ربى وهى الجنة والدار التى عدها لاوليائه .

ويحتمل ان يكون معنى وانه فى الجنة شاب جعد وان ذلك كان رؤيا فى منام والشيء قد يرى فى المنام على خلاف ما يكون به فاذا احتمل هذا الكلام ما ذكرنا كان حمله عليه اولى .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى عن مجاهد أنه قال يقول داود عليه

السلام يوم القيامة « رب ذنبي فيقول ادنه ادنه فيدنو حتى يمسه» قال فمس سفيان ركبته يشير الى انه مس ركبته ، قيل إن مجاهدا مأخوذ من قوله ومتروك ولكنه ان صح فيحتمل ان يقال معناه ادنه بمسئلتك اياى وتقرب الى بذلك وبالخضوع لى حين يمسه عفو الله وصفحه ورحمته وقيل ايضا يحتمل ان يكون ذلك على المثل انه يدنو بالتضرع والخشوع اليه حتى يصير كهيئة المماس فى المثل على الوجه الذى لايكون بينه وبين ما يماسه حائل على ان مجاهدا ليس بحجة فى مثل هذا وقد قيل ايضا انه لم يذكر فى الخبر ركبة .

ويحتمل ان يكون ركبته بعض خلقه امره بالدنو منه امر تعبد ليخضع لله جل ذكره بذلك حتى ينال له عفوه ورحمته .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون ايضا فيما روى عن مجاهد انه قال فى تأويل قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) انه يقعده معه على العرش، قيل هذا ايضا غير مأخوذ به من قوله وتأويله مع انه يحتمل ان يقال انه معه بمعنى النصرة والمعونة كما قال (ولا تحزن ان الله معنا) وكما قال (ان الله مع المتقين) على معنى النصرة والمعونة وذلك ان مع فى الكلام يحتمل وجوها . احدها بمعنى الصحبة فى البقعة والمجاورة لمن فيها وذلك لايليق بالله سبحانه ، ويكون ايضا بمعنى العلم كما قال (وهو معكم اينما كنتم) والمعنى فيه انه عالم بكم، سامع لكلامكم، راء لاعمالكم، واشخاصكم، وذلك جائز فى وصفه ويشمل الكافر والمؤمن . فاما اذا قيل انه مع المؤمن تخصيصا بمعنى النصرة والمعونة فيكون معنى الخبر ان الله تعالى يكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بابلغ الكرامات حتى يقعده فى ارفع المقاعد عنده وهو معه بالنصرة والمعونة، والمقاعد المقربة من الله تعالى مقامات الطاعات ودرجات الكرامات دون ما هو من طريق الصحبة فى المكان والمجاورة لمن فيه .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قال قائل فما تقولون فيما روى الشعبي « ان الله ملأ العرش حتى ان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد قائلا هكذا » ووضع احداهما على الاخرى قال ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى، قيل معنى قوله ملأ العرش يحتمل ان يكون المراد ملأه عظمة ورفعة وعزة وآلاء وهذا كما قال عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها) والامانة ليست بجسم فاما معنى قوله هكذا فيحتمل ان يقال اراد به التجبر والعظمة التي لا يجوز لغيره واما معنى وضع حماد ساقه على ركبته اليسرى فليس على معنى اثبات الجارحة والاشارة الى معناها بل انما اراد به انه هو المنفرد بمثل هذه العظمة وانه العالي المستولي على كل ما خلقه .

واعلم انه سائغ في الكلام ان يقال ملأت قلبك فرحا وغما وليس المراد به امتلاء من طريق شغل المكان من جهة المساحة ويقال ملأ فلان هذا البلد علما والمراد به ما نشر فيه من الكتب التي العلم فيها مكتوب وما روى وذكر فيه ولا يكون المراد به على نحو ملء الاواني بالاجسام التي فيها وما احتمل الكلام هذين المعنيين ولم يجز احدهما على الله تعالى صح ان المراد به ما قلنا .

ذكر خبر آخر وتأويله

وكذلك ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان العرش يثقل على كواهل حملته من ثقل الرحمن حتى يعرفوا غضبه بثقله على كواهلهم » في خبر هذا معناه ، قيل اما معنى قوله من ثقل الرحمن فليس ذلك ثقلا كثقل الجسم والاشباح وانما هو ثقل عظمته كقول القائل ثقل على كلامك وليس ثقله كثقل الاجسام وقد يقال الحق ثقيل مر وليس المراد به ثقلا كثقل الاجسام انما المراد به ما في تحمله من الصعوبة والمشقة على النفس وقد قال سبحانه وتعالى (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) فثقل الرحمن على الملائكة ثقل هيبته في قلوبهم

وما يتجدد لهم فى بعض الاحوال من ذكر عظمته وعزته. فاما ما يعرفون به غضب الرحمن جل ذكره فيحتمل ان يخلق فى العرش ثقلا على كواهلهم ويجعل ذلك امارة لهم فى بعض الاحوال من ذكر انزاله العقوبة بقدر فكلما وجدوا ذلك ازدادوا تعظيما وذكراء وانما قلنا ذلك لاستحالة وصف الله تعالى بالمماسة والاعتماد على الاجسام وان يكون جسماله ثقل واذا احتمل الكلام ما ذكرناه وكان سائغا فى اللغة وجب ان يحمل تأويله عليه دون ان يحمل على ما لايليق بالله .

ذكر خبر آخر وتاويله ومعناه

فان قيل فما تقولون فيما روى ان جبرئيل عليه السلام ابطأ على النبى صلى الله عليه وسلم « فقال انى وجدت(١) ربى يصلى » وفيما روى ان بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا أيصلى ربنا فاوحى الله تعالى اليه ان ابلغهم انى اصلى كيما تغلب رحمتى غضبى ولولا ذلك هلكوا ، وفيما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اسرى به الى السماء السابعة اتاه جبريل فقال رويدك يا احمد فان ربك يصلى فقلت وان ربى يصلى قال نعم قلت واى شىء يقول فقال يقول سبوح قدوس سبقت رحمتى غضبى .

بيان تاويله

اعلم ان الصلاة على وجوه واذا اضيف الى الله تعالى فمعناها المدح والثناء والرحمة والبركة واذا اضيفت الى الملائكة فمعناها الاستغفار وطلب الشفاعات واذا اضيفت الى المؤمنين من الآدميين فالمراد الدعاء قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا يها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فصلاة الله عزوجل اظهاره رحمته ومدحه وثناؤه وصلاة الملائكة استغفارهم وسؤالهم الفضل والدرجة لمن يصلون عليه وصلاة المؤمنين دعاؤهم ربهم بانزال البركات والرحمة على من يصلون عليه ، ومعنى قوله تعالى ابلغهم انى اصلى اى

(١) س - دخلت .

انى

انى ارحم واغفر واستر ، و معنى قوله كيما تغلب رحمتى غضبى اى حتى يسبق الكائن من رحمتى غضبى،ورحمته فى الحقيقة عندنا ارادته ان ينعم على من اراد تنعيمه وغضبه ارادة تعذيب من علم تعذيبه وعقوبته على الدوام ثم سمى الكائن عن الرحمة رحمة والكائن عن الغضب غضبا كما سمى المعلوم علما والمقدور قدرة والموهوب هبة واذا كان ذلك كذلك حملنا معنى قوله سبقت رحمتى غضبى وكيما تغلب رحمتى غضبى على الكائن من رحمته وغضبه والمراد به اظهار بركته وكرامته لاهل البركة والرحمة كما ظهر تعذيبه وعقابه لاهل العقوبة ، واعلم ان معنى الصلاة فى اللغة بمعنى الدعاء كثير وبمعنى المكاء والتصدية كما قال تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) والمكاء الصفير والتصدية التصفيق ويقال للصلاة الشرعية صلاة وهى القراءة والتسبيح والركوع والسجود ويعبر عن جملة هذه الافعال انها صلاة من طريق الشرع لا من طريق اللغة ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بهذا النوع من الصلاة التى تتضمن هذه الحركات والهيئات لاستحالة كونه جسما محدودا يتحرك ويسكن وجائز وصفه بالصلاة التى هى الثناء والدعاء والرحمة وما وصف به من ذلك فعلى هذا المعنى لا على غيره .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فى حديثه «انه يتجلى للخلق فيلقاهم فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه اذا اعترف لنا عرفناه» وفى بعض الالفاظ اذا عرفنا بنفسه عرفنا قال فعند ذلك يكشف عن ساق ولا يبقى مؤمن الاخر لله ساجدا ، قيل اما رؤية الله تعالى فجائزة نظرا وواجبة للمؤمنين خبرا وقد تقدم بيان ذلك فاما قوله فيكشف عن ساق فلم يضف ذلك الى احد ومعناه عن شدة لأن مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر .

وقامت الحرب بنا على ساق

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله جل وعز (يوم يكشف عن ساق) اي شدة الامر وقال الحسن في قوله و (التفت الساق بالساق) اي التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه امر الدنيا من الآخرة وقال عمر رضي الله عنه معناه اعمال الدنيا بمحاسبة الآخرة وذلك امر عظيم .

ذكر خبر آخر وتاويله

فان قيل فما تقولون فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه انه قال « رأيت ربي جعد اقططا » قيل هذا حديث ضعيف عند اهل النقل وان صح معناه يرجع الى الرائي ويكون ذلك رؤيا نوم والرائي قد يرى نفسه في النوم على خلاف ما هو به لأن هذه الصفات لا تليق بالله سبحانه ولم يرد به كتاب ولا سنة متواترة ولا اجمعت الامة عليه فيكون ذلك من طريق الاسم لا من طريق المعنى لأن معناه مستحيل في وصفه لاستحالة كونه جسما محدودا متجزيا وقد مضى بيان تأويل ذلك في اول كتابنا .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى حماد عن ابي المهزم عن ابي هريرة رضي الله عنه « ان الله عز وجل خلق نفسه من عرق الخيل » قيل هذا حديث منكر عند اهل النقل وابو المهزم مجهول وقال في حماد عبدالرحمن بن مهدي انه لم يكن يعرف هذه الاحاديث حتى خرج خرجة الى عبادان فلا احسب الا شيطانا دسه في كتبه وكان حماد ذا غفلة وكان لا يحفظ وابن ابي العوجاء ربيبه وكان زنديقا وكان يتهم بانه دس في كتبه وقيل ان بعض الزنادقة أخذ في زمان المأمون فقيل له اتب فقال كيف اتوب؟ وقد وضعت كذا وكذا كتاب حماد حديثا وسمعت الناس يتحدثون بها ولقد جهدنا ان نزيد في كتاب الله حرفا فلم نقدر عليه ، على انه لو كان صحيحا كان يمكن ان يتأول على انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا مم ربنا الذي كنا نعبده في الجاهلية من دون الله يريدون من

الشياطين الذين دعتهم الى معصية الله واعلم ان هذا الحديث ونحوه من الاخبار المتناقضة التى لايجوز الاشتغال بها وبتأويلها لظهور فسادها ووضوح الخلل فى امرها واجماع اهل النقل فى انها موضوعة لا اصل لها .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسرائيل سألوا موسى بما شبهت كلام الله تعالى فقال باشد ما يكون من الصواعق وليس بذلك وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان فيقولون ماذا قال ربنا فيقال الحق الحق فيقول الملائكة الحق الحق ثم قرأ قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) .

تأويله

اعلم ان كلام الله تعالى ليس بحرف ولاصوت عندنا وانما العبارات عنه تارة تكون بالصوت والعبارات هي الدالة عليه وامارات له تظهر للخلق ويسمعون عندها كلام الله فيفهمون المراد فيكون ما سمع موسى عليه السلام من الاصوات مما سمع يسمى كلام الله عزوجل ويكون ذلك فى نفسه غير الكلام ويحتمل ان يكون معناه ان يسمى العبارة كلام الله كما يسمى الدلالة على الشئ باسمه وكما يسمى الواقع عن القدرة قدرة وكما عن الرحمة رحمة فيكون معنى قوله بم شبهت كلام الله اى بما شبهت العبارة عنه والدلالة عليه مما سمعت عندها وسماعها كلام الله عزوجل لاستحالة ان يكون لكلام الله عزوجل شبيه ويحتمل قوله باشد من الصواعق ان يكون اراد به ما وجد عند سماعه من التعظيم والاجلال والهيبة كما يستعظم الصواعق وكان عنها واذا اقامت الدلالة على انه لا يجوز أن يكون كلام الله عزوجل مخلوقا ولا ان يكون اصواتا تتجدد شيئا فشيئا وجب ان يحمل التأويل فيه على ما قلنا

ولسنا ننكر أن يكون كلام الله تعالى عبارات هى اصوات منها اصوات مختلفة ومنها ما يكون علامات له عندها العلم والسمع لكلامه وقد تكون الدلالة فى كتاب الله ايضا بالكتاب ويكون الكتابة غير المكتوب كما تكون العبارة غير المعبر فعلى ذلك حمل تأويل الخبر وما ضاهاه .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قيل فما تقولون فيما روى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا سجد احدكم فانما يسجد على قدم الرحمن » .

قيل قد بينا فيما قبل معنى القدم المروى فى غير هذا الخبر مما اضيف الى الله عزوجل وانعجب للفرقة المشبهة ربها بالخلق فى احتجاجها بذلك اذ من قولها ان الله تعالى على صورة آدم وان له حدا وغاية وانه فى السماء وعلى العرش مستو استواء استقرار ثم تحتج بان ابن آدم يسجد على قدم الرحمن وقد حكمت على زعمها بكفر من يقول ان الله تعالى فى الارض وهذه مقالة تنقض بعضها بعضا ومعنى الخبر ان صح ان العبد يتوضأ للصلاة فيكتب بذلك الاجر ويحط الله عنه الوزر ثم يدخل العبد فى الصلاة بالتكبير وبما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يقوله المصلى بعد تكبيرة الافتتاح للصلاة ثم يقرأ ويركع ويرفع رأسه فاذ سجد كان سجوده آخر كل ركعة على قدمه للرحمن فكان قوله صلى الله عليه وسلم يسجد ابن آدم عـلى قدم الرحمن يعنى على ما قدم للرحمن له ألم تسمع قوله عزوجل (ان لهم قدم صدق عند ربهم) فهذه القدم الصدق هى ما قدمه العباد من خير مهدوا به لانفسهم ويحتمل ان يكون معناه ان المصلى يسجد على قدم الرحمن اى يطيع ربه على ماقدم الله جل ذكره له من الحكم بانه يصلى ومما سبق له من الوعد بالجميل عليه كما قال الله عزوجل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) واذا احتمل الكلام ماذكرنا واستحال وصف الله تعالى بالجوارح وجب ان يحمل على ما قلنا دون ما توهمه المشبهة لاستحالته .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان اقرب اهل الجنة منزلة من الله عز وجل من ينظر فى وجه الله تعالى كل يوم مرتين» وروى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «اسئلك لذة النظر الى وجهك الكريم» .

ذكر خبر آخر وتأويله

اعلم ان اطلاق وصف الله عز وجل بان له وجها قد ورد به نص الكتاب والسنة وذلك من الصفات التى لاسبيل الى اثباتها الامن جهة النقل ولو لم يرد بذلك خبر لم يجز اطلاقه اذ لا دلالة من جهة العقول تقتضى ذلك فتوجبه .

وذهبت المعتزلة فى تأويل ذلك الى ان معناه انه هو وان وجه الشيء قد يكون نفسه وتأولوا قوله سبحانه (فاينما تولوا فثم وجه الله) اى فثم الله وان وجه الله هو الله وشبهوا ذلك بقولهم وجه الحائط ووجه الثوب ووجه الأمر وهذا عندنا خطاء لأن القول به يؤدى الى جواز القول بان الله عز وجل وجه وان يجوز بان يدعى به فيقال يا وجه غفرلنا وقد اجمعت الامة على المنع من ذلك .

وذهب أصحابنا الى ان الله عز وجل ذو وجه وان الوجه صفة من صفاته القائمة بذاته وذهبت المشبهة الى وجه الجارحة والآلة وقد بينا فى اول هذا الكتاب انه لايصح وصف الله تعالى بالجوارح والآلات وان ذلك يؤدى الى نقص توحيده والى القول بانه اجزاء مبعضة واجسام مركبة وذلك محال فى وصفه فاما الذى يجب ان يكشف عنه من تأويل هذا الخبر على اصلنا اذا وجه السؤال اليه فقيل كيف خص النظر الى وجهه وعلق بذكر الوجه وكيف قال لذة النظر الى وجهه وهل الوجه الذى هو صفة مرئى واذا كان مرئيا ولم يكن هو الذات فما الفائدة بتخصيص النظر اليه .

والجواب

عن ذلك انه قد يذكر صفة الشيء والمراد به الموصوف توسعا كما

يقول القائل رأيت علم فلان اليوم ونظرت الى علمه وانما يريد بذلك رأيت العالم به ونظرت الى العالم كذلك اذا ذكر الوجه هاهنا فالمراد به من له الوجه وعلى هذا يتأول قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) ان المراد به لله الذى له الوجه وكذلك قوله (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) فان المراد به ابتغاء ربه الاعلى الذى له الوجه فاما ما ذهب اليه المعتزلة من تشبيه ذلك بوجه الثوب ووجه الحائط فغلط من التمثيل من قبل ان وجه الثوب والحائط ليس هو نفس الثوب والحائط بل هو ما واجه به واقبل به وكذلك وجه الامر ما ظهر منه فيه الرأى الصحيح دون ما لم يظهر واذا لم يجز فى اللغة استعمال معنى الوجه على معنى الذات على الحقيقة فى موضع وقد ورد اطلاق الكتاب والسنة بذلك لم يكن لما ذهبت اليه المعتزلة وجه ووجب ان يحمل الامر فيه على ما قلنا انه وجه صفة ولا يقال هو الذات ولا غيرها .

سؤال

فان قال قائل فانه لا يعقل وجه الا جارحة او بعض اونفس الشئ قيل فى هذا جوابان، احدهما انه اثبات وجه بخلاف معقول الشاهد كما ان اثبات من اضيف اليه الوجه اثبات موجود بخلاف معقول الشاهد والثانى ان الوجه على الحقيقة لا يكون نفس الشئ لما بينا ان ذلك لا يوجد فى اللغة حقيقة ايضا واما اطلاق البعض (١) على الوجه الذى هو جارحة فتوسع عندنا وان كان حقيقة ايضا فلم يكن وجها لانه بعض فيجب ان لا يكون وجه الا بعض واذا لم يكن الوجه وجها لانه (بعض - ٢) ولا لانه جارحة لم ينكر اثبات وجه خلافا من الموضعين (٣).

واعلم ان احدا صونا فى هذا الباب ان كلما اطلق على الله عز وجل من هذه الاوصاف والاسماء التى قد تجرى على الجوارح فينا فانما يجرى ذلك فى وصفه (٤)

---

(١) ب - النعم (٢) سقط من س (٣) على هامش س - خلا عن الوصفية

(٤) س - فى وصفنا .

على

على طريق الصفة اذا لم يكن وجه آخر يحمل عليه مما يسوغ فيه التأويل وذلك لصحة قيام الصفة بذاته فان قيامها مما لا يقتضي انتقاض توحيده ونحو وجه عما يستحقه من القدم والالاهية فاما وصفه بذلك على الحد الذي يتوهمه المشبهة الممثلة ربها بالخلق فى اثبات الجوارح والآلات فخلاف الدين والتوحيد وحملها على ماذهبت اليه المعتزلة فيه ابطال فائدتها واخراجها عن كونها معقولة مفيدة على وجه الحق والحق بين هذين المذهبين من التعطيل او التشبيه وان يتمسك بحكم الكتاب والسنة ويتبع ما ورد النص فيها لاعلى التعطيل كما ذهبت اليه المعتزلة ولاعلى التمثيل كما ذهبت اليه المشبهة .

واعلم ان هذا الباب يفتح لك طريق الكلام فى هذه الاوصاف والاطلاقات ويوقفك على صحة الحق وهو مذهب اصحاب الحديث فيه ويعرفك كيفية سلوكنا بها (١) وانا لانسلك فى ذلك مسلك من يروم نفى الصفات من الملحدة والمعتزلة ولا مسلك من اثبتها فى حكم التمثيل من المشبهة وهكذا طريقنا فى اثبات اليدين لله عزوجل وكذلك القول فى العين فافهم ما عرفتك الطريقة فى هذا الباب واحمل عليه جميع مايجرى مجراه .

سؤال آخر

فان قيل فلم لا تقولون على هذا الوصف قدم صفة وصورة صفة لان الاضافة قد حصلت فى الخبر اليه على هذا الوجه فقيل على صورته و قيل قدمه .

قيل انما لم يحمل ذلك على الصفة لامتناع المعنى فيه وان الصفة ليست مما يوصف بالوضع فى الاماكن وقد وجدنا لذلك تاويلا صحيحا قريبا يمنع هذه الشبهة وهو ما ذكرنا قبل انه قدم المتجبر على الله عزوجل يضعها على حد على معنى استحقاق العقوبة على عتوه على الله وبينا ان لفظ الجبار مشترك وليس هو مما يوصف به الا الله عزوجل بل روى فى بعض الاخبار ان جلد الكافر

---

(١) س - لها

يبلغ فى النار اربعين ذراعا بذراع الجبار ولان المراد به هاهنا هذا الرجل الطويل ومن السائغ فى اللغة هذه نخلة جبارة اذا كانت طويلة .

فاما الصورة فقد بينا ايضا انه لا يصح ان تكون صفة لما اخبر انه خلق آدم عليها ولا تكون الصفة مثالا لآدم فيخلق عليها فلايصح ان يحمل على صورة بمعنى الصفة وانما حملنا ما اطلق من ذكر الوجه واليدين والعين على الصفة من حيث لم يوجد فى واحد منها ما يستحيل ويمتنع وليس كلما اضيف اليه فهو على طريق الصفة بل ذلك ينقسم على اقسام . منها بمعنى الملك ومنها بمعنى الفعل ومنها بمعنى الصفة وانما يكشف الدليل ويميز القرائن مواقعها على حسب ما بينا ورتبنا فاعلمه ان شاء الله .

ذكر خبر آخر وتأويله

فان قال قائل فما تقولون فيما روى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «رأيت ربى فى صورة شاب امرد عليه حلة حمراء » وفى بعض الاخبار أن عبد الله بن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فارسل اليه عبد الله بن عباس فقال نعم قد رآه فى صورته على كرسى من ذهب محتجب بفراش من ذهب فى صورة شاب رجل ، وفى خبر آخر عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى) قال رأى محمد ربه بعينيه حتى تبين له انتاج المخوص باللؤلوء .

وعن الحكم بن ابان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس رضى الله عنهما وسئل هل رأى محمد ربه ؟ قال نعم قلت لابن عباس اليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال لا ام لك ذاك نوره اذا تجلى بنوره لم يدركه شيء .

وعن عمارة بن عامر عن ام الطفيل انها سمعت رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم يذكر انه رأى ربه فى صورة شاب موفر رجلاه تصير(١) على نعلين من ذهب على وجهه فراش من ذهب .

وعن سالم بن ابى زياد قال خرجت من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت عكرمة مولى ابن عباس فقال لا تبرح حتى اشهد على هذا الرجل فاذا الرجل معاذ بن عفراء قال اخبرنى ما اخبرك ابوك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنى ابى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه انه رأى رب العالمين فى حصوبين الفروس (٢) الى نصف ساقيه فى صورة شاب يلتمع البصر .

ذكر تأويل ذلك

والكلام على تخريجه على الوجه الذى يليق بصفة الله عز وجل مما لا ينقض التوحيد ولا يؤدى الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاول ما فى ذلك ان احدى عمد التوحيد واركانه توحيد ذات الله تعالى على المعنيين اللذين تقدم ذكرهما فى اول الكتاب من نفى الانقسام واستحالة التبعيض عليه .

والثانى افراده بالتدبير فى انشاء المخترعات وذلك من الاصل الواجب فى تصحيح عقد التوحيد وهو مما لا يسوغ ان يرد السمع الا بتحقيقه وتثبيته ولا يجوز ان يرد بنقضه وابطاله خبر صادق على وجه من الوجوه الا ان يكون المراد به مالا يرجع الى وصف الله عز وجل بذلك ويكون له طريق فى التأويل مما لا يأباه عقل ولا ينكره سمع على النحو الذى نبينه ونرتبه بعد ثم بعد ذلك ونحمل هذه الاحاديث التى ذكر فيها هذه الاوصاف التى ذكرناه فى هذا الفصل مما يدور على رواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه، وقد ضعف اهل العلم بجرح

(١) هكذا فى الاصول وفى اللآلى المصنوعة «احسن صورة شاب موفر رجلاه فى خضرة» – ح (٢) كذا ولعله «فى حظيرة القدس» – ح .

والتعديل عكرمة فى روايته، عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال لنافع لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس واذا كان مداره فى الآحاد عليه وهو عند اهل العلم بالنقل ضعيف كان ذلك احد ما يوهنه ومع ذلك فان قبله قابل وحكم بصحته حاكم وطلب لذلك وجها من التأويل يطلب به التخلص من التشبيه ليجمع بين قبول هذا الخبر وبين ما يعتقد فى التوحيد كان طريق ذلك ممكنا من وجوه ، احدها ان يكون معنى ذلك انه يحتمل ان يكون اراد صلى الله عليه وسلم به انه ممن لا يشغله الذين فى حسن الصورة والتركيب على الوجه الذى دبره الله عز وجل وركبه عن الله وعن رؤيته وطاعته لكونه معصوما محروسا من آفات الشهوات وعوارض الغفلات معرفا لنا بذلك فضل الله عز وجل عليه فيه وانه ممن لا يلهيه حسن المناظر وانما يرى ربه فيها لاهى على الوجه الذى ذكرنا وتكون فائدته انه لما اسرى به الى السماء ودخل الجنة ورأى ما فيها ما يرى من الزين والآلات وحسن الصور على تلك المناظر اتى وصف فى الخبر وان ذلك يرجع الى ما رأى فى الجنة من هذه الخلق وما زينت بها وانه انما رأى فى جميع ذلك ربه لم يقطعه عن نظره اليها عنه ويحتمل ايضا ان يقال هذه صفات ترجع الى النبى لان قول القائل رأيت زيدا راكبا يحتمل وجهين احدهما ان يكون الركوب صفة للرائى والثانى ان يكون الركوب صفة للمرئى واذا احتمل الوجهان وكان ما ذكرنا من هذه الصفات مما لا يصح ان يرجع الى الله تعالى وجب ان يحمل على الوجه الآخر وهو أن يكون الرجوع فيها الى الرائى والى ذكر معانيه وصفاته واذا قلنا ذلك احتمل الكلام فيه بعد ذلك وجهين .

احدهما ان يكون ذلك رؤيا منام كما روى ايضا فى حديث ام الطفيل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « رأيت ربى فى النوم » وذكر الحديث ، ويحتمل ايضا ان يقال ان ذلك وان كانت رؤية عيان فى حال اليقظة فان ذلك يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى انه كان فى

حال رؤيته لله عز وجل فى باب الثبات والقوة والتمكين من حاله من حيث لم تستفزه هذه الحال ولا ازعجته واوهنته كما يكون المذكور فى الخبر على تلك الهيئة فى اتم احواله واقواها وتكون الفائدة فيه ماخصه الله عز وجل به من التمكين فى تلك الحالة واذا احتمل هذا الكلام هذه المعانى وكانت مفيدة اذا حمل عليها المعنى الصحيحة كان حمله عليها اولى من حمله على مالايليق بالله عز وجل .

فان قال قائل فلم لا تجعلون هذه الاوصاف صفات لله عز وجل ثم تجرونها مجرى الصفات التى ورد بها الكتاب كاليد والعين والوجه قيل لا لامور ، احدها ان هذه اخبار لم ترد المورد الذى يقطع العذر ومع ذلك ففيها ما علت طرقه من جهة الرواية فى الآحاد ايضا وانما يقبل خبر الواحد فيما طريقه طريق العمل على الظاهر دون القطع به على الباطن وما جرى هذا المجرى من الاحكام فان طريقها الاعتقاد والقطع ولا يمكن القطع بامثال هذه الاخبار ،وتجويز هذه الاوصاف فى صفات الله عز جل من هذه الطريقة لايصح وانما خرجنا ها على بعض هذه الوجوه التى ذكرناه ئلا يخلو نقلها من فائدة وان لا يكون ورودها كلا ورود وأن لا يكون مساوين لمن ابطلها وعطلها واذا امكن ترتيبها وتخريجها على ما بينا كان فيه اظهار فائدتها وابانة معانيها على الوجوه التى تصح وتليق به ولذلك حملناها على ما ذكرنا دون ماقالوه .

فصل

فيما ذكره ابن خزيمة فى كتاب التوحيد

ثم سألتم عند انتهائنا الى هذا الموضع من كتابنا ان نتأمل مصنف الشيخ ابى بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة رضى الله عنه الذى سماه كتاب التوحيد وجمع فيه نوع هذه الاخبار التى ذكرت فيها هذه الالفاظ المتشابهة وحمل ذلك

على انها صفات الله عزوجل وانه فيها لايشبه سائر الموصوفين بها من الخلق فتأملنا ذلك وبينا ما ذهب فيه عن الصواب فى تأويله واوهم خلاف الحق فى تخريجه وجمعه بين ما يجوز ان يجرى مجرى الصفة وما لا يجوز ذلك فيه وذكرنا الفاظا ذكرها فى كتابه الذى روى وجمعها فيه مما لم يدخل فيما املينا قبل ورتبنا معانيها وان كنا قد اومينا الى اصله واشرنا الى طريقته .

ذكر خبر آخر من ذلك

روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتى نالت غضبى » وفى حديث آخر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى » .

تأويله

اعلم ان وصف الله تعالى بان له نفسا واطلاق القول فى ذكره بالنفس مما لا نأباه وقد بينا فيما قبل ان معنى هذا الاطلاق يرجع الى انه موجود لان ذات الشىء هى نفسه ووجوده وقد ورد بذلك نص الكتاب والسنة وعلى اطلاقه اجمعت الامة واما معنى قوله عليه السلام « فهو موضوع عنده » وقد بينا ايضا فيما قبل ان معنى عند مما يضاف الى الله عزوجل يحتمل وجوها، احدها ان يراد بها الكرامة والثانى ان يراد به معنى العلم كما قال فاولئك عند الله هم الكاذبون اى فى علمه، واما عند على معنى قرب المكان على معنى المسافة والمساحة فلا يليق به عزوجل، والذى يليق بهذا الموضع من معنى عند ان يكون على معنى انه عالم به ويكون معنى الخبر أن ما كتبه فى كتابه معلوم له لا يخفى عليه منه شىء لم يستعن بكتابته عليه لئلا يذهب علمه به، فاما معنى قوله لما قضى الله الخلق فيحتمل ان يكون معناه لما حكم الله عزوجل بخلق ما خلق، ويحتمل ايضا انه قضى بمعنى الاعلام كقوله تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) اى اعلمناهم

فكأنه

فكأنه اراد لما سبق فى علمه وحكمه انه يخلق ما يخلق خلق كتابا فكتب فيه بمعنى انه خلق فيه كتابة دالة على ما اراده ان يكون فى المستقبل من الاوقات من الحوادث التى يحدث فيها وهذا كما روى فى الخبر الآخر «ان اول شيء خلق الله القلم ثم خلق اللوح فقال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة» .

واما معنى قوله «ان رحمتى تغلب غضبى» فقد بينا معنى الرحمة والغضب فى صفات الله عز وجل وان ذلك يرجع الى صفة واحدة هى رحمة ويوصف بانها ارادة لتنعيم من علم انه ينعمه بكراماته فى الجنة وكذلك يقال لهذه الصفة غضب اذا كانت ارادة لتعذيب من علم انه يعذبه بعقوبته فى النار من الكافرين ، ثم يقال للصادر عن رحمته رحمة كما يقال للكائن عن قدرته قدرة وللكائن عن امره امر وكذلك يقال للكائن عن غضبه غضب على هذا الوجه أيضاً واذا حملنا ذلك على هذا الوجه ليصح فيهما التسابق والتزايد والنيل والغلبة لان ما هو صفة لله تعالى مما هى الرحمة والغضب على هذا المعنى كان تقدير تخريجه افادتنا به ما يظهر من رحمته لاهل الرحمة ومن غضبه لاهل الغضب وان من رحمه الله فقد غلبت رحمته عليه على معنى وصول الصادر عنه اليه وظهر ذلك عليه ظهورا بانه عما وصل اليه الكائن عن غضبه .وقد ذكرنا غير ذلك من الوجوه فى تأويله فيما قبل مما يغنى عن اعادته .

فاما قوله «كتب بيده على نفسه» فقد اوضحنا انا لا نأبى القول باطلاق يد هى صفة لا نعمة ولا قدرة واعتمدنا فى ذلك على الكتاب والسنة واجماع الامة على اطلاقها واضافتها الى الله عز وجل .والقول فى ذلك مقصور على ما ورد به الخبر لان الخبر اذا ورد مقيدا بذكر اشياء مخصوصة مضافة الى الله تعالى فلا يجوز أن يتعدى ما ورد به الخبر لاجل ان اطلاق هذه الاضافة والصفة الخبر ولا مجال للعقل فيه فكذلك القول فى تقييده فى الموضع الذى قيد فيه لا طريق له غير الخبر وقد روى «انه كتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده» واما

خلق آدم بيده فهو نص الكتاب، ومعنى قولنا كتب بيده اى خلق كتابة فيما خلق فيه من اللوح اوغيره مضافة الى الصفة المضافة اليه بذكر اليد ووصفها تخصيصا وتبيينا وتمييزا من جهة التفصيل، وقد تكلمنا على المعتزلة قبل ذلك فى نفيهم لذلك وحملهم ما اطلق من ذكر اليد فى الكتاب والسنة على معنى الذات او على معنى القدرة او النعمة بما يغنى عن ذكره ههنا .

ذكر خبر آخر

مما ذكره صاحب التصنيف بزيادة لفظ لم يجر فيما تقدم ذكره مع تفسيرنا لمعظهم ما روى فيه وكشفنا عن اصله فى ذكر اضافة الوجه الى الله عزوجل .

روى عن النبي صلى الله عليه انه قال «ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان فاقرب ماتكون من وجه ربها وهي فى قعر بيتها» وفى حديث آخر فى هذا الباب انه قال «ما التمست المرأة وجه الله بمثل ان تقر فى بيتها وتعبد ربها» .

ومما ذكره أيضا روى ابو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الدعاء عند الخروج إلى الصلاة «واقبل الله عليه بوجهه» .

وذكر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى صفة اهل الجنة «وما بين القوم وبين ان ينظروا الى وجه ربهم فى جنة عدن الا رداء الكبرياء على وجهه» .

ثم ذكر هذا اللفظ القائل فى ترجمة باب فى هذا النوع زيادة لفظة توهمها معنى الخبر وليس فى ذلك نص وهو ان قال «باب ذكر (ضوء ـ ١) وجه ربنا» وذكر فيه الذى ذكر فيه سبحات الوجه متوهما ان ذلك يرجع الى الضوء

باب ذكر بيان ذلك

وما زيد فيه على ما ذكرنا وابانة خطاء هذا المتوهم اما قوله عليه السلام «فاقرب ماتكون من وجه ربها وهي فى قعر بيتها» فالمراد بذلك احد

(١) من س .

وجهين

وجهين ،احدهما ان يكون معناه اقرب ماتكون فى طاعة ربها الذى الوجه صفة من صفاته .

والثانى ان يكون المعنى فيه واقرب ما تكون من وجه ربها اى من قصدها وجه ربها وطلبها للاخلاص فى طاعته ويكون الوجه بمعنى الاتجاه والتوجيه نحو الشئ والقصد له ومثله قوله فى الخبر الآخر ما التمست المرأة وجه الله بمثل ان تقر فى بيتها،والتاويل فيه على وجهين ايضا،واما قوله عليه السلام فى صفة اهل الجنة وما بين القوم وبين ان ينظروا الى وجه ربهم فى جنة عدن الا رداء الكبرياء على وجهه فمعناه النظر الى الله عز وجل الذى له الوجه على ما قلنا فى قوله تبتغى وجه الله وقوله فى جنة عدن فان ذلك يرجع الى الناظر لا الى المنظور اليه لان الكائن فى المكان هو الرائى،والمرئى لايصح ان يكون فى مكان لما تقدم ذكره،فاما قوله الا رداء الكبرياء على وجهه فيحتمل ان يكون المراد به الاماله من صفة الكبرياء ونعت العظمة من حيث انه ان يمنعهم النظر ولا يتفضل عليهم معرفا لهم بذلك ان النظر الى الله تعالى ابتداء نعمة وفضل وله ان لا يتفضل به لانه المتصف بالكبرياء والمنعوت بالعظمة وله ان يتفضل وان لايتفضل وقد تقدم تأويل قوله الكبرياء ردائى والعظمة ازارى والمراد به ان ذلك صفة من صفاته ونعت من نعوته .

واما قول هذا المصنف فى باب ترجمة ذكر ضوء وجه ربنا عز وجل فغلط منه ونقض لاصله فى ان هذا الباب لا يتعدى به المقول والمنقول وانه لا يجوز أن يزاد فيه مالم يرد به نص خبر ولم يذكر فى شئ من هذه الاخبار التى ذكر فيها الوجه هذه اللفظة بل انما توهم هذا القائل من طريق تأويل ان معنى سبحات وجهه من طريق الضوء فرأى فى وصفه مالم يرد به نص ولا يجوز الزيادة فى وصف الله تعالى بمالم يرد به نص وقد ذكرنا تأويل سبحات وتأويل قوله حجابه النور وحجابه النار على حسب ماروى ولا يجوز أن يقدر فيه مايجوز فيه وصفه بالضوء لا لفظ ولا معنى لما ذكرنا فيما قبل ولذلك تأولنا قوله تبارك

وتعالى (الله نور السموات والارض) على الوجه الذى يصح فى وصفه انه نور لا على معنى اثباته نورا مضيئا ذا شعاع .

ذكر زيادة لفظ آخر

ذكرها هذا القائل فى باب اثبات اليد روى عن الشعبي قال سمعت المغيرة بن شعبة على منبره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان موسى سأل ربه فقال يارب اخبرنى بادنى اهل الجنة منزلة » قال هو عبد يأتى بعد ما يدخل اهل الجنه الجنة فقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد سكن اهل الجنة الجنة واخذوا منازلهم فيقال له أفترضى ان يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا ومثل ما كان للملكين وقيل مثل ما كان لثلاثة ملوك من ملوك الدنيا قال رب رضيت قال لك مثله و مثله ومثله عشرة اضعافه ولك فيها ما اشتهت انفسك، ولذت عينك قال يارب فاخبرنى باعلاهم منزلة فقال سوف اخبرك غرست(١) كرامتهم بيدى وختمت عليه فلم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر ذلك على قلب بشر مصداق ذلك فى كتاب الله(فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) الآية .

ذكر تأويله

اعلم انا قد بينا ان اطلاق وصف الله عزوجل بان له يدين صفتين لا جارحتين ولا نعمتين مما ورد به نص الكتاب والسنة .

وتحقيق معناه على الوجه الذى يكون فيه اتباع الكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تشبيه واما قوله وختمت عليه فيحتمل امرين، احدهما ان يكون المراد بذلك اى حكمت لهم به حكم العطاء والهبة لهم والتفضل عليهم بها وهذا مثل ما يجرى فى قول القائل ختمت عليك (انك تفعل - ٢) بفعل بمعنى اى حكمت واوجبت عليك وخصصتك بـه .

والوجه الثانى ان يكون معناه وجعلت (ذلك -٢) خاتمة افضالى عليهم

---

(١) التصحيح من كتاب التوحيد لابن خزيمة - وفى الاصول عن سبب (٢) من س قدرا

قدرا ومنزلة لاغاية ولا نهاية إبانة لهم بهذا التفضل واختصاصا لهم بهذا التشريف وقد بينا فيما قبل ان مثل هذا الكلام انما يجرى على معنى التفضيل فى العبادة وتخصيص المذكور بالزيادة رفعة، وشرف فيه واذا احتمل ذلك كان الاولى ان يحمل عليه لا على مالايليق بالله عزوجل من وصفه بالآلة والجارحة واظهار الافعال بالمباشرة والمعالجة ومن اوهم ذلك فى تاويل هذا فقد اخطأ ومن نفى الوصف باليد فقد عطل وعدل عن لفظ الكتاب والسنة .

وقد روى فى خبر رواه ابو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» واعلم انه ليس ينكر استعمال لفظ اليد على معنى النعمة وكذلك استعماله على معنى الملك والقدرة وقد جرى فى كلام الناس بلا خلاف بينهم ان الامور كلها بيد الله عزوجل وان ايادى الله على خلقه كثيرة كما يقولون ان امور الخلق تجرى بقدرة الله وان نعم الله على خلقه وافرة، وليس اذا استعملت لفظة اليد فى النعمة والملك والقدرة وجب ان يكون محمولا على ذلك فى كل موضع اطلق فيه، وكذلك اذا قلنا ان معنى اليد فى هذا الخبر معنى النعمة لم يمتنع ولم يمتنع ان يكون ما ذكر فى قوله لما خلقت بيدى معنى النعمة والقدرة، واذا كان كذلك فلو تأول متاول هذا ههنا على معنى النعمة لم ينكر ذلك عليه ، على ان نص القرآن قد ورد ببسط اليد وهو قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) فانكر الله عزوجل قول اليهود لما قالوا (يد الله مغلولة) فرد عليهم فقال (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) ولم ينكر عليهم اطلاق اليد ولا رد عليهم اضافتهم اليه اليد بل اثبتها لنفسه ووصفها بالبسط فدل على جواز اضافة ذلك اليه ووصفه بالبسط .

فصل آخر

وذكر صاحب كتاب التوحيد فى ترجمة كتابه باب توهم فيه الغلط

وهو ان قال« باب ذكر اثبات الرجل لله عزوجل وان رغمت انوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا » ثم احتج لذلك ايضا بقوله تعالى« ألهم ارجل يمشون بها » ويقول امية بن ابى الصلت .

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد .

وان رسول الله صلى الله عليه صدقه فقال صدق امية .

واعلم ان موضع الغلط فى ذلك ما توهم ان القول باضافة الرجل اليه سبحانه يجرى مجرى القول باضافة اليد اليه وقد بينا فيما قبل ان نصوص الكتاب والسنة على الوجه الذى لايحتمل التأويل فيه غير ما قلنا مع اطلاق الامة باسرها عربيها وعجميها بالفارسية والعربية اضافة اليد الى الله عزوجل واجماعهم على استجازة ذلك وترك انكاره مع اجماع الاكثرين على انكار القول باضافة الرجل الى الله تعالى وانكار الجميع من اهل العلم والنظر من مثبتى صفات الله ومنكريها ان يقال الرجل صفة من صفات الله تعالى وانما تأول من تأول منهم الخبر الذى اطلق فيه لفظ الرجل على معنى اضافة الخلق والملك لاعلى معنى الصفة، واما احتجاجه بقوله(ألهم ارجل يمشون)بها فغير صحيح فى هذا الموضع من قبل ان الله عز ذكره انما اراد به رد الكافرين عن عبادة الاصنام وعرفهم انهم يأنفون من عبادة من له رجل يمشى بها ويد يبطش بها وعين يبصربها واذن يسمع بها فكيف يعبدون من ليس له شئ من ذلك يقرعهم على عبادة الاصنام التى هى جماد وموتى ليس لها فعل ولا قدرة ولاسمع ولابصر، واذا كان القصد بالآية ما ذكرنا لم يكن فيها ما يوجب اثبات وصف الله عزوجل بالرجل كما ليس فيها ما يوجب اثبات وصف الله تعالى بالاذن ولاما يوجب وصفه بان له ارجلا وايدى والتمسك بظاهر الآية محتجا بها على ما ذكر يوجب عليه ان يكون الامر فيه على ما قلنا من اثبات ما اجمع المسلمون على انكاره من القول بالايدى والارجل والاذن والاعين .

ثم ذكر صاحب هذا المصنف فى الباب الذى ترجمه بذلك ما روى

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «يضع الجبار جل جلاله رجله فى النار» وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما قبل على وجوه تقدم ذكرها لا على معنى اثبات القدم صفة لله عز وجل ولم يذكر رواة هذا الخبر لفظ الرجل الا بعضهم قال فى خبره «حتى يضع رجله او قدمه» واحتمل ان يكون لما التبس عليه اللفظ وتوهم ان القدم لا يكون الا رجلا ذكر بدل القدم الرجل واكثر الفاظ هذا الخبر بذكر القدم وانه يضع فيها قدمه ولا يخلو الكلام فيه من ثلاثة اوجه.

اما ان يكون على معنى اضافة الصفة اليه فهذا مما يمنع منه الخبر لانه قال فيه فيضع فيها قدمه وقدم الصفة لا يجوز وصفها بالوضع فى المكان واما قدم الجارحة فمما لا يليق بالله سبحانه لاستحالة ان يكون اجزاء مبعضة واجساما متركبة وقد بينا فساد ذلك فيما قبل فلم يبق الا ان معنى القدم الذى اضيف اليه فى هذا الخبر بمعنى الخلق والملك على احد الوجهين اللذين ذكرنا تأويلهما او على معنى ما قاله النضر بن شميل ان ذلك على معنى ما تقدم فى علم الله ممن يكفر به من خلقه وعليه يتأول قول من روى فى هذا الخبر حتى يدلى فيها رب العالمين قدمه فتنزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وذلك بادلاء الخلق فيها وهم القدم على معنى انهم هم الذين تقدم لهم نعتة من الله جل ذكره انهم يدخلونها ولم يذكر صاحب هذا التصنيف فى الباب الذى ترجمه بالرجل ذكر القدم سوى ما ذكر فى بعض الفاظ هذا الخبر من الرواى عن طريق الشك حتى يضع قدمه فيها او رجله فبان ذلك انه عدل عن الصواب و وهم الخطاء بترجمته الباب بما ليس فيه، وهذا النحو مما يضيق فيه الامر حتى لا يمكن التوسع فيه بوجه من جهة الرأى والهوى لانه موضع لا يعتمد فيه الا على الخبر من الكتاب او السنة الصحيحة ومن توهم انه يرغم به انوف الجهمية من ترجمة الباب بذكر الرجل مع خلو الباب من ذكره على وجه الصحة فهو على العكس مما توهمه ثم ذكر صاحب التصنيف ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى قوله تعالى (وسع كرسيه السموات

والارض) ان الكرسى موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره .

واعلم انه قد روى عن ابن عباس فى تأويل الكرسى شيئان احدهما ان معنى الكرسى العلم وان معناه وسع علمه السموات والارض وروى عنه ان الكرسى موضع القدمين ولم يقل هو موضع قدمى الله فيحتمل ان يكون موضع قدمى بعض خلقه من الملائكة اوغيرهم اذ لم يقل هو موضع قدمى الله ولو قيل ذلك ايضا لكان متأولا على الوجه الذى يصح كما ذكرنا فى قوله يضع الجبار قدمه فى النار وقد بينا فيما قبل ان القدم هو الشىء المتقدم فى اللغة وان التقديم تارة بالوجود وتارة بالصفة وتارة بمعنى تقدم العلم به فيحتمل ان يكون الكرسى موضعا لنوعين من خلقه مما تقدم (١) خلقه لهما واذا احتمل لفظ القدم ما ذكرنا من المعانى ولم يكن يختص معناه بالجارحة فقط كان الاولى ان يحمل على ما يصح من وصف الله منها دون ما يستحيل .

فصل آخر

ثم ذكر صاحب التصنيف بابا ترجمه باستوائه على العرش واوهم معنى التمكين والاستقرار وذلك منه خطاء لان استواءه على العرش سبحانه ليس على معنى التمكن والاستقرار بل هو على معنى العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة على الوجه الذى يقتضى مباينة الخلق، ثم روى فى هذا الباب حديثا منقطعا عن عمر رضى الله عنه ان امرأة اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت «ادع الله ان يدخلنى الجنة فعظم الله تعالى ثم قال ان كرسيه وسع سبع السموات والارض وان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله» قد بينا تأويل هذا الخبر فيما قبل واوضحنا ان معنى الرحل الجديد وثقله على كواهل الحملة ثقل التعظيم والاجلال لاثقل الجثة وذكرنا قول القائل الحق

(١) س – قدم .

ثقيل

ثقيل مر وليس ذلك على معنى الثقل بالوزن وبينا انه لا ينكر ان يخلق الله اطيطا فى الكرسى يكون ذلك علامة للملائكة فيما يريد أن ينزل من العقوبة ببعض خلقه فيثقل عليهم ثقل استثقال لما يكون فيما يتجدد لهم من الهيبة والاجلال ثم ذكر ايضا حديث اسماء بنت عميس انها قالت كنت مع جعفر بارض الحبشة فرأيت امرأة على رأسها مكتل من دقيق فمرت برجل من الحبشة فطرحه عن رأسها فسفت الريح الدقيق فقالت اذلك الى الملك يوم يقعد على الكرسى ويأخذ للمظلوم من الظالم .

واعلم انه كما لا يصح ان ينفى عن الله عزوجل ما اطلقه لنفسه من الصفة برأى بعض اهل الاهواء الذين لا يوثق بهم فكذلك لا يصح ان يضاف الى الله سبحانه وصف من غير أن يكون مضبوطا عمن يوثق به وقول هذه المرأة فممالم يوثقه دليل ولا حجة فيه فى اثبات صفات رب العالمين وكيف يستجيز ذلك وذكر مثل هذا الخبر فى اثبات صفات الله وليس ذلك مما اثبته نص كتاب ولا سنة .

واعلم ان وصف الله تعالى ذكره بالقعود مما لم يثبت به نص كتاب ولا سنة ولو ثبت لكان ذلك محمولا على ما تحمل عليه سائر اوصاف افعاله كنحو ما ذكر أنه ينزل الى سماء الدنيا وما ذكر فى قوله جل ذكره (فاتى الله بنيانهم من القواعد) والاصل فى ذلك ثبوت اللفظة بنص فى كتاب الله او سنة من طريق موثوق بها ثم يرتب عليها التأويل فاما شىء لم يثبت من طريق صحيح لفظ القعود فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه للتعلق به وقد ذكرنا عن مجاهد فيما قبل تأويله لقوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) انه يقعده على العرش معه ولم ينكر اقعاد النبى صلى الله عليه وسلم على العرش وتأويلنا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة والمعونة لانها لفظة مشتركة مستعملة فى معنى العلم كقوله (وهو معكم اينما كنتم) بمعنى النصرة وكقوله (ان الله مع الذين اتقوا) واما الذى يكون بمعنى المجاورة فلا يليق به جل ذكره .

ذكر فصل آخر

ثم ذكر صاحب الكتاب الذى ذكرنا قبل فى ترجمة باب البيان ان الله جل وعلا فى السماء .

واعلم انه ليس ينكر قول من قال ان الله فى السماء لاجل ان لفظ الكتاب قد ورد به وهو قوله (أأمنتم من فى السماء) ومعنى ذلك انه فوق السماء لاعلى معنى فوقية المتمكن فى المكان لان ذلك صفة الجسم المحدود المحدث ولكن بمعنى ما وصف به انه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة ثم ذكر هذا القائل فى ذلك قوله عزوجل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقوله (بل رفعه الله اليه) وهذا منه غلط من قبل صعود الكلم الطيب اليه ليس على معنى صعود من سفل الى علو بالسفل لاستحالة ذلك على الكلام لكونه عرضا لا يبقى وكذلك العمل الصالح وانما معنى صعود الكلام الطيب اليه قبوله له ووقوعه عنه موقع الجزاء والثواب وقوله يرفعه لاعلى معنى رفع من مكان الى مكان ولكن رفع له على معنى انه قد تقبل وان الكلام اذا اقترن به العمل الصالح قبلا دون ان ينفرد الكلام من العمل واما قوله تعالى فى قصة عيسى (بل رفعه الله اليه) فمعناه رفعه الى الموضع الذى لايعبد فيه الا الله ولا يذكر فيه غيره لا على معنى انه ارتفع اليه كما يرتفع الجسم من سفل الى جسم فى علو بان يقرب منه بالمسافة والمساحة ، ثم ذكر قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وتوهم انه يحتج به على الجسمية فقال اليس انعلم محيطا يا ذوى الالباب ان الله عزوجل لو كان فى كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة الجهمية لكان متجليا لكل شئ ويدك جميع ما فى الارض كما دك الجبل، وهذا منه وهم فاسد من قبل ان التجلى للرب سبحانه تعالى للجبل على معنى انه جعل الجبل حيا عالما رائيا حتى رأى الله تعالى ثم دكه عند الرؤية علامة لموسى عليه السلام لانه لا يراه احد فى الدنيا الا دكه الا من خصه بالرؤية انابة وتشريفا وهو نبينا عليه السلام وليس معنى تجلى الله لخلقه

بان

بان يكون معهم بالمساحة والصحبة والمجاورة ولا ان ذلك مذاهب المخالفين ايضا حتى يتوهم عليهم انه يجب عليهم اذ قالوا ان الله فى كل مكان وموضع ما قال وانما يلزم مخالفيه ما لا يلزمهم ويتوهم عليهم ما لا يقولونه وتوهم بذلك الخطاء فى التاويل والمذهب ليعلم انه لم يكن يبنى كلامه على اساس صحيح اختل عليه واضطرب فلم يصح مذهبه ولا افسد مذاهب مخالفيه ثم ذكر فى تاييد ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لفاطمة رضى الله عنها وهى تسأله خادما « قولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل» وقال مرة « والقرآن العظيم فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ومن شر كل ذى شر انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر » (١) .

واعلم ان هذا الخبر يبين صحة ما قلنا فى تأويل وصف الله عز وجل انه فوق كل شيءٍ لا على معنى المسافة والمساحة وذلك ان كل ما كان فوق شيءٍ على معنى المساحة والتمكن فيه والعلو عليه على هذا الوجه كان دونه شيءٌ وهو على ما عليه من المكان فلما ابان صلى الله عليه وسلم انه ليس دونه شيءٌ علمنا ان معنى انه فوق كل شيءٍ لا على معنى التمكين والمساحة والمسافة وقد اوهم هذا القائل خلاف ذلك وهذا الذى روى من الخبر يدل على فساد ما اوهمه .

ثم ذكر فى هذا الباب ايضا ما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تحضر الميت فاذا كان الرجل الصالح قيل اخرجى ايتها النفس الطيبة وأبشرى بروح وريحان ورب عليك غير غضبان قال فتقول ذلك حين تخرج فاذا خرجت عرجت الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا

---

(١) هكذا فى الاصلين — وعلى هامش س — « و ... عنا من ... الفقر — واعذنا من النار » .

فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسم الطيب اد خلي حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان « فيقال لها كذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الرب تبارك وتعالى » وكذلك ذكر ما روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان قريشا جاءت الى الحصين وكانت تعظمه فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبهم فجاؤا معه حتى جاؤا قريبا من باب النبي عليه الصلاة والسلام دخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ فقال حصين ما هذا الذى بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان اباوك حقنا وخيرا (١) فقال ياحصين ان ابى واباك فى النار يا حصين كم من اله تعبد قال سبعة فى الارض والها فى السماء قال فاذا اصابك الضر من تدعو؟ قال الذى فى السماء قال فاذا هلك المال من تدعوا ؟ قال الذى فى السماء قال يستجيب لك وحده وتشركهم معه ، الحديث بطوله .

اعلم ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم حتى تنتهى الى السماء التى فيها الرب يحتمل اوجها ، احدها ان يكون معناه الى السماء التى فيها خزائن الارواح وسائغ ان يقال ذلك فى اللغة كقوله تعالى (وأشربوا فى قلوبهم العجل) والمعنى حب العجل وقد ذكرنا فيما قبل انا لا ننكر القول ان الله فى السماء اتباعا للفظ الكتاب ولكنا نابى ان يكون معناه على معنى كون الجسم فى الجسم بالتمكن عليه (٢) ولان ذلك يؤدى الى القول بحدثه ونفيه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وتأويلنا ايضا حديث الجارية لما قال لها اين الله فقالت « فى السماء » فلم ينكر عليها بل قال « اعتقها فانها مؤمنة » ونابت اشارتها عن اقرارها ودلت على ما فى قلبها من الاخلاص والمعرفة بالله فكذلك شهد النبى صلى الله عليه وسلم بايمانها .

---

(١) كذا فى الاصل وفى الاصابة وقد كان ابوك حصينا وخيرا — ج ٢ ص ٢٠ وذكر الذهبى فى العلو للعلى الغفار فى بحث العلو « جفنة وخبزا » — ص ٧ و(٢) س — فيه .

فصل

فصل

ثم ذكر صاحب الكتاب الذى اورد فصل اصلاح بعض ما غلط فى ابهامه واخطأ مذهب الحق فى ايراده حديث النزول وقد بينا تأويله فيما قبل غير انه ذكر فى بعضها لفظ (١) اقتصرنا تأويلها فذكرنا من ذلك ماروى فضالة عن عبيد عن ابى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ذكره فى ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الاولى الذى لم يره احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بنى آدم غير ثلاثة لنبيين والصديقين والشهداء فيقول طوبى لمن دخلك .

ثم ينزل فى الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول قومى بعزتى ثم يطلع على عباده فيقول هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاجيبه ، حتى تكون صلاة الفجر وكذلك يقول (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده الله تعالى وملائكة الليل والنهار . وفى بعض الفاظ هذا الحديث فى خبر آخر ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه لا يكون معه فيها الا النبيون والصديقون والشهداء وفيها مالم تره عين ولم يخطر على قلب بشر ثم يهبط فى الساعة الثالثة الى السماء الدنيا فيقول من يسئلنى فاعطيه ، الخبر .

اعلم ان الذى يجب ان نبين فى تأويل هذه الزيادة بعد ما تقدم ذكر معنى النزول وتأويل قوله ثم ينظر فى جنة عدن وهى مسكنه ومعنى ذلك انها كرامة ومثوبة وهذا كقولنا للكعبة بيت الله وهى اضافة تشريف وتخصص لا على معنى انه يسكنها سكن مجاورة لكنها مسكن الساكنين من انبيائه واوليائه وهى له مسكن على معنى اضافة التخصيص والتشريف وقوله لا يكون معه فيها الا النبيون فيها بالحلول والسكون والله معهم بالنصرة والكرامة على ما تقدم ذكره فى ابانة معنى مع .

---

(١) كذا .

واما قوله ثم يهبط فى الساعة الثالثة ينزل وذلك اخبار عن فعل يفعله كما روينا عن الاوزاعى فى تاويل قوله ينزل الله انه قال ويفعل الله ما يشاء واما قوله يمحو الله مايشاء ويثبت فليس ذلك على معنى تغيير حكم قد استقر بامر يبد وله ولكنه على معنى ما له من تغيير الاحوال وتصريف الاسباب على ما يشاء ويريد .

واما قوله ثم ينظر فى الساعة الثانية فليس ذلك بمعنى نظر الرؤية ولكنه بمعنى نظر التعطف والرحمة وهو ما يبديه من نعمه ويجدده من كراماته .

واما قوله عليه السلام ثم نزل فى الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه وملائكته فيحتمل ان يكون الروح جبريل اضافه اليه تشريفا وابانه بالذكر تخصيصا وقد ذكره فى كتابه تعالى فقال (نزل به الروح الامين على قلبك) يعنى جبريل .

واعلم ان قوله نزل بملائكته الى السماء الدنيا يؤيد مانقول انه انزال فعل وانه نزول بمعنى مايحدث عن امره ويضاف اليه لاجل انه عن امره حدث كقول القائل ضرب الامير اللص اذا امر به .

فصل آخر

ثم ذكر صاحب الكتاب ابوابا فى ان الله عزوجل كلم موسى موهما فيه خلافا بين الناس ولم يختلفوا على تفاوت مذاهبهم فى ان الله عزوجل كلم موسى وخصه بالتكليم بما ابانه من غيره وتكلف ذكر آى وسنن فى ذلك ولا معنى لتكلفه فيما اغنى عنه الاجماع وزال الخلاف فيه مابين اهل الصلاة كلهم وانما اختلفوا فى معنى ذلك ولم يعرض لهم ولا فصل فيه موضع الخلاف .

ثم ذكر بعد ذلك ترجمة افسد بها جميع ماتقدم ذكره وما تأخر مما ينتحله من القول بان القرآن غير مخلوق وانه كلام الله لم يزل فقال باب فى صفة معنى تكلم الله بالوحى والبيان وان كلام ربنا لايشبه كلام المخلوقين لان كلام الله

كلام متواصل لا سكت بينه ولا صمت لا ككلام الآدميين الذى يكون بين كلامهم صمت وسكت لانقطاع النفس او التذكر والعى .

واعلم انه قد نقض بهذه الترجمة ما هو اصل من اصول السنة فى ان كلام الله غير مخلوق ولا محدث وانه لم يزل كلاما وذلك بما ذكره فى قوله انه كلام متواصل لا سكت بينه من قبل ان ما كان كذلك فالثانى متجدد بعد الاول وكذلك الثالث بعد الثانى وما كان كذلك كان محدثا مخلوقا ولم تزد الجهمية القائلون بخلق القرآن على ذلك لما قالوا انه كلام يحدثه حالا بعد حال ويجدده مرة بعد اخرى فنقض ما اسس وهدم ما بنى وقد تقدم من شرط واضع هذا الكتاب فى باب صفات الله انه لا يتكلم فى كيفيتها وانه لا يثبتها على هذا الوجه بل يجريها مجرى التسليم دون البحث والتغير (١) وهذا منه نقض لذلك الاصل .

ثم توهم ان ما روى عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم حجته فى ذلك وهو قوله اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا قال فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرئيل عليه السلام فاذا اتاهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال فيقول الحق فينا دون الخلق .

وفى حديث عكرمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« اذا قضى الله فى السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير»وفى بعض الاخبار فيفزعون يرون انه من امر الساعة قال فيسمعها مسترقوا السمع وهم هكذا ، واحد فوق الآخر واشار سفيان باصبعيه وربما ادرك الشهاب المستمع فيحرقه وربما لا يدركه حتى يرمى به الى الذى سفل منه ويرميه الآخر على من هو اسفل منه فيلقيها على فم الساحر والكاهن فيكذب

(١) كذا ، لعله والتعيين .

معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال يوم كذا وكذا (كذا وكذا - ١) فوجدناه حقا فيصدق بالكلمة التى سمعت من السماء .

واعلم ان هذا الخبر مما تقدم تأويله ومما بينا انه انما اثبت الصلصلة للسماء وبين فى خبر آخر ان صوت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان ولم يتضمن هذا الخبر شيئا مما ترجم به الباب من قوله ان كلام الله متواصل لاسكت بينه ولاصمت وانما ذلك توهم منه برأيه الفاسد ولو استعمل ما قدم فى اول كتابه من وعده انه لا يتعدى لفظ الخبر وما نطق به الكتاب ولايزيد فيه من عند نفسه لاستراح من هذا الغلط واراح مقلديه فيه وقد بينا فيما قبل ان معنى ذلك راجع الى العبارات والدلالات التى هى الطريق الى الكلام وبها يفهم مراده منه لا انه تعالى قوله اذا تكلم الله بالوحى انه يتجدد له كلام ولكنه يتجدد اسماع وافهام بخلق عبارات ونصب دلالات بها يفهم الكلام ثم يقال على طريق السعة والمجاز لهذه العبارات كلام من حيث انها دلالات عليه وقد مضى شرح ذلك فيما قبل بما يغنى عن رده ههنا .

واعلم انه لا يصح على اصلنا فى قولنا ان كلام الله غير مخلوق ولاحادث بوجه من الوجوه ان يقول ان الله يتكلم كلاما بعد كلام لأن ذلك يوجب حدوث الكلام وانما يتجدد الاسماع والافهام ونصب العبارات واقامة الدلالات على الكلام الذى لم يزل موجودا وحدوث الدلالة والعبارة لايقتضى حدوث المدلول المعبر عنه كما ان حدوث الذكر والدعاء لايقتضى حدوث المذكور والمدعو ولسنا نقول ايضا ان الله عزوجل انما تكلم فى الازل ثم لم يتكلم بعد ذلك كما توهمه بعض من غلط على اصولنا فظن انا اذا قلنا ان لله كلاما واحدا لم يزل به متكلما ولا يزال به متكلما فقد قلنا انه تكلم به مرة ثم لم يتكلم به بعد ذلك حتى حمله انكار ذلك على القول بان الله يتكلم كلاما بعد كلام لاسكت بينهما ولاصمت فنقض بذلك اصله ان كلام الله غير حادث ولا متجدد وابان عن خفاء ماذهبنا عليه وتوهمه بخلاف ما هو به وذلك انا

(١) من كتاب التوحيد لابن خزيمة .

نقول

نقول ان الله لم يزل متكلما ولا يزال متكلما وانه قد احاط كلامه بجميع معانى الامر والنهى والخبر والاستخبار وان العبارات عنه والدلالات كثيرة تتجدد وتتزايد ولا يزيد بتزايد العبارات كما ان الدلالات على الله عز ذكره تتجدد وتتزايد ولا يقتضي تجدد المدلول وتزايده، فاذا حصلت هذا الاصل علمت حقيقة ما نقول وان الغلط فى ذلك انما وقع لمن توهم ان تجديد العبارات تجديد الكلام ولم يفرق على الحقيقة بين ما هو كلام على الحقيقة وبين ما هو عبارة عنه ودلالات عليه .

فصل آخر

ثم ذكر صاحب كتاب التوحيد ابوابا وترجم فى باب الرؤية وروى اخبارا اكثرها مما ليس فيها ما يشكل معناه ومنها ما يشكل بعض الفاظه فيقتضي بيانا وتفصيلا غير انه خلط به ما ليس منه وتأول فيه اخبارا لا تدل على ما قال ثم خلط به قوله ان من الكفار من يرى الله عزوجل يوم القيامة وانه يراه بعضهم رؤية امتحان وان تلك الرؤية قبل ان يوضع الجسر بين ظهرى جهنم وان ذلك كما يكلم الكفار بالطرد والابعد ويكلم المؤمنين بالرحمة والقبول وكذلك يراه زعم بعض اهل الكتاب ويراه المنافقون ولا يجدون فى رؤيته لذة وسرورا وانما توجد اللذة والسرور فى رؤية المؤمنين فقط .

واعلم ان هذه مقالة محدثة لان الناس فى رؤية الله على مقالتين فمنهم من قال هى ممتنعة ولا يراه كافر ولا مؤمن وهو مذهب الجهمية والمعتزلة .

والقائلون قالوا وهم اهل الحق ان رؤية الله تعالى جائزة فى الآخرة وانما يراه المؤمنون يوم القيامة دون الكفار لقوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاخبر ان الكافرين محجوبون عن رؤية الله تعالى واخبر أن الوجوه الناضرة وهى المشرقة وهى وجوه المؤمنين المخاصين هى الناظرة الى ربها يومئذ فدل هذا التقييد وهذا النص على ان الكافرين لا يرون الله تعالى

وما كنت اظن ان احدا قال يرونه الكفار سوى ابن سلم البصرى وكان مذهبه مزهودا فيه عند العلماء مرغوبا عنه مبتدعا فيه عند علماء العراق والحجاز يهجنونه بذلك وينسبونه الى البدعة لهذا القول حتى رأيته لهذا المصنف وقد خص بذلك أيضا بعض الكافرين لأنه قال ان المنافقين وبعض اهل الكتاب يرون الله تعالى يوم القيامة وكان ابن سلم يذهب الى ان سائر الكافرين يرونه ثم وجدت هذا المصنف تعلق فى ذلك بخبر رواه ابوسعيد الخدرى قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قال قلنا لا قال فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قال قلنا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك يوم القيامة قال ويقال من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع الذين كانوا يعبدون الشمس (الشمس -١) فيتساقطون فى النار ويتبع الذين كانوا يعبدون القمر (القمر -١) فيتساقطون فى النار ويتبع الذين كانوا يعبدون الأصنام (الاصنام -١) والاوثان (الاوثان -١) وكل من كان يعبد من دون الله شيئا فيتساقطون فى النار ويبقى المؤمنون ومنافقوهم بين اظهرهم وبقايا من اهل الكتاب قال وقللهم بيده فيقال لهم الا تتبعون ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله ولم نر الله قال فيكشف عن ساق فلا يبقى احد كان يسجد لله الا خر ساجدا ولا يبقى احد كان يسجد رئاء وسمعة الا وقع على قفاه، وفى بعض الفاظ هذه الاخبار الا على ظهره طبق كلما اراد أن يسجد خر على قفه، ثم قال نرفع رؤسنا وقد عاد لنا فى صورته التى رأيناه فيها اول مرة فيقول نعم انت ربنا ثلاث مرات ثم يضرب الجسر على جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون اول من يجوز من الرسل بامتى ولا يتكلم يومئذ احد الا الرسل، وفى بعض الفاظ هذا الخبر وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى غير صورته فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون

(١) من كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٣ .

فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم .

وذكر فى بعض الفاظ هذا الخبر ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم يتوارى ثم يطلع فيقول الا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا هل نراه يا رسول الله ؟ قال وهل تمارون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فانكم لا تمارون فى رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى تلك الساعة ثم يطلع عليهم فيعرفهم بنفسه فيقول انا ربكم فاتبعون فيقوم المسلمون ويوضع الصراط وهم يجوزون على مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه سلم سلم .

وذكر فى بعض الفاظه ايضا قال ثم يتمثل الله للخلق فيلقى اليهود فيقول من تعبدون الى ان قال حتى يأتى المسلمين فيقول من تعبدون فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئا فيقول هل تعرفون ربكم سبحانه فيقولون اذا اعترف لنا عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق ولا يبقى مؤمن ولا مؤمنة الا خر لله ساجدا . واحتج ايضا بحديث سهيل عن ابيه عن ابى هريرة قال يلقى العبد فيقول الم اكرمك الم اسودك الم اسخر لك الخيل والابل الم ازوجك واتركك ترأس وتربع قال بلى يا رب قال افظننت انك ملاقى قال لا يا رب قال فاليوم انساك كما نسيتنى قال ثم يلقى الآخر فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقال له الا نبعث عليك شاهدا قال فيفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه قال فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل فذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذى يسخط الله عليه قال ثم ينادى مناد الا تتبع كل امة ما كانت تعبد قال فيتبع الشياطين والصليب اولياؤهم الى جهنم وبقينا ايها المؤمنون فيأتينا ربنا فيقول على ما هؤلاء

فيقولون نحن عباد الله المؤمنون آمنا بربنا ولم نشرك به شيئا وهو ربنا وهو يأتينا وهو يثبتنا وهو اقامنا حتى ياتينا فيقول انا ربكم فانطلقوا فننطلق حتى نأتى الجسر وعليه كلاليب من نار يخطف عند ذلك حلت الشفاعة اللهم سلم اللهم سلم فاذا جاوزوا الجسر فكل من كان انفق زوجين من المال فى سبيل الله مما يملكه فكل خزنة الجنة يقول يا عبد الله يا مسلم تعال هذا خير لك قال ابو بكر يا رسول الله ان هذا عبد لاتوى عليه يدع بابا ويلج من آخر فضرب كتفه (١) وقال انى لأرجو أن تكون منهم .

فصل

الجواب عن ذلك

اعلم انما ذكرنا الفاظ هذه الاخبار وانتقيناها من مجموع كلامه لنرى لاحجة له فيه على ما قال ثم نبين بعد ذلك تأويل ما كان فيه مشكلا من اللفظ وتظهر صحة معناه على الوجه الذى يليق بالله جل ذكره ولا يؤدى الى تشبيه بخلقه وقد ذكرنا فيما قبل بعض هذه الالفاظ وبينا تأويله وطريق تخريجه وتفسيره على الوجه الصحيح ولكنا نذكر الآن مالم يضمنه كلامنا قبل ليكون ماذكر مماسبق ذكره جامعا لما يهتدى به الى تأويله على الوجه الصحيح فاما ماذكره هذا القائل من ان بعض اهل الكتاب والمنافقين يرون الله عزوجل يوم القيامة رؤية امتحان واختبار لارؤية فرح وابتهاج احتجاجا بهذا الخبر فلا دليل فيه وذلك ان الفاظ هذا الحديث تدور على ثلاثة اوجه، احدها ما قيل فيه فكشف عن ساق ويخرون له سجدا وليس فى ذلك ذكر اللقاء ولا اثبات رؤية المنافقين وقد فسرنا معنى قوله يكشف عن ساق على ماروى عن ابن عباس انه قال يكشف عن ساق يكشف عن شده او يكشف عن امر عظيم يريد به هولا من اهوال القيامة ولم يذكر فى هذا الخبر رؤية الكفار لله عزوجل .

فاما الوجه الثانى فهو ما قيل فيه فيطلع الله عليهم فليس ذلك مما يختص

(١) س- كفيه

على

بمعنى الرؤية لان الاطلاع عليهم قد يكون بغير أن يروه بان يظهر لهم فعلا من افعاله و علما من اعلامه وآية من آياته، واما قوله فيقول الا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك أى من هذا القول الذى تدعونا اليه فيه الى اتباع الناس وهذا يدل على ان تلك لم يكن رؤية اذ لو كان ذلك رؤية عين لقالوا نعوذ بك منك من هذا القول ولم يقولوا نعوذ بالله منك فدل على ان هذا الاطلاع على الوجه الذى ذكرنا وليس هو مما يختص معنى الرؤية فلا دلالة فيه على ان الكافرين يرون ربهم الله يوم القيامة وذلك معنى قوله بعد ذلك ثم يتوارى ثم يطلع فيقول الا تتبعون الناس فى ان ذلك يرجع الى خلق من خلقه وملك من ملائكته يناديهم بامر الله عزوجل ويخاطبهم عن وحيه فيكون التوارى والاطلاع راجعا اليه دون ان يكون راجعا الى الله عزوجل، فاما قوله ثم يقول « انا ربكم » فاتبعون فليس فيه ايضا ما يدل على رؤية الكفار لله عزوجل لان هذا خطاب وليس فيه معنى الرؤية ولا ذكر فيه انهم يرونه بل فيه انه يخاطبهم بذلك وقد يجوز أن يخاطب الخلق من غير ان يروه فاما ما قيل فى الخبر الآخر ثم يتمثل الله للخلق فيلقى اليهود فيقول من تعبدون .

واعلم انه لا يجوز أن يكون لله تعالى مثال يتمثل به للخلق لاستحالة ان يكون له شبه او مثل بوجه من الوجوه واذا لم يجز ذلك احتمل معنى هذه الكلمة ان يقال فيه انه اراد أن خلقا من خلقه يتصور لهم من الملائكة يخاطبهم بامر الله تعالى ويقال على التوسع تمثل الله بخلقه والمراد به ملائكته ولهذا كما انهم يقولون فى اللغة ضرب الامير اللص وانما امر به فنسب اليه لفعل ذلك عن امره واذا كان كذلك واستحال ان يكون لله تعالى من خلقه مثال وجب ان يحمل على ما قلنا وان يكون التمثيل للخلق هو الذى يلقى اليهود ويخاطبهم عن الله بقوله من تعبدون .

فاما معنى قوله فى الخبر الآخر فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقولون انت ربنا فقد تقدم تأويل ذلك وبينا انه نظير ما فى الآية من قوله جل

ذكره (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) فروى عن ابن عباس فى تأويله ان معناه بظلل من الغمام وان فى بمعنى الباء ، وكذلك قوله فيأتيهم فى غير صورته بمعنى بغير واضافة الصورة اليه من طريق الملك وقيل ايضا ان الآتى فى غير صورته غير الله جل ذكره بدلالة قوله انهم يقولون نعوذ بالله منك ولوكان الآتى هو الله لكان قولهم نعوذ بك ولم يقولوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا هذا مكاننا ، واما قوله ويقولون فاذا جاء ربنا عرفناه فتأويل مجىء الرب على ما تقدم ذكره فى تأويل الآية من قوله (وجاء ربك) وان ذلك بظهور فعل لا بتحويل من مكان الى مكان ، واما قوله فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فمعناه يأتيهم بصورته التى يعرفون فيقولون انت ربنا ومعنى ذلك ان الاتيان فعل من افعال الله عزوجل او فعل بعض ملائكته فيضاف اليه من طريق انه يقع بأمره ، فاما قولهم انت ربنا فيحتمل وجهين ، احدهما ان يقال ان معناه انت ربنا يخاطبنا صدقا فيتحققون نداءه وخطابه انه عن الله تعالى ويحتمل ان يكون ذلك عن تجلى الله للمؤمنين من خلقه فيقولون عند رؤيتهم له وظهور تلك الصورة التى يعرفون مما اضيف الى الله تعالى ملكا وخلقا انت ربنا اعترافا بالربوبية وتصلايبن حالهم واحوال الكفار الجاحدين ، فاما ما رتب عليه هذا القائل هذا الخبر مع الآية فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وان ذلك يرجع الى الكافر الجاحد وان المنافق وان كان بقلبه مكذبا فهو بلسانه مقر وان الله تعالى ذكره يريهم نفسه رؤية امتحان واختبار ليكون حجبه اياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرة عليهم وندامة فهذا مما لا حاجة الى ترتيبه على هذا الوجه من قبل ان ما ذكر من الاخبار ليس فيها مايدل على اثبات رؤية المنافقين والآى ناطقة بتخصيص النظر الى الرب يوم القيامة للمؤمنين وبحجب الكافرين ، واذا كان كذلك وليس للناس فى هذه المسئلة الا قولان على الوجه الذى بينا بان لك ان هذه مقالة محدثة لم يسبق هذا القائل اليها حتى فصل بين

الكافرين من اهل الكتاب وغيرهم وبين المنافق المقر وبين الجاحد، واذا كان كذلك علمت ان ما ذكر من الفاظ هذه الاخبار فمعناها محمولة على ما ذكرنا على الوجه الذى لا يؤدى الى تمثيل الله عزوجل بخلقه مع قبول الخبر افادة معناه وبان لك فساد ما اختار هذا القائل من اثبات رؤية الكافر لله تعالى ذكره وان لا تعلق فيما احتج به .

فصل آخر

ثم ذكر صاحب هذا الكتاب الملقب بالتوحيد بابا فى اثبات ضحك الرب تعالى فقال ضحك لا يشبه ضحك المخلوقين كما ان كلامه لا يشبه كلام المخلوق وقال انا نؤمن بانه يضحك ربنا كما اعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا اذ الله استأثر بصفة ضحكه فلم يطلعنا على ذلك ثم ذكر حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان آخر من يدخل الجنة رجل يمشى على الصراط فينكب مرة ويمشى مرة اخرى » الى ان قال فى آخر الخبر « فيقول الله تبارك و تعالى ما يرضيك منى اى عبدى ايرضيك ان اعطيك من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها قال فيقول أتهزأ بى يارب وانت رب العزة ؟ قال فضحك عبدالله حتى بدت نواجذه ثم قال الا تسئلونى لم ضحكت فقالوا لم ضحكت قال لضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسئلونى لم ضحكت فقالوا لم ضحكت يا رسول الله قال لضحك الرب تبارك و تعالى حين قال أتهزأ بى يارب وانت رب العزة وذكر حديث ابى هريرة ان الناس قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر الحديث بطوله وقال « يبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل الجنة دخولا مقبل بوجهه على النار فيقول يارب اصرف وجهى عن النار فقد احرقنى ذكاؤها وقشبنى ريحها فيقول الله عزوجل هل عسيت ان فعل بك ان تسئل غير ذلك فيقول لا

وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيصرف وجهه عن النار » فذكر الحديث « فيقول اولست قد اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسئل غير هذا الذى اعطيتك؟ فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله» منه ثم ذكر باقي الحديث .

فصل آخر

ذكر ما يجب ان نبين ما فى هذا الفصل من اللفظ .

اعلم ان وصف الله عزوجل بالضحك على ما ورد به الخبر مطلق سائغ واما على توهم هذا القائل انه ضحك صفة كالكلام فخطاء وقد بينا فيما قبل تأويل الاخبار التى روى فيها الضحك وفسرناه وبيناه وبينا وجهه واوضحنا ان اصل معنى الضحك فى اللفظ هو الظهور والبروز والايضاح على وجه مخصوص منه قالوا ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر نباتها ومنه قول القائل .

والارض تضحك من بكاء السماء وسقيها .

اى بظهور زهرتها ونورها من مطر السماء وسقيها وان معنى ما وصف الله جل ذكره به من الضحك فهو على معنى اظهار ألطافه وفوائده ومننه ونعمه وكذلك معناه فى هذا الخبر أن يظهر نعمه ومننه لهذا الداخل اخيرا الجنة وليس ذلك ضحك صفة كما توهم ولا الامر فيه كما قدر أنه مما استأثر الله عزوجل بعلمه فلم يطلع على ذلك خلقه،وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خاطبنا بلغة العرب واذا وجدنا لكلامه وجها فى اللغة صحيح المعنى مفيدا حملناه عليه ولم ينكر أن يكون ذلك هو المراد،والعجب من هذا القائل تارة يروى الحديث ويتكلم فى معناه وتارة يقول نسكت لان الله لم يطلعنا عليه والطريق فيهما واحد وكلما امكن استدراك معناه من جهة اللغة واستقامت الفائدة فيه لم ينكر أن يحمل الخبر عليه ولا معني لان يقال ان ذلك مما لا يوقف على معناه وان الله جل

ذكره استأثر بعلمه لان النبي صلى الله عليه وسلم خاطبنا به ليفيدنا وخاطبنا بلغة معروفة وطريقة معقولة ولم يعلمنا ان ذلك مما لا يعلم او ان له معنى غير ما يمكن التوصل اليه من طريق اللغة، فاما معنى قوله اتهزأ بي وانت رب العزة توسع في الخطاب ومعناه ان مثله انما يقوله الهازئ لبعد رجائه مما اطمع فيه وانما استخرج الله تعالى منه ذلك على هذا الوجه من الخطاب ومعناه ليعلمنا انه الذي لا ينقطع عنه رجاء عبيده كيف تصرفت بهم الاحوال وانهم أبعد ما كانوا من الرجاء من رحمته بمقربة منها حتى يكونوا اقرب اليها في الحال التي كانوا عندهم ابعد منها وهذه بشارة من الله جل ذكره للمؤمنين برحمته لئلا ييأسوا منها، فان قال قائل كيف قيل في الخبر لم ضحكت يا رسول الله فقال ضحكت لضحك الرب؟ قيل ان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغير يحدث فيه يظهر عنده فرحه وسروره وضحك الرب اظهار نعمه وفضله ورحمته ومعنى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهر فرحا وسرورا بما يظهر الله عز وجل من نعمه وفضله ورحمته على من كان من امته في ابعد حاله من رجاء ظهور مثلها فيه من النعم شكرا لله جل اسمه على ما يخص به الاشقياء من امته والابعد من رحمته .

ثم ذكر صاحب هذا الكتاب ابوابا من شفاعة النبي عليه السلام ولم يكن ذلك مما يقتضي ذكر الكلام في التوحيد ومع ذلك فلم يجيء فيه شيء مما يجب ان يبين الخطاء فيه من طريق التوحيد فاعرضنا عنه، انتهى ما اخذ على ابن خزيمة رحمه الله .

فصل آخر

فيما ذكره الصبغي من كتاب الاسماء والصفات .

ثم سألني بعد ذلك عند انتهائنا الى هذا الموضع من كتابنا ان نتأمل ايضا مجموع الشيخ ابي بكر محمد بن اسحاق صاحب ابن خزيمة وهو الكتاب

الذى سماه كتاب الاسماء والصفات فتأملنا ذلك فوجدناه قد رتب ابوابه على الاسماء والصفات وابتدأ بذكر الامر بالايمان بالمتشابه وحكى (عن) بعض السلف ان ما ذكر من المتشابه فى الكتاب والسنة من باب الصفات واسماء الرب تعالى وانه تمر كما جاءت بلا كيف .

وذكر ابن عيينة انه قال كلما وصف الله تعالى به نفسه فقراءته تفسيره فليس لأحد أن يفسره الا الله عز وجل .

فصل الجواب

اعلم انا قد ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب ان كل ما كان لنا طريق الى معرفته من طريق اللغة وافاد معنى صحيحا اذا حمل عليه فانه لا ينكر أن يقال ان المراد به بذلك اذا كان موافقا لما بنى عليه اصل التوحيد ولم يقتض وجها من وجوه التمثيل لله عز وجل بخلقه وبينا ان ما قال بعض السلف من ذكر الكف محمول على احد وجهين اما ان يكون اراد به امر من ليس من اهله فى استنباط تأويله والتطرق الى معرفة معناه او يكون ذلك عند تعذر الطريق الى معناه فابانوا ان ذلك ليس بفرض وان من كف عنه تسليما لامر تعذر الطريق ان لا يعتقد فيه اعتقادا فاسدا يؤدى الى تشبيه الله عز وجل بخلقه لم يكن فى حرج وذكرنا ان سائر ما ذكر من هذا الباب مما جمعها الجامعون فى تصانيفهم مما يمكن تخريج معناه على الوجه الصحيح من غير تشبيه ولا تمثيل وان لكل ذلك طريقا فى اللغة يشهد لصحته ويبين معناه فوجب ان يكون معنى قوله (ما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) على ما قلنا ان الراسخين فى العلم يعلمونه ومع ذلك يصدقون به ويعرفون بصحته وان معنى ما روى عن النبى عليه السلام انه قال نزل القرآن على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال، على ما قلنا انه يعلم الراسخون فى العلم مؤمنين به

وكذلك معنى ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامر ثلاثة امر بين رشده فاتبعه وامر بين غيه فاجتنبه وامر اختلف فيه فكله الى الله تعالى .

وذكر الحديث ومعناه ان ما اختلف فيه موكول الى الله تعالى اى هو مردود الى كتاب الله والى ما بينه واحكمه واوضح وجهه وهو معنى قوله عز ذكره (فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله) معناه الى كتاب الله لتبينوا الحق فيه به وقد اشبعنا هذا الكلام فى اول هذا الكتاب بما يغنى عن رده وعرفنا كم طرقتنا فى متشابه القرآن والسنة وانا لا نقطع القول بان فيه ما لا يعلمه الا الله عز وجل بل يجوز أن يكون لاهل العلم طريق الى معرفة ذلك يتوصلون اليها بالفكرة والاستنباط . ثم تأملنا بعد ذلك ما ذكره من الاخبار مما يدخل فى النوع الذى وضعنا كتابنا لتأويله وتخريجه وتبين معناه فكل ما وجدنا فيه من زيادة لفظة لم يدخل فيما تقدم ذكره مما يقتضى تأويلا اضفناه الى ما تقدم وذكرناه وبينا وجهه . فمن ذلك انه ذكر فى باب الحديث الذى ذكر فيه الدجال من حديث شهر بن حوشب عن اسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس مجلسا فحدثهم عن الاعور الدجال فقال اعلموا ان الله صحيح ليس باعور ، وقد بينا ما فيه فيما قبل هذا الخبر وذكرنا ان ما قيل فيه ان الدجال اعور وان ربكم ليس باعور أن المراد به نفى النقص عن الله عز وجل لا اثبات الجارحة ، واما هذه الزيادة التى ذكرها فى هذا الخبر من قوله اعلموا ان الله صحيح فمؤيدة لما تقدم ذكره من ان المراد بنفى العور نفى النقص لا اثبات الجارحة ومعنى وصف الله جل ذكره بصحيح اثباته على غاية الكمال فى صفات المدح والتعظيم ومن كمال صفات المدح والتعظيم اثباته بصيرا وان له بصرا هو صفة له قائمة به لا قائمة بجارحة لاستحالة وصفه بالجوارح والآلات .

ثم ذكر من بعد ذلك ايضا زيادة لفظة فى معنى الرؤية عن عاصم

ابن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى النبي صلى الله عليه وسلم معه صاحبه قال فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الصبح قال وذكر الحديث وقال فيه فتخرجون من مصارعكم تنظرون اليه وينظر اليكم، وقد بينا فيما قبل ان معنى ما يوصف الله عز وجل به من النظر الى الشيء فهو بمعنى نظر التعطف والرحمة وعليه يحمل قوله وينظر اليكم اى يرحمكم ويتعطف عليكم فى مصارعكم ومثله فى حديث محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قول الله تعالى (فسلام قولا من رب رحيم) فقال فينظر اليهم وينظرون فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون. وذكر الحديث .

واعلم ان النظر ايضا لا يمنع ان يكون المراد التعطف والرحمة وان الله عز وجل يتعطف عليهم فيريهم نفسه جل وتعالى ومثله ما روى عن كعب انه قال «ما نظر الله الى الجنة قط الا قال طيبي لاهلك» وقال« فازدادت طيبا الى ما كانت سبعين ضعفا »وهذا ايضا نظر تعطف ورحمة لانه اظهار نعم الله وتجديد كراماته، ولسنا ننكر النظر بمعنى الرؤية اذا كان مقرونا بالى وكان معه ذكر الوجه مضافا اليه بالى ولكن اكثر ما ذكر فى هذه الاخبار من لفظ النظر فالمعنى فيه نظر التعطف والرحمة، واما معنى قوله اذ سطع لهم نور فيحتمل ان يكون اراد به ما يتجدد من كرامات الله عز وجل وتأييدهم بالطافه واسعادهم بما يزيدهم من معارفهم وانوارها فعند ذلك يرفعون له رؤسهم على معنى ما يقال رفع فلان رأسه اذا ارتفعت حاله عن انخفاض اى بما يتجدد لهم من الكرامة يزدادون رفعة فعند ذلك اشرف عليهم الرب من فوقهم ومعنى ذلك من فوق رجائهم لانهم لم يطمعوا حينئذ فى رؤيته فيرون الله عز وجل ويتجدد لهم لذة الرؤية من غير استشراف وانتظار . ويؤيد الخبر الآخر . وهو ما قيل فيه ان منادى الرب ينادى اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن

ينجزكوه فيقولون الم تبيض وجوهنا الم فيتجلى لهم الرب عز وجل عند ذلك .فابان هذا الخبر أن رؤية الله جل ذكره تكون لهم مباد هة من غير استشراف ولا توقع وهكذا نعيم اهل الجنة ليس لاهلها فى شيء منه انتظار وافضلها واتمها عندهم رؤيتهم الله جل وعز فعلى هذا يتأول الخبر لاستحالة المقابلة على الله جل ذكره للاجسام والتحيز فى الجهات .

فصل آخر

ثم ذكر فى ذلك اخبارا فى ذكر ما اضيف الى الله عز وجل من الوجه وقد مضى تأويل ذلك على الوجه الصحيح من مذهبنا غير أنا نزيدك ايضاحا هاهنا ونقول ان جميع ما ذكر فى القرآن والسنة من الوجه المضاف الى الله عز ذكره لا يخلو من معان احدها ما اراد به الاخلاص كقوله صلى الله عليه وسلم يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدى الله فيقول عز وجل للملائكة القوا واقبلوا قال فيقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو اعلم ان هذا كان لغير وجهى ولا اقبل اليوم من الاعمال الا ما ابتغى به وجهى ، وكنحو ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا ابتغى به وجه الله بنى له مثله فى الجنة » وكنحو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت لحالفا عليهن لا ينتقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا يعفو رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الا رفعه الله بها يوم القيامة ، ولا يفتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح عليه باب فقر ، فهذا ونحوه من الاخبار يعنى ذكر الوجه فيه الاخلاص لله بالطاعة .

والوجه الثانى ان يراد بذكر الوجه المضاف الى الله عز وجل صفته على حسب ما يقول وذلك كقوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وكقوله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل فقال يا محمد ان ربك سأتى من جزاء من اذهبت كريمتيه فى الدنيا فقلت لا علم لى الا ما علمتنى قال جزاؤه الخلد (١) فى دارى والنظر الى وجهى (وكقوله وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم

---

(١) س « الخلود » .

الارداء الكبرياء على وجهه ـ ١) ومثله ما روى فى تأويل قوله عز وجل (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) عن ابى بكر انه قال الزيادة النظر الى وجه ربهم وكذلك روى عن ابى موسى الاشعرى وعن حذيفة رضى الله عنهما ومثله ما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه كان يقول فى دبر كل صلاة بسطت يدك فاعطيت ولك الحمد ربنا وجهك اكرم الوجوه، ومثله ماروى فيما تقدم ذكره من الخبر فى قوله لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شىء ادركه بصره . فاما الوجوه بمعنى الذات فلا يوجد فى اللغة اصلا .

والوجه الثانى الذى بمعنى الجارحة فلا يليق بالله عز وجل وقد بينا تاويل قوله (فاين ما تولوا فثم وجه الله) وانه فثم امر الله الذى له الوجه فعلى ذلك فرتب كلما ورد عليك من الوجه فى السنن والاخبار وآى الكتاب.

فصل آخر

ثم ذكر بعد ذلك ما روى من الاخبار فى ذكر العين وقد تقدم شرحه غير أنه روى فى خبر عن ابى بكر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (انه كان سميعا بصيرا) فوضع اصبعه الدعاءة على عينه وابهامه فى اذنه وقد بينا تأويل ذلك وان الفائدة فيه انكار قول من ذهب اليه من البدع الى ان معنى انعين ما وصف به جل وعز أنه سميع بصير انه عليم لا على اثبات سمع وبصر على الحقيقة الا بمعنى العلم ولم يرد صلى الله عليه وسلم اثبات جارحة لاستحالة وصفه بالجوارح بل اراد تحقيق معنى السمع والبصر فى وصفه على غير معنى العلم، ويدلك على ذلك ان الجارحة معراة عن السمع والبصر لا تمدح بكونها ولما قصد النبى صلى الله عليه وسلم مدحه تعالى بذلك وجب ان يحمل عليه وهذا كما اشار الى القمر ليلة البدر عند تحقيق الرؤية ليعلمهم انه مرئى بالابصار لا على معنى العلم كما ان الله تعالى مرئى بالبصر لا على معنى انه معلوم فقط ولم يرد تشبيها بالبدر وانما اراد تحقيق الرؤية على الوجه الذى يمنع تأويل العلم ومثله ما روى فى خبر آخر قال كان ملك فى بنى اسرائيل نذر ان يمشى على ندى

(١) سقط من س.

النساء ففرشت له النساء فجعل يمشي على صدورهن فبينا هو يمشي على صدر امرأة منهن اذ رفعت رأسها الى السماء فقالت اللهم ان هذا بعينك فقال تعالى على تمرد يا ارض خذيه قال فخسفت به الارض والناس ينظرون. وهذا مما ذكر فيه العين مضافا اليه جل ذكره وقد بينا ان ذلك مما لا يمتنع وليس المراد به عين جارحة ولكن المراد به عين صفة كما قلنا في اليد والوجه ويكون المراد به البصر كما ذهب اليه بعض اصحابنا وقد روى في بعض الاخبار ما يؤيده قال ابو موسى الاشعرى رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا » فنفى الصمم والنقص والعمى عنه واثبت السمع والبصر فدل ذلك على تحقيق معنى وصفه بالسمع والبصر قالت عائشة رضي الله عنها « تبارك الذى وسع سمعه كل شيء » واثبتت له سمعا ولم تثبت له اذنا فدلت على ان صفته التي يوصف بها مما ينفي النقص من الصمم عنه هو السمع لا الجارحة .

فصل

ثم ذكر بعد ذلك السنن المأثورة في ذكر اليد المضافة الى الله تعالى واتبع هذا الباب بما روى فيه من ذكر الكف والقبضة واليمين وقد تقدم شرح اكثر هذه الاخبار الا انا نذكر جملة تقف على تخريج (١) جميع .

واعلم ان اليد في اللغة تستعمل على معان منها الجارحة والملك والنعمة وما اضيف الى الله جل ذكره من ذلك مما هو بمعنى الجارحة فيما بينا فهو بمعنى الصفة في وصفه لاستحالة وصفه بالجوارح وصحة وصفه بالصفات وقد يضاف اليه اليد على معنى الملك والقوة والنعمة والقدرة ايضا وانما تميز بين معانيها بمواضعها المذكورة فيها وقرائنها المقترنة بها . فاما معنى قوله جل وعز (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) وقوله عليه السلام « خلق الله آدم يوم الجمعة بيده » فهو بمعنى الصفة لا يليق به معنى النعمة والقوة والملك وكذلك قوله كتب بيده

(١) كذا .

على نفسه » و « ان رحمتى تغلب غضبى » فهذا النوع لايليق به الا بمعنى الصفة فاما ما يليق به معنى الملك والقدرة مما اضيف الى الله جل ذكره من اليد فكما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر صلاته « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » فهذا يحتمل معنى القدرة والملك وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ احدكم خبزه فى السفر نزلا لأهل الجنة .

واما الذى يحتمل ان يكون اراد به النعمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى تقدم ذكره « فوضع يده بين كتفى فوجدت بردانامله » وقد بينا ان المعنى فى ذلك ما وصل الى قلبه من نعم الله وألطافه، وقد تكون اليد ايضا مضافة اليه بمعنى النصرة والمعونة وذلك يرجع الى معنى النعمة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الاعظم » وقال صلى الله عليه وسلم « يد الله مع القاضى حتى يقضى ويد الله مع القاسم حتى يقسم ويد الله مع الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان » والذى هو بمعنى الملك ايضا كقوله كثيرا فى الاخبار المروية عنه « والذى نفسى بيده لآنية حوضى اكثر من عدد النجوم » « والذى نفسى بيده لو ان فاطمة سرقت لقطعتها » والذى نفسى بيده لوددت انى اقتل فى سبيل الله » .

فاما ما روى فى هذا من ذكر اليمين نحو قوله يخرج كل طيب بيمينه وقوله ثم مسح احدى يديه بالاخرى فقد تقدم بيانه وان المراد به ظهور فعل ظهر من بعض خلقه من الملائكة اضيف اليه على معنى انه عن امره كان كقولهم قطع الامير اللص ، فاما قوله عليه السلام « ما تصدق احد بصدقة من طيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربى فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل » — فان اليمين ههنا بمعنى النعمة والفضل وذلك بفضله فى القبول وتضعيف الثواب عليها والمراد بالكف القدرة ايضا كما قال القائل .

هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها .

ومثله ما روى نافع عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال مطوية فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة فهذا يرجع ايضا الى معنى القدرة والقبضة يرجع معناها الى الملك كقول القائل ما هذه الدار الا فى قبضتى وليس يريد قبضة الجارحة وكذلك معنى مطويات فانيات من قولك اطو هذا الامر والحديث يعنى افنه اى اسكت واقطعه فقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم امرا لما دق نفوس المشركين المنكرين له وان ذلك مما لا ينكر فى قدرته وكذلك شبهه برمى الغلام بالكرة فهذا يرجع ايضا الى معنى القدرة تحقيقا لما اراد من معنى القدرة . فاما ما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « يد الله ملأى لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار منذ خلق الله السموات والارض وان ذلك لم ينقص مما فى كف الله شيئا واليد الاخرى فيها الميزان يخفض ويضع ويرفع » فيحتمل ان يقال ان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى لا ينقصها نفقة اى نعمه واياديه وفضله وقوله ما فى كف الله اى مما فى قدرته على ما تقدم تأويله وقوله اليد الاخرى فيها الميزان يخفض ويضع ويرفع وانما اراد بذلك اشارة الى العدل والفضل وانه اذا بسط نعمه وفضله لم ينقص مما فى يديه شىء بان يعجزه واذا عدل بحق ملكه لهم فيهم خفض ورفع وبسط وقبض وكذلك ما روى الحسن عن النبى عليه الصلاة والسلام قال « ما التقت فئتان قط الا وكف الله بينهما فاذا اراد ان يهزم احدى الطائفتين امال كفه عليها » فهذا ايضا يرجع الى معنى القدرة واظهار النصرة والخذلان . وكذلك معنى ما روى عن كعب ان السفينة تجرى على كف الرحمن اى انها تجرى بقدرته وان الله عزوجل هو المسير لها وهو معنى قوله تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) فاما ما روى حكيم بن هشام(١) ان رجلا قال يا رسول الله انبتدئ الاعمال ام قد قضى قال ان الله لما اخرج ذرية آدم من ظهره اشهدهم على

---

(١) كذا فى الاصول وفى كنز العمال هشام بن حكيم - ح .

انفسهم ثم افاض بهم فى كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فمعنى ذلك يرجع الى نوعى العدل والفضل فى مقدوراته المقدورة فى امور عباده وانه قد سبق حكمه لفريق بالفضل ولآخرين بالعدل ، وكذلك ما روى من الاصابع والانامل فمحمول على احد معنيين اما على النعمة والفضل كما يقال لفلان على اصبع حسن والمراد بذلك اثر حسن من طريق النعمة اويراد به القدرة كما يقال ما فلان الا فى قبضتى وتحت اصبعى ، واما ما روى فى الخبران ابنى مليكة أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقالا ان امنا كانت تكرم الزوج . وذكر الحديث وقال فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم فاقوم على يمين الرحمن مقاما لايقومه احد غيرى ، فالمراد بذلك احد تأويلين احدهما فاقوم على يمين عرش الرحمن فذكر الرحمن واراد عرشه كما قال واسأل القرية واراد اهلها واشار الى مقام اوليائه اصحاب اليمين — والثانى ان يكون معناه ما يظهر له من نعم الله وكرامته وذلك بان يقوم مقاما يظهر الله عز وجل من فضله له ما يبين به من سائر الانبياء والمقربين ، وانما قلنا ذلك لان يمين الجهة ويسار الجهة من صفة الاجسام المحدودة ، وكذلك معنى ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان على يمين الرحمن منابر وكراسى عليها رجال» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «اذا كان يوم القيامة مدالله الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الا موضع قدمه فاكون اول من ادعى وجبريل عن يمين الرحمن» ومعنى ذلك على ما تقدم ذكره من الوجهين اما ان يراد به يمين عرش الرحمن اويراد به تقريب المنزلة وتحقيق الرفعة والعظمة ، واما ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بهم يوم القيامة فيوقفون على جسر جهنم فمن كان مطواعا لله تناوله الله عز وجل بيمينه حتى ينجيه ، ومعنى ذلك ما يلحقه من رحمة الله وكرمه وعفوه وقد ذكرنا فيما تقدم استعمال العرب اليمين فى معنى الرحمة والنعمة والفضل ، واما ما روى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله خلق الخلق وقضى القضية وعرشه على الماء فاخذ اهل

اليمين بيمينه واهل الشمال بشماله» .

وكذلك ما روى ابو موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله عز وجل يوم خلق آدم قبض قبضتين فقال هؤلاء اهل اليمين ولا ابالى اصحاب الجنة وهؤلاء اهل الشمال ولا ابالى اصحاب النار» فكلا الخبرين مطعون في اسنادهما اما حديث ابي موسى فان يزيد الرقاشي فيه نظر وحديث ابي امامة بجعفر بن الزبير فيه نظر على انه ان ثبت يؤول ذلك على ما قلنا فيما قبل انهم هم الذرية لأنهم خلقوا من جانبي آدم خلق المؤمنين من يمينه والكافرين من شماله واليمين والشمال لآدم عليه السلام وذلك يرجع الى المخلوقين فيها من الخلق، وانما قلنا ذلك لما روى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق موثوق به وكلتا يدى الرحمن يمين، وبينا فيما قبل ان فائدة ذلك التنبيه على نفي الجوارح لأن اليمين التي بمعنى الجارحة لابد ان يكون ما يقابلها يسارا فقال النبي صلى الله عليه وكلتا يديه يمين اشارة الى نفي التشبيه والجارحة ولم يثبت لفظه في خبر من طريق صحيح بذكر الشمال مضافا اليه جل ذكره فرتب على ما ذكرناه جميع ما ورد عليك من هذه الاخبار من لفظ اليد والكف واليمين والاصبع والقبضة والانامل من غير ان تخرج عن جملة معاني ما ذكرناه فتخرج الى طريق الضلال والهلاك ترشد ان شاء الله تعالى .

فصل آخر

ثم ذكر بعد ذلك ما روى من ذكر الساق والقدم والرجل اليمنى والاخرى فروى في حديث ذكر الساق وحديث الرؤية وما روى فيه هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقال الساق فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن واعلم ان هذا الخبر متقدم البيان في تأويله ووضحنا انه لايجوز ان يقال لله ساق او يكشف عن ساقه من قبل ان الالفاظ المروية في الاخبار ومما ورد في القرآن من ذلك في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) وانما ورد مطلقة غير مضاف

ولا مقيد وقد روى عن ابن عباس تاويل ذلك وان معناه يوم يكشف عن شدة وان ذلك كلام العرب لأنهم يقولون قامت الحرب على ساق اى على شدة وروى ابو موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم وورد لفظ النور مطلقا ايضا غير مضاف الى الله جل ذكره فيحتمل ان يكون المعنى فى ذلك مايتجدد لهم عند رؤية الله عز وجل من الفوائد والمكاشفات والالطاف التى تظهر لسرائرهم .

فاما ما روى من الاخبار فى الرجل فمن ذلك ما روى عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امية بن ابى الصلت فى بيتين . من شعره

رجل وثور تحت رجل يمينه   والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم صدق وروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار وذكر الحديث وقال فيه واما اهل النار فانهم يلقون فيها فتقول هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع فيها رجله وروى حديث عمارة بن عامر عن ام الطفيل امرأة ابى بن كعب انها قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه رأى ربه فى المنام وذكر الحديث وقال فيه الرجل

الجواب

اعلم انا قد ذكرنا هذا الخبر فيما تقدم وبينا تأويله وذكرنا انه يحتمل ان يكون المعنى فيه ما يضعه الله فى النار من الكفار وهم الخلق الكثيرون فتمتلئ جهنم بهم وانه سمى ذلك رجلا على عادة العرب فى تسمية الجماعة رجلا لانهم يقولون للجراد الكثير رجل ويقولون جاءت رجل من الجراد يعنون بذلك جمعا كثيرا ، ويحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد بالرجل ههنا الخلق الكثير واضافه الى الله تعالى على طريق الملك والفعل ، فاما ما فى بيت امية ابن ابى الصلت فيحتمل ان يقال انه اراد يمين العرش ويساره وان هذه الاملاك التى تحمل العرش منهم من هو قائم عن يمين العرش ومنهم من هو قائم عن

يساره

يساره، فاما ما روى فى ذكر الرجل فى رؤيا النوم فقد مضى بيانه وانه لاينكر ان يكون الشيء يرى فى المنام على خلاف ماهوبه ، وقد بينا لذلك وجوها اخر قريبا وهو ان يكون رأى صورة على تلك الهيئة رأى الله تعالى فيها على معنى انه رآه عند رؤيته لها وذلك على احد معنيين احدهما ان يكون معناه انه لم يلهه النظر اليه عن ذكر الله عزوجل ورؤيته له بالقلب والثانى ان يكون معناه انه رأى ربه فيها معتبرا بها لا انه رأى الهيئة والصورة لله جل ذكره .

فصل آخر

ثم ذكر بعد ذلك سننا واخبارا كثيرة يريد بذكرها نص القول بان الله تعالى لم يزل ولا يزال وينكر قول من حكى عنه او يتوهم عليه انه يقول ان الله لم يتكلم الا مرة ثم لم يتكلم بعد ذلك، وليس فى جميع ما ذكره ما ينكر غير انه قد اوهم برواية هذه الاخبار التى ذكرها ان الله عزوجل يتكلم كلاما بعد كلام ويقول قولا بعد قول وان لم ينص عليه بتصريح هذه العبارة والاولى فى ذلك ان يقال ان كلام الله لم يزل ولا يزال موجود فانه يفهم خلقه معانى كلامه اولا فاولا وشيئا فشيئا وان الذى يتجدد الاسماع والافهام دون المسموع المفهوم وقد ذكر فى هذا القدر ما يغنى عن ترداد الاخبار فيه وايهام الخطاء بانه تكلم فى وقت كذا وتكلم فى وقت كذا لاجل ان كلامه لايختص الاوقات والازمان كما ان علمه وسمعه وقدرته لايصح ان يقال فيه شيء من ذلك وانما يتجدد المعلوم والمقدور بحدوثه شيئا بعد شيء دون العلم به والقدرة عليه، والذى ذكره من الاخبار نحو ما روى ان الله تكلم بعد ما خلق آدم يوم اخذ الميثاق وتكلم لما خلق ذرية آدم وتكلم لما خلق العقل وتكلم لما خلق الجبال وتكلم بعد ان بعث ابراهيم صلى الله عليه وبعد ان بعث ايوب وبعد ان بعث يوسف وموسى و ورد من ذلك وكثر .

واعلم انه كما ينكر قول من قال ان الله لم يتكلم الامرة واحدة كذلك ينكر قول من قال ان الله تكلم مرة بعد اخرى لأن كل ذلك يوجب حدث

الكلام .

فان قيل أليس قد روى فى الخبر ان الله عزوجل ناجى موسى بثمان مائة الف كلمة واربعين الف كلمة وصايا كلها قيل ان ذلك يرجع الى تكثير الاسماع والافهام لا الى معنى الكلام الذى لم يزل فاما كلام الله الذى هوصفة من صفات ذاته غير بائن منه فكلام واحد شيء واحد يفهم منه ويسمع مالا يحصى ولا يعد من الفوائد والمعانى ونظير ذلك ما نقول ان علمه واحد ولكنه يحيط بمعلومات لا تتناهى والذى تقع عليه الكثرة والقلة المعلومات دون العلم وهذا هو معنى جملة ما ذكر من هذه الاخبار على كثرتها من قوله قال الله ويقول الله وليس المراد تكرير القول وتجديده .

فصل آخر

فان قال قائل أليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تكلم ويكلم عباده بعد ان يقيم القيامة وكما قال عزوجل (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم)(ويوم يقول لجهنم هل امتلأت)وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم« ما منكم من احد الا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» قيل هذا راجع الى التكليم والافهام لا الى تجديد الكلام ومثل ذلك مثال الاسماع من سمعه والتعليم من علمه والتقدير من قدرته فى باب انه عنه يصدر ولا يكون هو نفسه والمراد بذلك ان يفهمهم خطابه يوم القيامة من غير ترجمان فاذا حاسبهم يوم القيامة افهمهم كلامه واسمعهم خطابه من غير واسطة لا كما افهمهم فى الدنيا بوسائط الرسل والكتب .

ثم ذكر فى ترجمة باب اوهم فيه ماليس هو المذهب وذلك انه قال فى تضاعيف هذه الابواب التى ذكرها من هذا النوع ذكر الآى المتلوة والسنن المأثورة فى ان الرب تعالى لا يزال يتكلم الى ابد الابد قال الله تعالى والله يقول الحق وقال فالحق والحق اقول ثم ذكر فى ذلك حديث سعيد بن

المسيب

المسيب انه لقى اباهريرة فقال ابو هريرة « اسأل الله ان يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة » قال سعيد وفيها سوق قال نعم وذكر الحديث وقال فيه ابو هريرة حدثنى النبى صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون الله وذكر الحديث وقال فيه ابو هريرة قلت للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تمارون فى رؤية الشمس وفى القمر ليلة البدر قلنا لا قال وكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم فلا يبقى فى ذلك المجلس احد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول الله جل ثناؤه للرجل يا فلان اتذكر يوم عملت كذا وكذا ويذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول يا رب الم تغفر لى فيقول بلى فتسعه رحمته ومغفرته .

واعلم بان اطلاق القول بان الله عز ذكره لايزال يتكلم الى الابد يوهم الخطاء وانه يتجدد له كلام بعد كلام وما يتجدد فهو حادث وكما لايجوز أن يقال ان الله لايزال يعلم الى ابد الابد لانه يوهم الخطاء كذلك (١) القول فى الكلام والصحيح ان يقال ان كلام الله لم يزل ولا يزال وانه مسمع من يشاء من خلقه ومفهم من يريد منهم افهامه فى الوقت الذى يريد أن يسمعه ويفهمه ما يريد من ذلك من غير تجديد قول ولا كلام واذا قيل فى الفاظ هذه الاخبار فيقول الله ويتكلم الله فليس المراد به تجديد القول والكلام وانما المراد به تجديد الاسماع والافهام للقول الذى لم يزل فعلى ذلك ترتيب كل ما ورد من الاخبار التى ذكرناه من هذه الالفاظ التى نصصتها مما يوهم حدوث قول الله وتجديد شيء منه بعد شيء .

ويجب ان تعلم ان ذلك مرتب على ما قلنا لا على الوجه الذى يقتضى حدوث كلام الله وتجدد كلام له بعد كلام فعلى ذلك رتبه .

---

(١) فى س كقولك .

فصل آخر

ثم ذكر فى ترجمة باب ذكر كيفية تكلم الله جل وعز بالوحى فذكر حديث عبدالله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون انه من امر الساعة ثم قرأ (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير).

واعلم انه قد بينا قبل معنى هذا الخبر وان الصلصلة للسموات وهى مضافة اليها فى الخبر نصا ومعنى ذلك ما يخلق من العبارات عن كلامه ليفهم به من شاء من خلقه ولسنا ننكر العبارات عن كلامه وان يكون اصواتا مخلوقة فى غيره هى اصوات لغيره ولو قال فى هذه الترجمة البيان عن معنى تكليم الله بالوحى خلقه لكان اولى لان الكلام والمتكلم شيء واحد.

واما التكليم فمن اصحابنا من قال هو صفة الكلام يوصف بها الكلام اذا افهم المخاطبين مراده بما يحدثه من العبارات والكنايات وليس لتكلم الله كيفية ولان ماذكره فى الخبر فى بيان الترجمة انما هو بيان التكليم لا اثبات التكلم وقد روى فى خبر آخر ايضا ان ابا هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فبين ان تلك الاصوات اصوات اجنحة الملائكة وان ذلك عند قضائه امرا وتجديده فعلا وليس ذلك يرجع الى حدوث الكلام وكذلك ما ذكره بعد كيفية نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وما ذكر فيه من خبر عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا ويتكلم فاعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد

رأيته

رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليقطر عرقا .

واعلم ان ذلك مما يدلك على ما قلنا من حدوث العبارات فتارة يسمعها من الملك فيسمع كلام الله عندها وتارة يتجدد له فهم بابتداء بما يريد الله تعالى من معانى مخاطباته بالامر والنهى وكل ما يرجع إلى العبارات والكنايات فحكمه الحدوث واما المكتوب المعبر فهو كلام الله جل ذكره وليس نزول الوحى على معنى انتقال شيء من مكان الى مكان ولكنه يحدث فيه ويسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعه ويفهمه من كلام الله تارة عند حدوث عباراته من اصوات وغيرها وتارة عند حدوث فهم وعلم ابتداء وقد يسمى كلام الله وحيا كما يسمى العبارة عنه وحيا وهذا كما يسمى الكلام وتلاوته قرآنا واحدها متلو والآخر تلاوة وقد تقدم تفصيلنا لذلك .

فصل آخر

ثم ذكر بعد ذلك باب استواء الله تعالى على العرش وذكر فيه آى الكتاب وروى بعد ذلك اخبارا فقد ذكرنا تأويل الاستواء فى موضعه واما الاخبار التى ذكرها فمنها حديث العباس بن عبدالمطلب انه كان جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيهم اذ مرت عليهم سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قالوا نعم هذه السحاب قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمزن قالوا والمزن والعنان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا والله ماندرى قال فان بعد ما بينهما اما واحدة واثنتان او ثلاث وسبعون سنة والسماء الثانية فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال ما بين اظلافهن وركبهن كما بين السماء الى السماء ثم فوق ظهورهن العرش بين سفلته واعلاه ما بين السماء الى السماء والله تعالى فوق ذلك .

وذكر ايضا بعده حدث جبير بن محمد عن جبير بن مطعم عن ابيه عن

جده قال اتى اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت العيال وهلكت الانعام فاشفع لنا الى ربك فانا نستشفع بك على الله تعالى ونستشفع بالله عليك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أتدرى ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك اوعرف فى وجوه اصحابه ثم قال انه لايستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم ويحك أتدرى ما الله ان عرشه على سمواته وارضه له كذا باصابعه مثل القبة عليها وانه ليئط اطيط الرحل بالراكب .

اعلم ان حديث العباس بن عبد المطلب ليس فيه ما يجب ان نبين معناه سوى قوله والله تعالى فوق ذلك وقد ذكرنا فيما قبل معنى وصف الله سبحانه بانه فوق خلقه وان ذلك راجع الى فوقية المنزلة والمرتبة وفوقية القدرة والعظمة واما الفوقية بالمسافة والمكان فمحال فى وصفه وفائدة الخبر تعريفنا انه عز ذكره ممن لا يدخل بين طبقين ولا ممن هو فى كل مكان كما ذهب اليه المخالفون واذا استفدنا بهذا الخبر تكذيب هذين الفرقتين فى دعواهما على الله انه يحل فى بعض المخلوقات ويوصف انه فى كل مكان رجع تأويل الخبر الى ما نقول انه اراد به انه غير مختلط ولا ممتزج بشىء من خلقه وانه بائن مما خلق ببينونة الصفة والنعت لا بالتحيز والمكان والجهة، فاما حديث جبير بن مطعم فليس فيه ما يقتضى تأويلا اكثر من قوله وانه ليئط أطيط الرحل بالراكب وذلك يرجع الى العرش وليس فيه ما يدل على ان الله تعالى مماس له مماسة الراكب لرحله بل فائدة الخبر انه يسمع للعرش أطيط كأطيط الرحل اذا ركب ويحتمل ايضا تأويلا آخر وهو ان يقال معناه أطيط الملائكة وضجيجهم بالتسبيح حول العرش فاضيف الاطيط الى العرش والمراد به الطائفون به وهذا سائغ فى اللغة كما قال

واستب بعدك يا كليب المجلس .

وانما المراد به اهل المجلس كذلك تقول العرب اجتمعت اليمامة والمراد اهلها وكذلك يقولون بنو فلان يطؤهم الطريق والمراد المارة فى

الطريق ثم ذكر فى هذا الباب حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وقد بينا فيما قبل تأويل ذلك ان رحمتى سبقت غضبى فاما قوله فهو عنده فوق العرش فان لفظة عند تستعمل على وجوه ومعان فمنها ان يقال عند الله بمعنى انه فى علم الله ويقال عند الله على معنى انه فى حكم الله ويقال عند الله على معنى النصرة والكرامة والقدرة والمنزلة على قراءة من قرأ (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا) والمراد وصفهم بالقرب والكرامة ويحتمل ان يكون ذلك الكتاب موضوعا على العرش على معنى المماسة له ويكون عند الله على معنى احاطة علمه بما فيه من حيث لا يخفى عليه منه شيء .

فصل آخر

ثم ذكر ما روى من الاخبار فى الكرسى فذكر حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تفكروا فى كل شيء ولا تتفكروا فى ذات الله فان ما بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك وذكر حديث ابن عباس ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم خطبهم فقال آتى باب الجنة فافتحه فيفتح فيتجلى الله عز وجل لى على كرسيه واخر على وجهى ساجدا وروى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قدم جعفر من ارض الحبشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعجب شيء رأيت قال رأيت امرأة على رأسها مكتل دقيق فمر فارس يركض فاذراه فقعدت تجمع طعامها ثم التفتت اليه فقالت ويل لك يوم يضع الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لها كيف تقدس امة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعتع وذكر حديث ثابت عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يشتد يوم القيامة على الناس وذكر الحديث وقال فيه فيفتح فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من انت فاقول محمد (صلى الله عليه) فيفتح لى فارى ربى على كرسيه او سريره فأخر ساجدا وذكر الحديث وذكر عن ابى ذر أنه قال قلت يا رسول الله بما آية نزلت عليك اعظم قال

آية الكرسي ثم قال يا اباذر ما السموات السبع من الكرسي الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة. اعلم ان جميع ما وصف به الكرسي من عظم الجثة وطول المسافة فلا ينكر في مقدور الله عز وجل ما هو اعظم من ذلك اضعافا مضاعفة فاما ما قال ابن عباس وهو فوق ذلك فكمثل ما تقدم في خبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وهو فوق ذلك كله وقد بينا ان ذلك ليس من طريق المساحة والمسافة فاما ما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة من قوله فتجلى الله على كرسيه فأخر على وجهي ساجدا فيحتمل امرين احدهما ان تجليه له تصديقه فيما وعده واظهاره له من الكرامة اكثر مما توهمه ورجاه وقد يقول القائل تجلى فلان لفلان والمراد بذلك ما يظهر له من فعله وتدبيره وآثاره ويحتمل ايضا ان يكون اراد به الرؤية وان النبي صلى الله عليه وسلم يرى الله عز وجل عند دخول الجنة فاما قوله على كرسيه فهو كقوله (الرحمن على العرش استوى) وقد بينا معنى على فيما قبل وانه ينقسم على وجوه احدها علو الرفعة بالقدرة والمنزلة والثاني كقوله انك لعلى خلق عظيم وكقوله على زيد مال وليس المراد بذلك علوا بالمكان واذا لم يكن معنى على مختصا بعلو المكان فقد بان ان معناه علو على ما يليق به مما لا يقتضي المكان ولو قال قائل ان معناه النبي صلى الله عليه وسلم على كرسيه في الجنة فيرى ربه عز وجل ويضاف الى الله عز وجل من طريق الملك والفعل والخلق كما قال (على الارائك ينظرون) في صفة اهل الجنة وهي السرر.

واما ما روى في حديث جعفر من قول المرأة بارض الحبشة يوم يضع الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم فليس فيه ما يحتاج الى تأويل بل معناه تعريفنا انه ينتقم ذلك اليوم من الظالم للمظلوم وهذا كما يقول القائل بسط الامير بساطه ووضع وساده يريد بذلك اظهار ملكه وقدرته للانتصار والانتصاف وليس هذا مما ينكر. فاما حديث انس فقد بينا تأويله غير انه قال فيه فأرى ربي وهو على كرسيه وهذا احد معنى التجلي لانه تصريح بالرؤية وقد بينا

وجهه فيما قبل وليس ينكر عندنا رؤية الله عز وجل.

فصل آخر

ثم ذكر بعد ذلك ما روى فى الآثار من ذكر الحجاب وذكر حديث سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال دون الله سبعون الف حجاب من نور لا يسمع احد حس شيء من تلك الحجب الا زهقت نفسه وذكر حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان لله ديكا يجاوز رأسه كذا وا لسبعين الحجاب ورجلاه قد جاوزت السبع الارضين» وذكر حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الرب حجاب فجاء حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله عز وجل اليه.

وذكر حديث صهيب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) وذكر الحديث وقال فيه فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون اليه وذكر حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر وصية نوح عليه السلام ابنه فقال انهاك عن الكبر والشرك فان الله تعالى يحتجب عنهما (وذكر حديث مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال) احتجب الله عن خلقه بأربع بنار (وظلمة ونور وظلمة ـ ١) .

وذكر حديث الحكم بن ثوبان انه قال سمع عبدالله بن عمرو بن العاص يقول والذى نفسى بيده ان دون الله تعالى يوم القيامة سبعين حجابا ان فيها لحجبا من ظلمة وذكر الآية فيه ايضا وهو قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب)

وذكر حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام قال يا رب ارنا اباناآدم وذكر الحديث فقال فيه قال آدم

---

(١) من س ـ

من انت فقال انا موسى قال نبى بنى اسرائيل انت الذى كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه .

فصل

فى الجواب عن ذلك .

اعلم ان الذى يجب ان يوقف عليه من هذا الباب مما يبنى عليه الكلام فيه ان تعلم ان الله عز وجل ليس بجسم ولا جوهر ولا محدود وانه لا يصح ان يكون محجوبا على معنى ان يكون مستورا بالسواتر المغطية كما تستر الاجسام بالاجسام الساترة الحائلة بينه وبين غيره وهذا هو الاصل الذى يبنى عليه التوحيد وينفى التشبيه ومن اثبت لله تعالى حدا اونهاية اوغاية واجاز أن يكون مستورا محجوبا بحجب التغطية والسواتر المانعة فقد احال فى ذلك و نقص التوحيد واوجب تشبيه الله تعالى بخلقه .

والوجه الثانى من ذكر الحجاب فى وصف الله تعالى هو أن يرجع به الى ان يكون الحجاب فى غيره والمحجوب به غيره وذلك انما يكون بالاعراض المانعة من رؤيته والموانع الحاجبة عن العلم به وذلك لا يليق به الا ان يكون معانى حادثة فى المخلوقين وان يكونوا هم المحجوبون عنه بها اما ان يكونوا ممنوعين عن العلم به او عن رؤيته .

ثم قد يقال للموانع التى يحدث عندها المنع للمحجوب حجب وان تكون تلك الاشياء حجبا على الحقيقة كما يقال ان الحائط حجاب بينى وبين ما وراءه والمراد بذلك انه مانع من رؤيته على معنى ان المنع يحصل عنده والحجب يحصل معه لا انه هو وهذا كما تقول فى القيود الثقيلة انها تمنع من المشى للقيد بها على معنى ان المنع يحدث عند التقييد بها للقيد من المشى واذا كان كذلك فجميع ما ذكرها من الفاظ الحجاب فى هذه الآية والسنن محمول على ما ذكرناه ومرتب على ما قلناه فيحال فيه احد الوجهين ويصح الآخر وهذه جملة تكفى عن الجواب عن سائر

هذه الاخبار .

ثم نقول ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم دون الله سبعون الف حجاب من نور انما يرجع جميع ذلك الى المحجوبين من خلقه بها لا الى الله عزوجل وانها حجب لهم لا له .

ولم يذكر فى الخبر ان تلك حجب الله ليس فيه اكثر من انها حجب واذا لم يصح ان يكون الله عزوجل محجوبا كما لا يصح ان يكون ممنوعا ولامستورا ولا محدودا ولامغطى ثبت انه يرجع الى حجب المخلوقين .

فاما حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله رأيت من امتى رجلا جاثيا على ركبتيه بينه وبين ربه حجاب فالمراد به حجاب للعبد عن رحمة الرب اى انه كان ممنوع الرحمة والنعمة حتى اثيب على حسن خلقه ورحم بذلك فاخذ الله تعالى بيده اى نجاه وخلصه كما يقال اخذ الله بيدك على انه نصرك ونجاك وكذلك قوله فادخله الله عليه اى ادخله فى رحمته وكرامته وهذا كقول الحاج اتيناك شعثا غبرا وكقولهم للحجاج انهم زوار الله .

فاما قولهم فى تأويل قوله وزيادة فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون اليه، فانه يرجع الى رفع المانع عن الرؤية من الممنوعين عن رؤيته من الخلق .

فاما ما ذكر فى وصية نوح عليه السلام بنيه انه قال انهاك عن الكبر والشرك فان الله محتجب عنهما، فان ذلك يؤيد ما قلناه انه يكون حجب واحتجاب لا على معنى التغطية والستر لان احتجاب الله عزوجل من الكبر والشرك ليس احتجابا عن ساتر ومغط وحاجب ومانع بل ذلك هو منع المتكبر والمشرك ما عنده من الرحمة للمؤمنين وصرف النعمة عنهم فسمى ذلك احتجابا عنهم .

فاما قول عبد الله بن عمرو بن العاصى والذى نفسى بيده ان دون الله يوم القيامة سبعون الف حجاب، فقد بينا انها حجاب للمخلوقين لا لله ولم يذكر ايضا انها حجب الله عزوجل وقد ذكرنا وجه تسمية الخوائن والسواتر

حجبا وحجابا وان ذلك يرجع الى تسمية ما يحدث عنده وذلك ان المنع للرائى يحصل عنده فيسمى حجابا والحجاب هو المنع الذى يضاد رؤية المحجوب به على معنى انه يمنع الرؤية فعلى هذا فرتب ما ذكر فى لفظ الحجاب فاما الآية فقد تقدم تأويلها فيما قبل فاغنى عن اعادته .

فصل آخر

فيما روى من الاخبار التى ذكرها فى التجلى روى ابو بردة عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتجلى ربنا ضاحكا يوم القيامة » وروى ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل) قال بدا منه قدر هذا ، وعن ابن عباس فى قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر .

فصل

فى الجواب عن ذلك وبيان تأويله

اعلم ان معنى التجلى الظهور يقال تجلى لى الرأى اذا ظهر له الرأى ولم يكن ظاهرا فاذا تجلى الرب فمعناه يتوجه على وجهين ، احدهما باظهارا فعاله الدالة عليه على معنى انه يضع العلامات التى بها يستدل عليه ، والثانى ان يكون بمعنى ما يخلق من الرؤية فيهم اى يخلق رؤية يوم القيامة للمؤمنين فيتجلى لهم عندها وهذا غاية ما يكون من التجلى لان المعرفة بالشيء بعد ما لم يكن تجل والرؤية له ايضا بعد مالم يره تجل والعيان فى التجلى ابلغ ، واما معنى الضحك فقد بينا فيما قبل انه هو بمعنى اظهار النعمة وان الله عزوجل يظهر النعمة يوم القيامة لأوليائه فى الجنة فكأنه قال يتجلى ربنا يوم القيامة بنعمه واياديه واحسانه وفضله واعظم ما يتفضل به على اهل الجنة ما يخلق لهم من رؤيتهم له ، فاما معنى قوله (فلما تجلى ربه للجبل) فقد ذكرنا فيه جوابين احدهما انه جعل الجبل حيا عالما رائيا حتى رآه فذلك تجليه ، والثانى ان ذلك تجلٍ باظهار الفعل والتدبير

(وان

(وان معنى قوله بدا منه قدر هذا فالمراد به الاشارة الى الشيء اليسير - ١) من آياته يريد أن ما اظهر الله فى الجبل من الآية كان قدرا يسيرا فى جنب ما يقدر عليه بالاضافة الى ما يبديه من علاماته ويظهره من آياته يوم القيامة وعلى ذلك يتأول قول ابن عباس ما تجلى منه الاقدر الخنصر وذلك انه مثل يضرب عند تقليل الشيء وقد جرت العادة فى لغة العرب والعجم على هذا النحو.

وانما قلنا ذلك لاستحالة ان يوصف الله عز وجل بالتبعيض والتجزئة.

فصل

مما ذكر فيه النزول والمجيء مع الفاظ زائدة على ما تقدم ذكرها وبيان تأويلها وما ذكر فى بعض الاخبار من ذكر العلو والصعود ومما لم يتقدم ذكره ولا بيان تأويله، فمن ذلك ما روى عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) قال ينزل الجبار جل جلاله يوم القيامة فى سحاب قد قطع كهيئة الطاقات، وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال «اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم» وذكر الحديث وقال فيه فلاهل السماء السابعة اكثر من اهل السموات الست واهل الارض بالضعف فيجيء الله تبارك وتعالى فيهم والامم صفوف - ١).

وعن ابى هريرة وابى سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الاول هبط الى السماء الدنيا فقال هل من مذنب فيتوب، الخبر. وروى عطاء بن يسار عن رفاعة بن عرابة (٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى شطر الليل وقال ثلثا الليل ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيقول لا يسئل عن عبادى احد غيرى من ذا الذى يسئلنى فاعطيه.

وروى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام افضل عند الله من ايام عرفة ينزل الله الى السماء الدنيا فيباهى باهل الارض. وعن ابن

---

(١) ليس فى س (٢) فى الاصل « عن رواعة عن ابى عوانة» خطأ.

عباس انه قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة وهو يوم المباهاة ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول للملائكة انظروا الى عبادى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قرأ هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) اهل السماء الدنيا وهم اكثر من اهل الارض من الجن والانس فيقول اهل الارض أفيكم ربنا فيقولون لا وسيأتى، وذكر الحديث وقال فيه تشقق السماء السابعة وهم اكثر ممن اسفل منهم من اهل السموات والارض فيقولون أفيكم ربنا فيقولون لا وسيأتى ثم يأتى الرب فى الكروبين وهم اكثر من اهل السموات السبع والارضين .

وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا » وذكر الحديث وقال فيه، فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يعلو ربنا الى كرسيه، وعن عبد الله بن مسعود قال جاء رجل من بنى سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رءاه الا بمكة يقال له عمرو بن عبسة فقال يا رسول الله علمنى مما انت به عالم وانا به جاهل اى صلاة المتطوعين افضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل او ثلثا الليل فتلك ساعة ينزل الله فيها الى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فأغفر له الى ان قال حتى ينفجر الصبح فاذا انفجر الصبح صعد الرحمن الى الملأ الاعلى .

فصل

الجواب عن هذا الباب

وبيان تاويله

اعلم انا قد بينا فيما قبل معنى هذا الخبر وان النزول ينقسم الى اقسام وليس معناه يختص النزول بالنقلة والتحويل فقط بل معناه فى غير الحركة اكثر منه يقال نزل فلان من معالى الامور ومكارمها الى سفسافها ويقال نزل فلان

عن

عن رأيه وانزل فلان فلانا عن درجته ورتبته وقال الله تعالى (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) وقال (انا انزلناه في ليلة القدر) في صفة القرآن واخبر عن المشركين انهم قالوا سننزل مثل ما انزل الله ويقال نزل بي فلان خير وخصب وارتفع عنهم جدب وقحط وليس يراد بذلك معنى النقلة والتحول من مكان الى مكان، ومع ذلك فمعنى النزول فيه صحيح على الوجه الذي يليق به كذلك معنى ما وصف به الرب من النزول وان لم يكن معنى النقلة سائغ في لغة العرب، وذكرنا ان ذلك يرجع تأويله الى ظهار فعل وتدبير في عباده يسميه نزولا وانه يحتمل ان يقال ان معناه ان يظهر رحمته لهم واجابته لدعائهم وانه من له ان لا يجيب ولا يرحم لان الاجابة منه فضل وتركها منه عدل فاذا اجابهم فقد نزل عما له ان يفعل بهم من ترك الاجابة الى ان يفعل بهم ما يكون من فعله متفضلا، ويحتمل ايضا ان يكون معناه نزول ملائكته بامره فيضاف اليه النزول على معنى ما وقع بامره كما يقال نزل الامير بموضع كذا اذا نزل اصحابه بامره ونفذ فيه حكمه وسلطانه، واذا كان ذلك مما يحتمله اللفظ ويصح معناه وكان حمله على بعضها لا يؤدي الى وصف الله جل ذكره بما لا يليق به كان اولى مما قلوا، واما اللفظ الآخر الذي ذكره في الخبر وهو قوله فيجيء الله تبارك وتعالى فيهم. فتأويله على نحو قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقد بينا فيما قبل ان ذلك يدور على وجهين، احدهما ان يكون المراد به اظهار فعل يسمى مجيئا، والثاني ان يكون يجيء فيهم اي يجيء بهم وهذا نحو ما روي عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى (في ظلل من الغمام) ان معناه بظلل وما ذكرنا في تأويل النزول والمجيء فهو تأويل الهبوط وان ذلك ايضا ليس هو بمعنى التحول من مكان الى مكان، فاما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ان الحج الاكبر يوم عرفة وان ذلك يوم المباهاة وان الله تعالى يقول للملائكة انظروا الى عبادي، فليس فيه ما ينكر ومعنى المباهاة تعريف الملائكة ما يفضل به على بني آدم من الموافقين بعرفة من توفيقه اياهم لطاعته واحتمالهم المشاق فيه، فاما

ما ذكره فى الخبر الآخر من قوله وسيأتى فهو بمعنى قولنا يجىء وجاء ينزل ويأتيهم الله فى ظلل وليس معنى شيء من ذلك هو على الحد الذى لا يليق بالله تعالى من الحركة والنقلة والزوال من مكان الى مكان بل كل ذلك على معنى ظهور فعله وتدبيره او على معنى ظهور الفعل من غيره بأمره وحكمه فيضاف اليه باللفظ الذى يكون من قبله على معنى انه بأمره وحكمه وقع، وعلى ذلك يتأول ما ذكر فيه من العلو والصعود وانه لا يخلو المراد فيه من احد وجهين، اما ان يراد به علو الاملاك الذين نزلوا بامره الى حيث يريد من فوق بأمره ايضا فيضاف الفعل اليه كما قلنا انهم يقولون ضرب الامير اللص وانما المراد به انه امر بذلك، ويحتمل ايضا ان يكون معناه ظهور فعل بعد فعل فاذا كان فعله فضلا سمى نزولا واذا كان عدلا سمى صعود الاجل ما يرجع الى المعقول فيه والى صفة الفاعل فيما له ان يفعل وان لا يفعل .

فصل

فى ذكر الفاظ زائدة فى الاخبار التى فيها الضحك، فمن ذلك ما روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لاعلم آخر اهل النار خروجا من النار وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يقال له ادخل الجنة فيأتيها فيرى انها قد ملئت فيرجع فيقول يا رب قد امتلأت فيقول ارجع ثلاث مرات ثم يقول له لك مثل الدنيا ولك مثل عشرة امثالها فيقول اتضحك بى وانت الملك قال ورأيته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه .

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليضحك من اياس العبد وقنوطه وقرب الرحمة منه .

وعن طلحة بن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبر بموت طلحة رفع رأسه الى السماء وقال اللهم القه وهو يضحك وانت تضحك اليه، وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم، وذكر

الحديث

الحديث وقال فيه فيقول يا بن آدم ما اغدرك تعطى عهودك ومواثيقك ان لا تسئلنى غير ما اعطيتك فيقول اى رب لا اكون اشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الرب منه فاذا ضحك منه قال له ادخل الجنة .

وعن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوافينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة، فذكر الحديث وقال فيه فيظل يضحك قدعلم ان دعوتكم قريب قال لقيط لن نعدم من رب يضحك خيرا .

فصل فى بيان تأويله

اعلم ان معنى الضحك ليس هو مخصوصا بتكشر الفم وظهور الاسنان وتغير الحال على الانسان بـه بل معناه مشترك قالت العرب ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر فيها النبات قال الشاعر .

تضحك الارض من بكاء السماء

يريد بذلك ما تظهر الارض من النبات وانواره عن مطر السماء فاما وصف الله جل ذكره به فذلك راجع الى مـا يظهر من نعمه ويبديه من منته، فاما ما قيل فى خبر من يدخل الجنة اخرا أتضحك بى وانت الملك فقد قيل فى بعض الاخبار ايضا فى مثل هذا الموضع منـه تستهزئ وانت رب العزة وليس المراد بذلك الا ما يقع فى وهم هذا القائل ان ما يطمع فيه ويرجى غير موثوق به ولامتحقق لما رجع الى متحقق حالة نفسه فى خروجه من النار والعذاب وذلك ايضا مجاز فى الكلام اى يفعل مثل ما يفعله من لا يحقق ما يقول والمشبه بالشيء قد يسمى باسمه قال الله تعالى (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فاما قوله فى الخبر الآخر ان الله يضحك من يأس العبيد(١) وقنوطهم فيحتمل ان يقال ان معناه انه عند يأس العبد مما سوى الله جل ذكره يظهر الله رحمته وعطفه ولطفه فيرحمهم

(١) ب - العبد .

وليس ذلك يرجع الى يأس العبد من الله جل وعز لان من كان كذلك لم يظهر له نعم الله جل ذكره .

فاما قوله اللهم القه وهو يضحك وانت تضحك اليه، فضحك الله اليه اظهار لكرامته له وضحكه ظهور الفرح فيه بما يظهر الله من النعم عليه وفيه .

فاما قوله فى الخبر الآخر واذا ضحك ربك الى عبد فى موطن فلاحساب عليه، فالمراد به ايضا نظره له ورحمته وانه اذا ابدى نعمه على عبد رفع عنه الحساب فيها اتماما لنعمه واكمالا لها ولمننه وفضله فيه، وكذلك قوله فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك منه قال له ادخل الجنة، فالمعنى اظهار اجابته والانعام عليه وابتداؤه بالكرم والرحمة، وليس يخرج جميع ما وصف به الرب سبحانه من الضحك من ان يكون معناه راجع(١) الى ما قلنا فعلى ذلك فرتبه للاستحالة فى وصف الله جل وعز بما هو تكشر الفم وظهور الاسنان وتغير الاحوال لان ذلك من صفات الاجسام المحدثة الذى يدل تعاقب الحدوث عليها على حدثها .

فصل

فى ذكر ما روى من الفاظ الفرح والاستبشار

وروى النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لله افرح بتوبة العبد من رجل كان فى سفر معه راحلته، الحديث .

وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عزوجل « انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى والله أفرح بتوبة عبده من الرجل يجد ضالته بالفلاة .

وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاستبشار الله بتوبة احدكم افضل من استبشار احدكم بضالته عليها زاده ومتاعه وسقاؤه وما يصلحه، وروى ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة

---

(١) كذا .

يحبهم الله ويضحك اليهم ويستبشر بهم الذى اذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله ، وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايتوضأ احدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتى المسجد لا يريد الا الصلاة فيه الا يستبشر الله تعالى به كما يستبشر اهل الغائب بطلعته .

فصل

الجواب فى ذلك

اعلم ان معنى ما وصف (به) لله جل ذكره من الفرح فهو بمعنى الرضا لأن الفرح ينقسم معناه الى السرور والرضا ولا يليق بالله تعالى السرور لانه يقتضى تغير صفته وحدوث الحوادث فيه .

فاما الذى هو بمعنى الرضا فصحيح فى وصفه ويكون معناه ارادته الانعام على من هو راض عنه ومن تاب الله عزوجل عليه فقد فرح به على معنى انه راض عنه واراد الانعام عليه .

واما معنى استبشاره بتوبة العبد فراجع ايضا الى ما يظهر للعبد من الكرامة واللطف والنعمة وافعاله لا تحله ولا تحدث فى ذاته بل تحدث فى غيره فاما البشبشة فهو بمعنى الاستبشار لانه يقال فى فلان بشبشة وهشاشة وبشاشة وفلان باش اذا كان مظهرا للرضى بما يستقبله فلما كان الله عزوجل رضى عن التائب من عبيده مظهرا للنعم لديه بتوفيقه اياه للتوبة ولاوتنبيته عليها ثم مثوبته ثانيا كان ذلك منه استبشارا وبشبشة .

فصل

فى ذكر ما روى من الفاظ الاستحياء

روى ابو واقد الليثى ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد قال فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما

احدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم عن الثلاثة نفرأ ما احدهما فأوى الى الله فآواه الله والآخر فاستحيا فاستحيا الله منه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه .

وعن ابي خنيس الغفارى قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تهامة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ألا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهما (١) فاستحيا فاستحيا الله منه واما الآخر فاقبل تائبا الى الله فتاب الله عليه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه .

وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان ربكم حيي كريم يستحيى ان يمد عبده اليه يديه ان يردهما خائبتين ، وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يستحيي من عبده اوامته يعذبهما بعد ما شابا .

فصل
فى الجواب عن ذلك

اعلم ان الاستحياء من الله عزوجل بمعنى الترك وعلى ذلك تأول المتأول قوله (ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا) وان معناه انه لايترك .

واما قوله واما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه فيحتمل ان يكون معناه ترك اذى القوم بمزاحمتهم فى الحلقة فجلس خلفهم فترك الله عزوجل عقوبته وعفا عن ذنوبه ، وكذلك معنى قوله ان ربكم حيي كريم انه يترك عقوبة العبد عن خطيئته و يعفو عن زلته بكرامته فاذا رجع اليه سائلا مستغفرا اجابه وغفر له . وكذلك معنى قوله « ان الله يستحيي من عبده اوامته ان يعذبهما

(١) كذا وفى الكنى للدولابى (١ / ٢٦) « اما واحد » .

بعد

بعد ما شابا » انه يترك عذابهما اذا شابا فى الاسلام وانما قلنا ذلك لان الحياء الذى هو الانقباض بتغير الاحوال وحدوث الحوادث فيمن يتغير به لايجوز على الله عز ذكره

فصل آخر

فى معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الله تعالى بالصبر والغضب والبغض

روى ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا احد اصبر على اذى يسمعه من الله تعالى انه يشرك به ويجعل له ولدا ويرزقهم ويدفع عنهم ويعافيهم ، وروى ابو الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبغض الفاحش البذىء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يسئل الله يغضب عليه ، وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم احد اشتد غضب الله (عزوجل على قوم قسموا البيضة على رأس نبيهم وهو يدعوهم الى الله عزوجل . وعن سلام عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب [١]) الله على امرأة الحقت ولدا بقوم ليس منهم يشركهم فى اموالهم ويطلع على عوراتهم ، وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشتد غضب الله على من كذب على متعمدا ، وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون - وذكر الحديث وقال فيه - فيأتون آدم صلى الله عليه فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده .

فصل

فى الجواب عن ذلك

اعلم ان معنى وصف الله جل ذكره بالصبر فهو بمعنى الحلم ومعنى وصف الله جل ذكره بالحلم فهو تأخير العقوبة عن المستحقين لها ووصف الله

---

(١) ليس فى س .

بالصبر لم يرد به الكتاب وانما ورد فى نوع من هذه الاخبار وتأويله على معنى تأويل الحلم، فاما وصفه بالغضب فقد ورد به الكتاب ومعناه ارادة العقوبة لاهلها ومن علم انـه يعاقب عليها،وكذلك نقول فى الرضا انه ارادة التنعيم والتفضيل لمن علم انه اهل لذلك وذلك من صفات الـذات لان تأويله يرجع الى الارادة وارادة الله تعالى من صفات ذاته،فاما معنى اشتد غضبه فالمراد به ما يبديه من زيادة العقوبـة على بعضهم دون بعض،فاما ما هو صفة الذات فلايجوز وصفه بالتزايد وانما يرجع التزايد الى الافعال الصادرة عن الارادة واما معنى السخط فهو بمعنى الغضب،واما معنى البغض فهو بمعنى الكراهية فاذا قيل ابغض الله فلانا من خلقه فالمراد به كراهته الفضل عليه والاحسان اليه والرحمة له واذا قيل للموجود ان الله يبغضه فالمعنى فيه انه يكره ان يكون بخلاف ما هو به وعلى ذلك يتاول قوله ان الله يبغض الفاحش البذئ.

فصل آخر

فى ذكر ما ورد فى السنة من وصف الله جل ذكره بالاعراض،

روى عن وائل بن حجر: اختصم رجل من حضر موت ورجل من كندة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث وقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله عز وجل وهو عنـه معرض،وروى عطاء عن ابى ايوب قـال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة المؤمن ثلاث فان تكلما والا اعرض الله عنهما حتى يتكلما .

فصل

فى الجواب عن ذلك

اعلم ان معنى وصف الله جل ذكره بالاعراض عن العبد يرجع الى تركه توفيقه للخير ومعونته عليه اوعن اثابته واكرامه فاذا قيل للعبد انه معرض عن الله عز وجل فالمراد به انه منصرف عن طاعته وكذلك يقال فى الاقبـال

اذا قيل ان الله مقبل على عبد او قيل للعبد انه مقبل على الله او الى الله جل ذكره فالمراد به فى وصف الله تعالى به معونة العبد على فعل الخير بتيسيره له طريق الطاعة واذا وصف به العبد فالمراد به استعماله بالطاعة والعبادة وانما قلنا ذلك لاستحالة ان يوصف الله عزوجل بالملاقاة والمقابلة فيكون اعراضه والاعراض عنه على حسب الاعراض عن الاجسام والاقبال عليها بتلقى المحاذاة لها ووجه المقابلة وذلك لاستحالة كونه جسما او جوهرا او موصوفا بما يؤدى الى وصفه بالحدوث وسماته .

فصل آخر

فى ذكر ما روى من الآثار فى المبالاة

فمن ذلك قوله تعالى فى كتابه (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) وروى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه وآخرته ومن تشعبت عليه الهموم لم يبال الله فى اى واد من اودية الدنيا هلك .

وروى حماد عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى .

وروى خالد بن عبدالله عن بيان عن قيس بن مرداس الاسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حثالة كحثالة التمر لا يبالى بهم .

وروى شهر بن حوشب عن معدى كرب عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه جل وعز يا ابن آدم ان تذنب حتى يبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرنى غفرت لك لا ابالى .

فصل

فى الجواب عن ذلك

اعلم ان كل ما وصف به الله عزوجل من امثال هذه الالفاظ فالمراد

به الاخبار عن غناه عزوجل وانه ممن لا ينتقص شيء مما يفعلـه وكذلك معنى ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قـال فى القبضتين اللتين اخرجهما من صلب آدم عليـه السلام للنار ولا ابالى وللجنة ولا ابـالى وافاد بذلك انه يوصل فضله وعـدله الى ما شاء من خلقه من غير ان يزداد عن فعل الفضل او يكون له نقص بفعل العدل من تعذيبهم ابتداء من غير جرم واذا كان كذلك كان معنى الآية محمولا عليه .

فصل آخر

فى البيان عما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وصف الله بالمباهاة .

روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه انه قال ان الله يباهى باهل عرفات فيقول يا ملائكتى انظروا الى عبادى جاؤنى من كل فج عميق اشهدكم انى غفرت لهم .

وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير ان نوفا البكالى وعبد الله بن عمرو اجتمعا فقال عبدالله بن عمرو انا احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلينا معه المغرب ذات ليلة فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم من قبل ان يثوب الناس لصلاة العشاء وقد حمزه النفس وهو رافع اصبعيه الى السماء وهو يقول أبشروا يا معشر المسلمين هذا ربـكم فتح بابا من ابواب السماء يباهى بكم الملائكة فيقول انظروا عبادى قضوا فريضة وهم ينتظرون اخرى .

وروى ان معـاوية خرج على الناس وهم جلوس فقـال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة وهم جلوس فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده عـلى ما هدانا للاسلام ومنّ علينـا بك فقال آلله ما اجلسكم الا ذلك قالوا آلله ما اجلسنـا الا ذلك قال انى لم استحلفكم تهمة لكم ولكنى اخبرنى جبريل عليه السلام ان الله يباهى بكم الملائكة .

فصل

فصل

في الجواب عن ذلك .

اعلم ان معنى المباهاة هو أن الله عزوجل يظهر من فعله للملائكة ما يحقرون طاعتهم في طاعتهم وعبادتهم في عبادتهم واصل المباهاة هو مفاعلة من البهاء والبهاء من العظمة فكأنه اراد (ان) الله عزوجل يظهر من عظمة هؤلاء المطيعين وبهائهم فيها مايزيد على بهاء الملائكة وحالهم في طاعتهم وعبادتهم، والغرض في معنى هذا الخبر وفائدته تعريف الخلق من الآدميين مواضع الفضل في طاعتهم وعبادتهم وانهم قد تبلغ طاعتهم مبلغا يزيد قدره على قدر طاعة الملائكة وهذا مما يمكن ان يستدل به ان افاضل الآدميين افضل من الملائكة لانه لايباهى الا بالافضل .

فصل آخر

في ذكر الخبر من معنى المناجاة

روى حميد الطويل عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم (انه) رأى نخامة في قبلة المسجد فشق عليه حتى عرف ذلك في وجهه فحكه وقال ان احدكم اذا قام الى الصلاة فانه يناجي ربه وان ربه بينه وبين القبلة .

وعن ابي هريرة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلم فاذا رجل في آخر الصف قال يا فلان ألا تتقي الله ألا تنظر كيف تصلي فان احدكم اذا قام يصلي يقوم يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه، وعن صفوان بن محرز قال بينما انا اسير مع عبدالله بن عمر آخذا بيده اذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى منه المؤمن فيقول أتعرف كذا؟ اتعرف ذنبا كذا .

فصل

الجواب عن ذلك

اعلم ان معنى المناجاة هو مخاطبة المخاطب على الوجه الذى يختص به ولايشاركه فى سماع الخطاب غيره وذلك اذا وصف الله تعالى به فالمراد اسماع الله تعالى وافهامه من اراد من خلقه على الوجه الذى يختصون به من غير أن يشاركوا فى اسماع مايسمعون وافهام ما يفقهون وهذا هو معنى النجوى يوم القيامة لأنه تعالى يسمع من يشاء من خلقه خطابه على التخصيص بالخطاب من غير أن يشاركه فى سماع ذلك الخطاب غيره

وهو ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامنكم من احد الا وسيخلوا الله عزوجل به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ومناجاة العبد لله عزوجل هو اخفاء الخطاب من غير ان يسمع غيره وهو ان يذكر الله تعالى سرافعلى ذلك يحمل معنى المناجاة اذا وصف به الله عزوجل او وصف به الخلق.

فصل آخر

فى تأويل ماروى من النفخ وهو ماذكر فى قوله عزوجل (فاذا سويته نفخت فيه من روحى) وقال (فنفخنا فيه من روحنا).

وعن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو تشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون انت آدم الذى خلقه الله بيده ونفخ فيك من روحه.

وعن ابى سلمة عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقى آدم موسى عليهما السلام فقال له موسى انت الذى خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجدلك ملائكته ونفخ فيه من روحك ثم فعلت ما فعلت وذكر الحديث.

فصل

فى الجواب عن ذلك

اعلم ان معنى ما يوصف به الله عز ذكره من نفخ الروح فالمراد به خلقه الروح فيمن يخلقه فيه وافعال الرب جل ذكره غير واقعة على طريق المباشرة والتولد بل افعاله كلها ابتداء اختراع من قبل ان الله عز وجل لا يقتضى تغير المخترع به ولا حدوث شيء منها فيه، فاما وجه اضافة الروح اليه ومعناه وفائدته فهو تخصيص تشريف لان المذكور قد يخص بالذكر تشريفا له وان كان غيره فى معناه كما قيل بيت الله وعبدالله وناقة الله تخصيصا بالذكر من جملة المسميات وابانة بالفضل وامارة له يبين بها عما سواه للتنويه بذكره والرفع من حاله وعلى هذا الوجه اضاف روح عيسى عليه السلام اليه فقال روح الله وذلك احد وجوه الاضافات مما معناه لا يخرج عن الملك والخلق والتدبير والقدرة لاستحالة الاضافة اليه من طريق المجاورة له والتغير به لاستحالة ان يكون جسما اوجوهرا فيتغير بما يحدث فيه اويجاوره فعلى ذلك فرتب هذه الابواب ان شاء الله .

فصل آخر

فى الكلام على من قال ان ما رويته من هذه الاخبار وذكرنا فى امثال هذه السنن والآثار مما لا يجب الاشتغال بتأويله وتخريجه وتبيين معنيه وتفسيره .

اعلم ان اول ما فى ذلك انا قد علمنا ان النبى صلى الله عليه وسلم انما خاطبنا بذلك ليفيدنا انه خاطبنا على لغة العرب بالفاظها المعقولة فيما بينها المتداولة عندهم فى خطابها فلا يخلو أن يكون قد أشار بهذه الالفاظ الى معان صحيحة مفيدة اولم يشر بذلك الى معنى وهذا مما يجل عنه ان يكون كلامه يخلو من فائدة صحيحة ومعنى معقول فاذا كان كذلك فلا بد أن يكون لهذه الالفاظ معان صحيحة ولا يخلوأن يكون الى معرفتها طريق اولا يكون الى

معرفتها طريق فان لم يكن الى معرفتها طريق وجب ان يكون تعذر ذلك لأجل ان اللغة التى خاطبنا بها غير مفهومة المعنى ولا معقول المراد والامر بخلاف ذلك فعلم انه لم يعم على المخاطبين من حيث اراد بهذه الالفاظ غير ماوضعت لها اوما يقارب معانيها مما لا يخرج من مفهوم خطابها واذا كان كذلك كان تعرف معانيها ممكنا والتوصل الى المراد به غير متعذر فعلم انه مما لا يمتنع الوقوف على معناه ومغزاه وان لا معنى لقول من قال ان ذلك مما لا يفهم معناه اذ لو كان كذلك لكان خطابه خلوا من الفائدة وكلامه معنى (١) عن مراد صحيح وذلك مما لا يليق به صلى الله عليه وسلم، فان قيل ألستم تقولون فى متشابه القرآن انه مما لا يوقف على معناه وان كان على لغة العرب ولابد فيه من فائدة .

قيل فيه جوابان، من اصحابنا من قال ان فى مشكل القرآن مالا يعلم تأويله الا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ولا نعلم تأويله لان الله هو المخصوص بمعر وفة تاويله ولكن فائدته التلاوة التى هى طاعة وهى مندوب اليها مثاب على فعلها . ومنهم من قال انه لا ،تشابه فى القرآن الا والراسخون فى العلم يعرفون تأويله وان قوله (والراسخون) معطوف على قوله (الا الله) فعلى ذلك يسقط هذا السؤال، فان قيل أليس معانى هذه الالفاظ التى وردت فى هذه الآثار اذا حملت على المعقول فيما بيننا لم يصح فى وصف الله تعالى ذكره واذا خرجت عن معانيها المعقولة ادى الى ان لا تكون على حسب اللغة وان يكون ذلك مما يختص بعلم الله ؟، قيل ان معانيها معقولة على حسب ما يصح فى وصف الله تعالى محمولة على ذلك وسبيلها كسبيل سائر الاوصاف التى وردت فى الكتاب من ذكر الله سبحانه بالنعوت التى حصلت فيها النصوص والتوقيف وكانت معانيها معقولة ومرتبة على حسب ما نزلتها العقول على حسب اختلاف الموصوفين بها بعد أن لا تخرج عن حقائقها وحدودها واحكامها اللازمة ولو وجب الوقوف فى معانى هذه الالفاظ لهذه الاخبار الواردة فى وصف الله

---

(١) لعله – معرى؟

حل

جل ذكره لاجل ما قالوا لزم الوقوف فى سائر وصف الله مما ورد فى الكتاب لمشاركتها لهذه فى مثل هذا المعنى فلما لم يجز ذلك وكان سائر ما ورد من وصفه محمولا على ما يصح غير متوقف فى معناه فكذلك سبيل هذه الالفاظ التى وردت فى هذه الآثار.

فان قيل انكم لا توجبون العلم والقطع بامثال هذه الاخبار لانها آحاد وما فى معانيها فكيف تجمعون بينها وبين ما فى الكتاب؟ قيل طريق الجمع بينهما من وجه آخر وهو أنه مما اطلق فى وصف الله جل ذكره وله معنى صحيح معقول واذا كان احدهما مقطوعا به والآخر مجوزا وليس لاختلافهما فى طريقهما مايوجب اختلاف حكمها فى جواز الاطلاق حمل معنيها على الوجه الصحيح،

فان قيل فاذا لم يكن خبر الواحد موجبا للاعتقاد والقطع وليس فى هذه الاخبار عمل يقتضى ذلك منها بحسبه فعلى ماذا تحملونها؟ قيل انها وان لم تكن موجبة للقطع بها مقتضية للعلم فانها مجوزة مغلبة وقد يفيد الخبر التجويز من جهة الطلاق اللفظة وقد يفيد ذلك من طريق القطع والاعتقاد واذا كان طريقه تواترا واجماعا ظاهرا اوكتابا ناطقا فانه يقتضى الاعتقاد والقطع بحسبه، وان كان ذلك مستندا الى اخبار آحاد وعدول ثقات كان الحكم بها على الظاهر وجب من طريق التجويز ورفع الاحالة وان لم يكن فيه القطع والاعتقاد فلذلك رتبنا هذه الاخبار على هذه الوجوه التى ذكرناها.

واعلم انه اذا كان لابد من قبول الخبر العدول ولابد ايضا من ان يكون الكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تروا لفائدة وكان التوقف فيه يمكن معرفة معناه لا وجه له وكان تعطيل هذه الاخبار لاجل توهم تعذر تخريجها وترتيبها لا وجه له وكان بعضهم ممن يتوهم انه لا سبيل الى تخريجها يذهب الى ابطالها وبعضهم يذهب الى ايجاب التشبيه بها وبعضهم يذهب الى اخلائها من معان صحيحة — وجب ان يكون الامر فيها على ما قلنا ورتبنا وان يكون اوهم

المعطلين من الملحدة و المبتدعة و المشبهة لله بخلقه فاسدة باطلة وان يكون معانى هذه الآثار صحيحة معقولة على الوجه الذى رتبناها وبيناها وبطل توهم من يدعى ان ذلك مما لايجوز تأويله ولا يصح تفسيره .

ووجب ايضا ان يكون معنى قول من قال بامرارها على ما جاءت محمولا على انه لا يزاد فيها ولا ينقص منها لئلا يؤدى الى وقوع الغلط فيها وخاصة اذا خاض فى تأويلها من لم يكن له دربة بطريق التوحيد ومعرفة الحق فيها ولذلك حملنا هذا القول على هذا المعنى من قائله وان لم يكن اراد ذلك فانا بيناه لتوضيح بطلان ما قاله و تصحيح ما قلنا فعلى ذلك فلترتب ان شاء الله تعالى .

كمل بيان ما اشكل ظاهره من صحيح الحديث مما اوهم التشبيه ولبس بذلك المجسمون و ازدراه الملحدون وطعن فى روايته المبتدعون و ايضاح ما خفى باطنه مما اعقله الجاهلون وانكره المعطلون .

وشرح ذلك وتنزيله على ما يليق بوصف الله تعالى بالدلائل التى لاشك فيها و موافقة السنة المعمول بها واللغة المجتمع عليها .

وافق الفراغ من تعليقه ليلة الاثنين لثلاث خلون من جمادى الاولى سنة سبع وستمائة وقوبل ايضا فصح فصح وصح وذلك بتاريخ يوم الاثنين سادس عشر المحرم من سنة .... فى حديقة الشيخ المولى الاجل .... فى المدرسة الحدادية .

خاتمة النسخة السعيدية

وافق الفراغ من تعليقه ليلة الجمعة ستة وعشرين من شهر ربيع الاول سنة تسع والف وثلثمائة من الهجرة النبوية فى بلدة حيدر آباد صانها الله من الشر والفساد بيد الفقير الى ربه المجيد محمد بن سعيد بن صبغة الله بن محمد غوث كان الله لهم ولاسلافهم .



ترجمة

ترجمة المصنف

قال ابن السبكي فى الطبقات (١) « محمد بن الحسن بن فورك الاستاذ ابوبكر الانصارى الاصبهانى الامام الجليل والحبر الذى لايجارى فقها واصولا وكلاما ووعظا ونحوا مع مهابة وجلالة وورع بالغ رفض الدنيا وراء ظهره وعامل الله فى سره وجهره وصمم على دينه » الى ان قال « اقام اولا بالعراق الى ان درس بها مذهب الاشعرى على ابى الحسن الباهلى ثم لما ورد الرى وشت به المبتدعة وسعوا عليه قال الحاكم ابوعبدالله فتقدمنا الى الامير ناصر الدولة ابى الحسن محمد بن ابراهيم والتمسنا منه المراسلة فى توجيهه الى نيسابور فبنى له الدار والمدرسة من خانقاه ابى الحسن البوشنجي واحيا الله به فى بلدنا انواعا من العلوم لما استوطنها وظهرت بركته على جماعة من المتفقهة وتخرجوا به سمع عبدالله بن جعفر الاصفهانى وكثر سماعه بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور، هذا كلام الحاكم وروى عنه حديثا واحدا » ثم حكى تعظيم ابى على الدقاق وابى عثمان المغربى للترجم ثم حكى « انه روى ان الامام ابا بكر ابن فورك ما نام فى بيت فيه مصحف » ثم قال « روى عنه الحافظ ابوبكر البيهقى والاستاذ ابو القاسم القشيرى وابوبكر احمد بن على بن خلف ودعى الى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات ولما عاد منها سم فى الطريق فتوفى سنة ست واربعمئة حميدا شهيدا ونقل الى نيسابور ودفن بالحيرة » .

ثم ذكر بعض ما جرى له مع الكرامية وانهم نسبوا الى المترجم انه يقول « ان نبينا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم وان رسالته انقطعت بموته » وانكر ذلك ثم حكى كلاما عن ابن حزم وانكره ثم حكى عن الذهبى انه قال « وفى الجملة ابن فورك خير من ابن حزم واجل وحسن نحلة ... كان ابن فورك رجلا صالحا ... كان مع دينه صاحب فلتة وبدعة » ثم ذكر

---

(١) ج ٣ ص ٥٢

منا قشته فى ذلك وبالجملة فالرجل مشهور باصول الفقه والكلام على مذهب الاشاعرة وبالنظر فى كتابه هذا يعلم انه كان بغاية التحمس لمذهب الاشاعرة لا يبالى بما خالفه .

وهو كثير النقل فى هذا الكتاب عن محمد بن شجاع الثلجى والثلجى جهمى متعصب قال فيه ابن عدى «كان يضع احاديث فى التشبيه وينسبها الى اصحاب الحديث يثلبهم بذلك» (١) وللثلجى ترجمة فى تاريخ بغداد (٢) والميزان وتهذيب التهذيب (١) والجواهر المضيئة (٣) وفيها ان له كتابا فى الرد على المشبهة ولا شك ان ابن فورك وقف على كتاب ابن الثلجى ونقل عنه بعض الاحاديث وتابعه فى كثير من كلامه والله المستعان .

ذكر نسخ الخطية

لهذا الكتاب

(١) نسخة محفوظة فى خزانة بانكى فور تحت رقم ٥٢٨ المكتوبة فى سنه ٦٠٧ وعلامتها (ب) - قد استنسخ من هذه النسخة العالم الفاضل تقى الدين النعمانى وقابل عليها الاستاذ الفاضل مسعود عالم الندوى جزاهما الله عنا خير الجزاء .

(٢) نسخة اخرى من هذا الكتاب فى خزانة المفتى محمد سعيد رحمه الله ببلدة حيدرآباد الدكن وهى مكتوبة فى سنة تسع والف وثلثمائة من الهجرة علامتها (س) - قابل عليها الاستاذ الفاضل مولانا السيد احمد الله الندوى ومولانا الفاضل محمد عادل القدوسى .



(١) تهذيب التهذيب (٩ / ٢٢٠) (٢) ج ٥ ص ٣٥٠ . (٣) ج ٢ ص ٦٠ - ٦١

خاتمة

خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تبارك وتعالى طبع كتاب مشكل الحديث لابن فورك وكان الفراغ من طبعه فى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الأخر سنة ١٣٦٢ﻫ وذلك فى العهد الميمون والايام الذهبية لجلالة الملك مظفر الممالك نظام الملك سلطان العلوم امير المسلمين النواب مير عثمان علی خان بهادر آصف جاه السابع ملك الدولة الاسلامية الآصفية بحيدرآباد الدكن ادام الله ايامه وخلد سلطنته واطال الله عمر ولى عهده الاعظم النواب الدكتور اعظم جاه بهادر وابنه المعظم النواب الدكتور معظم جاه بهادر وحفظ الله حفيده المكرم النواب مكرم جاه بهادر .

وهذه الجمعية تحت رياسة الاديب الجليل النواب الدكتور مهدى يار جنگ بهادر وزير المعارف ونائب امير الجامعة العثمانية ونيابة الشهم الغيور السيد عبد العزيز وزير العدلية والشرعية وتحت اعتماد الحسيب النسيب السيد محيى الدين عميد وزير المعارف وذى المجد والكرم النواب ناظر يار جنگ بهادر شريك العميد ومولانا المدقق السيد هاشم الندوى مدير الدائرة وشريك العميد ابقاهم الله تعالى لخدمة العلم والدين آمين .

واعتنى بتصحيح هذا الكتاب من علماء الدائرة مولانا الشيخ محمد طه الندوى ومولانا السيد احمد الله الندوى ومولانا الشيخ محمد عادل القدوسى ومولانا السيد حسن جمال الليل المدنى ومولانا الشيخ احمد بن محمد اليمانى وطبع بعد ملاحظة مولانا العلامة عبد الله العمادى وفق الله الجميع لخدمة العلم والدين آمين .

عبد الرحمن بن يحيى اليمانى
مصحح دائرة المعارف

ذكرنا

يأخذ



استدراك ما وقع من الخطأ فى طبع مشكل الحديث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	١٦	عل	على
٤	٩	التشبية	التشبيه
٧	٢٥	وولعله	ولعله
«	٢٣	الرأئى	الرائى
١٥	٧	فاذن	فاذا
١٧	١٦	نى	اتانى
١٩	١٤	ذاته شيئا	ذاته ووقوع المعرفة بكون ذاته شيئا
٢٠	٤	الملاء	الملأ
٢١	١٣	آياية	آياته
«	١٨	يأيتهم	يأتيهم
٢٥	٥	اما لهم	ما لهم
٢٧	٩	واما اخلق	وما خلق
«	١٤	من قبضها الرحمن ولا الوجهين	من قبضة قبضها الرحمن وكلاالوجهين
٣٠	١٦	اجبتهم	احببتهم
٣١	١٢	خطا ... تضعيرا	حظا ... تصغيرا
٣٣	١	نعمة	نعم
«	١١	فحصل	فيحصل
٣٤	٢٤	عتية	عتيبة

استدراك ما وقع من الخطأ فى طبع مشكل الحديث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥	١	فال	قال
»	٢	تم	ثم
٣٦	١١	الجبار بن	الجبارين
»	٢٠	بر يد	ير يد
٣٧	٢٣	اعلم	ذكر تأويل ذلك ـ اعلم
٤٦	١١	الدنوانه	الدنو وأنه
٥٠	٢٤	النعث	النعت
٥١	٢٠	ادخلت رأسى فى القلنسوة	ادخلت القلنسوة فى رأسى
٥٥	١٩	القائل	القائل
٥٦	٤	يعجبيه	يعجبه
٥٧	١٥	لنسميها	لنسيمها
٥٩	١٩	استخقافهم	استخفافهم
٦٢	١٣	وجب يكون	وجب ان يكون
٦٦	١٠	يغير الله	بغير الله
٧٢	٢١	تناه	تناله
٧٣	٥	اظاهر	الظاهر
٧٥	١٧	ابو عريرة	ابو هريرة
٧٧	١٩	ادا	اذا
٧٨	١٥	فلم بجز	فلم يجز
٧٩	٢	هذالوجه	هدا الوجه

تاويلة

استدراك ما وقع من الخطأ فى طبع مشكل الحديث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٩	٨	تاويلة	تاويله
٨٢	٥	الثلبخى	الثلجى
»	٧	ابن ابى العرجاء	ابن ابى العوجاء
٨٥	١٥	المتحوفة	المخوفة
٨٦	»	مرادة	مراده
٩٢	٩	الرئية	الرؤية
٩٤	٩	المرد	المراد
٩٧	٣	القحط	القحط عليهم
»	١٠	سأئغا ... جائزا	سائغا .. جائزا
»	٢٠	وأئدته	فائدته
١٠٥	»	روى	ماروى
١٠٦	١٧	قطعته	قطعته اى بتته
١٠٧	٥	دأبة	دابة
»	١٣	ثمثيلا	تمثيلا
١١٣	١٦	اللطم	اللطمة
١٢١	»	لم ر	لم ار
١٢٥	٢	ليس ثقل	ليس ثقل الكلام
١٢٧	»	بخائزة	بجائزة
١٢٨	٢	شدة	عن شدة
»	٨	حمادا	حماد

استدراك ما وقع من الخطأ فى طبع مشكل الحديث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٨	٢٠	اتب	تب
»	»	وكذا كتاب حماد حديثا	وكذا حديثا
١٣١	٤	ذكر خبر آخر وتاويله	—١—٠
١٣٦	١٠	لايليهه	لايلهيه
١٣٧	٤	التمكين فى	التمكين والتثبيت فى
»	٧	فان قال	سؤال ، فان قال
»	٢١	ننأمل	نتأمل
»	٢٣	المتشايهة	المتشابهة
١٣٨	١٦	فيما	فيما
١٣٩	١٢	الغضب على هذا	الغضب على الحقيقة لايجوز وصفه بالتسابق والنيل والغلبة واذا رتب على هذا
»	١٧	لأنابى	لانابى
١٤٠	١٦	ريهم	ربهم
١٤١	٧	بنظروا	ينظروا
١٤٢	٢	اثياته	اثباته
»	١١	انفسك	نفسك
»	١٧	والسنة	والسنة وقد تقدم تاويل ذلك
١٤٣	٤	لاعلى	دون الحمل على
»	١٦	بيدى معنى	بيدى لايكون معنى

( ) محل هذا [illegible]

إثبات

استدراك ما وقع من الخطأ فى طبع مشكل الحديث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٧	١١	اثبات	اثبات
١٥١	١٤	فى	فى
«	٢١	تخصص	تخصيص
١٥٢	١	الثالثة ينزل	الثالثة فعلى نحو معنى قوله ينزل
١٥٥	٢١	يومئد	يومئذ
١٥٦	١٠	الدين	الدين
«	٢١	هذا لخبر	هذا الخبر
١٥٨	٥	خيرك	خير لك
١٦٠	٣	بغير واضافة	بغير صورته واضافة
١٦١	٣	الحبر	الخبر
١٦٢	١٠	اللفط	اللغة
١٦٣	«	بحدث	يحدث
١٦٥	١٣	باب الحديث	باب العين الحديث
١٦٧	١٨	فتح عليه	فتح الله عليه
١٦٨	٩	وانه قثم	وانه بمعنى قثم
١٦٩	١٨	فيما بينا	فيما بيننا
١٧٣	٥	الرفاشى	الرقاشى
١٨١	٢٣	مارى	فارى
١٨٩	«	توفيقة	توفيقه
٢٠٣	١١	موحبة	موجبة

تمت